كتاب بدائع الزهور فى وقائع الدهور تأليف

العالم الفاضل والهمام الكامل الشيخ

محمد بن أحمد بن اياس

الحنفى رحمه الله

تعالى ونفعنا

به آمين

م

﴿فهرست كتاب بدائع الزهور﴾

﴿تمت الفهرست﴾

كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور تأليف
العالم الفاضل والهمام الكامل الشيخ
محمد بن أحمد بن اياس
الحنفي رحمه الله
تعالى ونفعنا
به آمين

م



الحمد لله القديم الاول الازلى الذى لا يتحول ولا تغيره الدهور والاعصار ولا يفنيه حدثان الليل والنهار هو الذى أنشأ الوجود من العدم وقدر ما كان قبل أن يكون فى اللوح والقلم وخلق آدم وجعل من نسله العرب والعجم واصطفى منهم نبينا محمدا وكمل به ديوان الانبياء وختم ونسخ بشريعته جميع الشرائع وأوجب طاعته على الخلائق من عاص وطائع وجعل دول الاسلام مؤيدة بالخلفاء الراشدين فهم ظل الله تعالى فى أرضه لكل طائع انتظم فى سلك المهتدين أحمده حمدا يقتضى المزيد من النعم وأشهد أن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه ذو الفضل والكرم وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله الذى كان نبيا وآدم بين الماء والطين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وسلم تسليما الى يوم الدين (وبعد) فقد ألفت هذا التاريخ والسير فاخترت أحسن الاخبار من نفائس الدرر ليكون نزهة لذوى العقول فللمستخبر أن يسمع وللمؤلف ان يقول فان فيه من الفوائد الغرائب ومن المنقول العجائب وقد أوردت فى هذا الكتاب من الوقائع الحميدة واختصرت من الاشياء المسائل المفيدة وابتدأت فيه بذكر السموات والارضين وما كان قبل وجود الوجود واظهار العالم الموجود من مبدء خلق آدم عليه السلام وما جاء من نسله من الانبياء الكرام الى نبينا محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام (وسميته بدائع الزهور فى وقائع الدهور)

والمستعان

والمستعان بالله تعالى في المبدء والختام ومن هنا نشرع في الكلام قال أبو زيد البلخي مخارج العلوم أربعة علم رافع وعلم ساطع وعلم نافع وعلم واضع فأما الرافع فهو العلم الشريف من الاحاديث والفقه وأما العلم الساطع فهو علم الادبيات والاخبار الرقيقة وأما النافع فهو علم الطب ومعرفة الحساب وأما العلم الواضع فهو علم الكهنة من السحر وما أشبهه فاختر ما تنتفع به دنيا وأخرى كما قيل

ماحوى العلم جميعا أحد ✽ لا ولو مارسه ألف سنه
انما العلم كبحر زاخر ✽ فاتخذ من كل شئ أحسنه

﴿ذكر ما كان في بدء المخلوقات﴾

(روى) الامام أحمد في مسنده عن عامر العقيلي رضي الله عنه أنه قال قلت يارسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والارض قال كان في غمام فوقه هواء وتحته هواء ثم خلق عرشه على الماء قال بعض العلماء الغمام هو السحاب واختلف العلماء فيما خلقه الله قبل العرش روى الترمذي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول شئ خلقه الله تعالى القلم من نور وقيل من لؤلؤة بيضاء طوله مابين السماء والارض ثم خلق اللوح بعده وهو من درة بيضاء صفائحها من الياقوت الاحمر وطوله مابين السماء والارض وعرضه من المشرق الى المغرب وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله لوحا أحد وجهيه من ياقوتة حمراء والوجه الآخر من زمردة خضراء وأقلامه من نور قال ابن عباس رضي الله عنهما خلق الله تعالى القلم قبل ان يخلق الخلق وهو على العرش ثم نظر اليه نظر الهيبة فانشق وقطر المداد وقال ابن عباس ان القلم مشقوق ينبع منه المداد الى يوم القيامة ثم قال الله للقلم اكتب فقال القلم يارب وما أكتب قال اكتب علمي في خلقي بما هو كائن الى يوم القيامة وأخرج سعيد بن منصور أن أول ما كتب القلم أنا التواب أتوب على من تاب وأخرج ابن أبي حاتم ان أول ما كتب القلم ان رحمتي سبقت غضبي والاقوال في ذلك كثيرة والاصح ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما ان القلم جرى في تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة وما قدر من خير وشر وسعادة وشقاوة وهو قوله تعالى وكل شئ أحصيناه في امام مبين أي في اللوح المحفوظ وقال عمرو بن العاص سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله تعالى مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين ألف عام وهذا الحديث يدل على تقديم القلم على العرش وانه أول المخلوقات ثم خلق اللوح بعده قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى لوحا من درة بيضاء ينظر فيه كل يوم وليلة ثلاثمائة وستين نظرة في كل نظرة يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويعزل ويولي ويفعل ما يشاء

ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وهو قوله تعالى وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير

﴿ذكر خلق العرش﴾ أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ان الله تعالى خلق العرش من نوره والكرسي ملتصق بالعرش وحول العرش أربعة أنهار نهر من نور يتلألأ ونهر من نار تلظى ونهر من ثلج أبيض ونهر من ماء والملائكة قيام في تلك الانهار يسبحون وعن ابن أبي حاتم قال خلق الله العرش من زمردة خضراء وخلق له أربع قوائم من ياقوتة حمراء ما بين القائمة الى القائمة مسيرة ثمانين ألف عام واتساعها مثل ذلك وهو كهيئة السرير والقوائم تحملها ثمانية من الملائكة وهو كالقبة على الملائكة والعالم وعن أبي حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان العرش كان على الماء فلما خلق الله السموات جعله فوق السموات السبع وجعل السحاب كالغربال للمطر ولولا ذلك لغرقت الارض و يقال ارتفاع السحاب عن الارض اثنا عشر ميلا قال عكرمة ان الله تعالى ينزل المطر من السماء القطرة كالبعير ولولا ان السحاب والرياح تفرقها لفسد كل ما تقع عليه من النبات والبهائم وقد قال الله تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرا الآية

﴿ذكر أخبار المطر﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى وكل بالمطر ملائكة فلا تنزل قطرة الا ومعها ملك يضعها حيث شاء الله تعالى اما في البر واما في البحر فاذا كان على الارض أنبت الله به الزرع والاعشاب وهو قوله تعالى وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ وان كان في البحر يخلق الله تعالى منه اللؤلؤ الصغار والكبار وقال ارسطاطاليس ان المطر يقع في البحر المحيط بالدنيا وذلك وقت هبوب الريح الشمالي فاذا هاج البحر بالامواج نزل من السماء مطر عظيم فيصعد من ذلك البحر صدف على وجه الماء و يفتح فاه و يلتقم القطرة من المطر كما يلتقم الفرج النطفة فلا يزال الصدف يعمد الى مواضع في البحر لينعقد المطر فيصير درا فاذا انعقد تغوص الصدفة الى قعر البحر و يجمعونها في أوعية موضوعة في صدورهم فيعمد اليها الغواصون واذا تركت الدرة في الصدفة وطال مكثها في البحر فسدت وتغير لونها كالثمرة اذا تركت على الشجر ولم تقطف في أوانها (وحكى) ان اعرابيا قدم الى البصرة ومعه درة نفيسة فأتى بها الى عطار هناك وسأله ان يشتريها منه فاشتراها منه بأبخس الاثمان ثم ان العطار سأل الاعرابي من أين وصلت اليك هذه الدرة فقال مررت يوما من الايام بساحل البحر من أرض الصين فرأيت ثعلبا ميتا وعلى فمه صدفة في جوفها بياض يلمع ووجدت هذه الخرزة الى جانبه فأخذتها ومضت والذي يظهر لي من هذه الواقعة ان صدف البحر الذي فيه اللؤلؤ يخرج من الماء ليستنشق الهواء كما هي عادة الصدف فلما مر ذلك الثعلب بساحل البحر رأى لحمة حمراء

في جوف الصدفة وهي فاتحة فاها فوثب عليها الثعلب ليقتلها فادخل فاه في الصدفة فانطبقت عليه ومن شأنها اذا انطبقت على شئ لاتنفتح أبدا حتى تنشق بالحديد فلما طبقت على فم الثعلب أخذها فصار يضربها في الارض يمينا وشمالا الى أن مات فخرجت هذه الدرة من جوف الصدفة فربها ذلك الاعرابي فأخذها فلم يعلم قيمتها فكانت من رزق ذلك العطار فباعها بألف دينار وكانت قدر بيضة الحمامة وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان ماء المطر من بحر بين السماء والارض وهو كثير المياه وفيه السمك والضفادع وقد نزل في بعض السنين في أماكن من الارض مع المطر ضفادع وسمك صغار ومصداق ذلك ماحكي ان ملكا من الملوك أطلق بازياله في الفضاء خلف طائر فصعد البازي الى أعلى الجو فغاب عن الاعين ثم رجع وفي رجله سمكة فلما رآها الملك أراد أن يأكلها فأحضر الحكماء واستشارهم في أكل تلك السمكة فأشاروا عليه في أكلها فقام من بين الحاضرين شاب صغير وكان له اشتغال بالعلم في وسط المجلس وقال أيها الملك ان لحم هذه السمكة مسموم ولا يجوز أكله فقال له الملك ومن أين لك هذا العلم قال ان الله تعالى خلق بحرا بين السماء والارض وقد ورد فيه من الاخبار بأن به أسماكا مسمومة وأنت لما أطلقت البازي خلف الطائر وفاته اختطف هذه السمكة من ذلك البحر وان هذا البحر لا يصل اليه الا البازات الشهب فان أراد الملك صدق قولي فليحضر شخصا وجب عليه القتل وليطعمها له فينظر صدق قولي فأتى الملك بشخص وجب عليه القتل فأطعمها له فلما أكلها اضطرب ومات في الحال فلما رأى الملك ذلك أنعم على الشاب بألف دينار وصار الملك لايتصرف بشئ من الامور الا برأى ذلك الشاب ﴿ذكر أخبار الثلج والبرد﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى خلق في السماء جبالا من ثلج وبرد كما أن في الارض جبالا من حجر وهو قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد الآية وفي بعض الاخبار ان الله تعالى خلق ملائكة نصف أبدانهم من ثلج ونصفها من نار فاذا أراد أن ينزل الثلج على مكان امر تلك الملائكة أن ترفرف بأجنحتها على الثلج فما يسقط الى الارض ثلج الا برفرفة أجنحة الملائكة قال ابن الجوزي في بعض مصنفاته ان في القرن الخامس من الهجرة وقع من السماء بردة وهي قطعة عظيمة في بعض جهات الغرب فاهتزت لها الارض وقتلت مالا يحصى عددهم من البهائم والناس وكان أمرا مهولا ﴿ذكر أخبار مابين السماء والارض﴾ قال كعب الاحبار رضي الله عنه ان بين السماء والارض سحابا لطيفا وفوقه طيور بيض رؤسها كرؤس الخيل ولها ذوائب كذوائب النساء ولها أجنحة طوال وليس لها في السماء ملجأ ولا في الارض مأوى وانها تبيض وتفرخ على السحاب في الهواء وتقر على السحاب كما تقر الطيور على الماء ويقرب من ذلك ان الطير المسمى بالجل يعشش في

الهواء وانه يلقح في الهواء كما تلقح النخلة من النخل وانه يأتي الى أعشاش الطير فيأخذ من بيضها و يحضنه فاذا تحرك الفرخ في البيضة وصار له قوة على الطيران طار حتى يلحق بأمه التي باضته في الاصل ولا يقيم في الهواء و يقال ان العقاب لا يسافدها انثاه وان الذي يسافدها من غير جنسه من الطيور نقل ذلك صاحب السكردان وقيل ان الحجل يكون في أسافل الريح والطير المسمى باليعسوب يكون في أعالي الريح فيلقح منه وقيل في المعنى مأأنت الا كالعقاب فأمه * معلومة وله اب مجهول

ومن العجائب أن في بلاد الهند مدينة تسمى دكين و بها جبل يرى كله فيه نار من غير موقد و يقال ان بذلك الجبل طائرا يسمى السمندل وهو على قدر الرخمة وان يعشش في ذلك الجبل الذي ترى فيه النار و يفرخ فيه ولا يحترق من تلك النار ويقال انه ريشه يعمل منه مناشف فاذا اتسخت ترمى في النار فتنقى من وسخها ولا تحترق و يعمل من ريشه فتائل للسراج فاذا فرغ الزيت تنطفي منه الفتيلة ولا تأكلها النار ولو أقامت الى الابد و يقال ان دهن هذا الطير اذا طلى به الانسان بدنه ودخل النار لا تضره فاذا اراد الانسان ابطال عمل ذلك الدهن يطلي فوقه بالخل فانه يفسد الدهن ومن العجائب ان طائرا يسمى السمرمر وهو قدر الزرزور ومن شأنه انه يهلك الجراد قيل انه يأوي الى عين ماء في أقصى بلاد العجم فاذا نزل في بلادهم الجراد ارسلوا فارسين الى تلك العين فيحضران لهم من ماء تلك العين فيعلقونه بين السماء والارض فاذا أتى الماء الى الارض التي فيها الجراد يتبعه الطائر المعروف بالسمرمر فيقتل الجراد و يفنيه عن آخره و يقال ما دام ذلك الماء في الارض لا يدخل اليها الجراد ومن شأن هذا الماء اذا كان في اناء ووضع على الارض بطل السر الذي به وأما قولهم في ارسال فارسين الى تلك العين التي يأوي اليها السمرمر فارسال الفارسين خشية ان يموت أحدهما فيحضر الماء الآخر و يقال ان عين الماء هي التي تسمى السمرمر واليها ينسب ذلك الطير ومما يؤيد هذا الخبر ان في سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة أحضر بعض الاعاجم الى الملك الظاهر جقمق قمقم نحاس مختوما وزعم ان فيه ماء السمرمر فأنعم عليه السلطان بألف دينار في مقابلة تعبه فعلق الملك الظاهر ذلك القمقم في سقف القصر الكبير والسمرمر معلق به مدة طويلة فمن يومئذ امتنع الجراد عن مصر وفي بعض الاخبار ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما ان بين السماء والارض بحرا من نار وليس لها دخان فيقال ان الجان خلقوا من ذلك البحر ومن الفوائد اللطيفة ما نقله الثعلبي في كتاب العرائس ان الهدهد يرى الماء تحت الارض كما يرى أحدكم أناءه وروى ان اسم الغراب اعور وانما سمي بذلك لانه يغمض احدى عينيه من قوة بصره و يقتصر على الاخرى وقد قيل في المعنى

وقد ظلموه حين سموه سيدا * كما ظلم الناس الغراب بأعورا

﴿ذكر أخبار الرياح﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما خلق الله تعالى أربع رياح وهى الجنوب والشمال والصبا والدبور ويقال ان الرياح ثمانية أربعة منها فى الجهات الاربع وأربعة منها تسمى بالنكباء لميلها عن الجهات الاربع فريح الجنوب تحمل السحاب وقيل منها خلق الله الخيل وقيل انها سيدة الرياح وأما ريح الشمال فانها من جهة الشمال وهبوبها من ناحية القطب وهى باردة يابسة ويقال لها ريح الجنوب وأما ريح الصبا وتسمى أيضا ريح القبة وهى من ناحية الشرق واذا هبت على الابدان العليلة أنعشتها وتنفس عن المكروب كربته ويكون هبوبها عند السحر وأما ريح الدبور وتسمى أيضا العاصف والصرصر والعقيم وهى التى تهدم البناء وتقلع الاشجار قال أهل اللغة الريح العقيم لا ماء معها وسميت عقيما لانها لا تلقح ولا تنتج كالمرأة التى لا تلد تسمى عقيما وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وقد جعل الله تعالى اقتران الدبور بالريح العقيم واقتران الجنوب بالريح الشمال وجعل ريح الشمال والصبا متعاقبين وجعل لكل ريح من هؤلاء أوقاتا معلومة لا تتجاوزها فاذا أراد الله ان يعذب قوما بالريح أفرد الريح العقيم من الدبور وسلطها على من يشاء من عباده

﴿ذكر مبدء خلق الارض﴾

قال الله تعالى هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش قوله تعالى فى ستة أيام اختلف جماعة من العلماء فى مقدار هذه الايام هل هى من أيام الدنيا أم من أيام الآخرة قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد والضحاك وآخرون من العلماء هى من أيام الدنيا وقال كعب الاحبار وابن جرير انها من أيام الآخرة التى كل يوم منها مقدار ألف سنة مما تعدون والاصح ما قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك قال ابن عباس لما أراد الله تعالى ان يخلق الارض أمر الرياح جميعا بأن تثير فثارت حتى هيجت المياه وأثارت الامواج فصار يضرب بعضها بعضا فلم تزل الرياح تضرب بالماء حتى أزبد وتراكم الزبد فصار منه حشفة بيضاء فصارت ربوة كهيئة التل العظيم فجعل الماء يقل والزبد ينمو بقدرة الله تعالى حتى بلغ وأحدق الماء من حوله فصارت الارض كالكرة البارك فى الماء قال وهب بن منبه لما خلق الله تعالى الارض كانت طبقة واحدة ففتقها فصيرها سبعا كما فعل بالسماء وجعل بين الطبقة والطبقة مسيرة خمسمائة عام وهو قوله تعالى ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حى قال وهب بن منبه لما فتق الله تعالى الارض وجعلها سبعا كان اسم الطبقة الاولى أديما والثانية بسيطا والثالثة ثقيلا والرابعة بطيحا والخامسة

حينا والسادسة ماسكة والسابعة الثرى وفى بعض الروايات تختلف أسماؤها قال
الثعلبي ان الارض الثانية تخرج منها الريح وسكانها أمم يقال لهم الطمس وطعامهم
من لحومهم وشرابهم دمن مائهم والطبقة الثالثة سكانها أمم وجوههم كوجوه بنى
آدم وأفواههم كأفواه الكلاب وأيديهم كايدى بنى آدم وأرجلهم كارجل البقر
وآذانهم كآذان البقر وعلى أبدانهم شعر كصوف الغنم وهو لهم ثياب ويقال ان
ليلنا نهارهم ونهارهم ليلنا والطبقة الرابعة سكانها أمم يقال لهم الحلهام وليس لهم
أعين ولا أقدام بل لهم أجنحة مثل أجنحة القطا والطبقة الخامسة بها أمم يقال لهم
الخشن وهم كامثال البغال ولهم أذناب كل ذنب نحو ثلاثمائة ذراع وفى هذه الارض
حيات كامثال النخل الطوال ولهم أنياب مثل الجبال والطبقة السادسة بها أمم يقال
لهم الخثوم وهم سود الابدان ولهم مخالب كمخالب السباع ويقال ان الله تعالى
يسلطهم على يأجوج ومأجوج حين يخرجون على الناس فتهلكم والطبقة السابعة
فيها مسكن ابليس اللعين وجنوده من المردة والشياطين وقال بعض علماء الهيئة
ان الارض مبسوطة وقال آخرون انها كالكرة وهى واقفة فى الافلاك والافلاك
دائرة عليها من جميع جهاتها كالصفار من البيضة وهى موضوعة فى جوف الفلك
وبعدها فى الفلك من جميع الجوانب على التساوى وسبب وقوفها فى الوسط سرعة
دوران الفلك ودفعه اياها من كل جهة الى الوسط كما لو وضعت ترابا فى قارورة وأدرتها
بقوة فان التراب يقوم فى الوسط وأما من قال ان الارض منبسوطة قال ان البحر المحيط
الذى هو أربعة وعشرون ألف فرسخ محيط بها كما يحيط الخاتم بالاصبع قال ابن
عباس رضى الله عنهما ان حول الدنيا ظلمة ثم وراء تلك الظلمة جبل ق ويروى ان
الله تعالى لما خلق الارض صارت واقفة فى الهواء فحركها الريح فاضطربت وماجت
وشكت ذلك الى ربها وقالت يارب قد ضعفت قوتى واستخفنى الريح وحركنى فأوحى
الله تعالى اليها انى مؤيدك بالاطواد وهى الجبال فاستقرت بعد ذلك الاضطراب
وقال وهب بن منبه ان الجبال خلقت من أمواج البحر قال الله تعالى والارض بعد
ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها الآية وهذا يدل على أن الله
تعالى خلق السموات قبل الارض بمدة طويلة قال الثعلبى لما خلق الله تعالى الارض
بعث اليها ملكا من تحت العرش فدخل من تحت الارضين السبع وأخرج احدى
يديه من المشرق والاخرى من المغرب وقبض على أطراف الارض فلم يكن لقدميه
قرار فأهبط الله تعالى ثورا من الجنة اسمه نون له أربعون ألف قرن وأربعون ألف
قائمة من القرن الى القرن خمسمائة عام فاستقر قدم ذلك الملك على ذلك الثور فلم يكن
لاقدام ذلك الثور قرار فأنزل الله تعالى ياقوتة خضراء من يواقيت الجنة غلظها

خمسمائة عام فاستقرت قوائم الثور على تلك الياقوتة الخضراء ثم خلق الله تعالى صخرة كغلظ السماء والارض وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة الآية واسم الصخرة صيخور وروى أن في هذه الصخرة تسعة آلاف ثقب في كل ثقب منها بحر لا يعلم عظمه الا الله فاستقرت تلك الياقوتة الخضراء عليها ولما لم يكن للصخرة قرارا أهبط الله تعالى اليها حوتا عظيما من البحر السابع الذي تحت العرش و يقال اسم الحوت بهموت وقيل بلهوت فاستقرت تلك الصخرة على ظهر الحوت وقيل لا يقدر أحد ان ينظر الى ذلك الحوت من بريق عينيه ولو وضعت بحار الدنيا كلها في احدى منخريه لكانت كخردلة في أرض فلاة فاستقر الحوت على الماء وصار واقفا مكانه لا يتحرك فقال اللهم لك الحمد بك قويت وبحولك استطعت ولولا ذلك لما كان لي قوة على حمل ما استحملتني اياه فأذن لي يارب بالسجود شكرا لك على ذلك فأذن الله تعالى له بأن يسجد فأدخل رأسه في الماء حتى غاب ثم أخرجه من الماء فهو يسجد في كل يوم الى يوم القيامة ثم جعل الله تعالى تحت الماء الهواء وتحت الهواء الظلمة ومن هناك ينقطع علم الخلائق ويروى في بعض الاخبار ان الله تعالى وكل بذلك الحوت ملائكة يأتونه بغدائه في كل يوم على قدر شبعه فيأتونه من البحر المسجور بألف حوت كل حوت طوله مسيرة يوم وليلة وأما الثور فوكل الله تعالى ملائكة تغدائه في كل يوم بألف شجرة من بساتين القدرة طول كل شجرة مسيرة يوم وليلة فسبحان القادر على كل شئ ويروى في بعض الاخبار ان ابليس اللعين لا زال يغوص الى الارض السابعة حتى وصل الى الحوت المسمى بهموت فتقدم اليه وقال له يا بهموت ان الثور يقول لك انه هو حامل الصخرة التي عليها الارضون وانك لا حمل لك مع حمله ولو كلفت أنت بحمل ذلك لم تطق وأنت الذي حملته وحملتها ولو كلفت الثور بحمل ذلك لم يطق فأعجب الحوت في نفسه و بقوته فظن ابليس اللعين انه قد أغوى الحوت وانه سيفسد ما عليه فاضطرب الحوت من تحت قوائم الثور فسلط الله تعالى على الحوت دابة لطيفة قدر فراشة واسمها الآمة فأوقفها بين عيني الحوت فصارت تنقره على دماغه حتى وصلت الى عظم دماغه فذل ووقف مكانه ولم يتحرك واشتغل بما ناله من الالم من تلك الدابة ثم ان ابليس اللعين مضى الى الثور واغواه كما أغوى الحوت فسلط الله على الثور دابة لطيفة وأجلسها عند منخره فذل ووقف كما وقف الحوت ولم يتم لابليس اللعين ما دبره من الحيلة للفساد أورد ذلك الثعلبي قال ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلق الله الارض يوم السبت وخلق الجبال يوم الاحد وخلق الاشجار يوم الاثنين وخلق الكروم يوم الثلاثاء وخلق الظلمة والنور يوم الاربعاء وخلق الدواب يوم الخميس

وخلق آدم عليه السلام يوم الجمعة وقد اختلف جماعة من العلماء في اليوم الذى ابتدأ الله تعالى فيه بالمخلوقات وهو على ثلاثة أقوال فقال ابن اسحاق هو يوم السبت وقال كعب الاحبار هو يوم الاحد وقال أهل الانجيل هو يوم الاثنين وقال النبي صلى الله عليه وسلم خلق الله تعالى في يوم الجمعة الشمس والقمر والنجوم والملائكة الى ثلاث ساعات مضين من يوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام في آخر يوم الجمعة وأهبط من الجنة عند غروب الشمس من يوم الجمعة وقال وهب بن منبه انما سمي يوم الجمعة لان طينة آدم جمعت فيه فلذلك سمي الجمعة وقال حذيفة اليماني روى في بعض الاخبار ان الدنيا مسيرة خمسمائة عام منها ثلاثمائة عام بحار وجبال ومائة عام عمار ومائة عام خراب وقال بعض علماء الهيئة ان الجهات ستة الشرق وهو حيث تطلع الشمس اى تشرق والقمر والنجوم والغرب وهو حيث يغربن فيه والشمال وهو حيث مدار الجدى وقد أفرط هنالك البرد والجنوب وهو حيث مدار سهيل وهو ما يلي كرة السماء والتحت وهو ما يلي كرة الارض والفوق وهو ما يلي الافلاك قال بعض الحكماء فجهة الشمال واقعة تحت مدار الجدى وقد أفرط هنالك البرد فيصير ستة أشهر ليلا دائما مستمرا وهذه مدة الشتاء لا يرى هنالك النهار وتجمد في هذه الجهة المياه لقوة البرد فلا ينبت فيها شئ من النبات ولا يقيم فيها حيوان وأما جهة الجنوب فحيث مدار سهيل فيصير هنالك ستة اشهر نهارا دائما مستمرا بغير ليل وهذه مدة الصيف فيفرط هنالك الحر والسموم فلا ينبت فيها نبات ولا يقيم فيها حيوان لشدة الحر هنالك فلا تسكن تلك الجهات

﴿ذكر أخبار اجزاء الارض﴾ قال الحكيم هرمس الدنيا سبعة أجزاء جزء منها للترك وجزء منها للعرب وجزء منها للفرس وجزء منها للسودان وثلاثة أجزاء منها ليأجوج ومأجوج وقال ان الاقاليم أيضا سبعة وهي اقليم الصين واقليم الحجاز واقليم الهند واقليم الروم واقليم يأجوج ومأجوج واقليم العرب وقال أطراف الدنيا اربعة والنواحي خمسة وأربعون والمدائن والحصون احد وعشرون الفا وستمائة مدينة ففي الاقليم الاول ثلاثة آلاف ومائة مدينة وفي الاقليم الثاني ألف وسبعمائة وثلاثة عشر مدينة وفي الاقليم الثالث ثلاثة آلاف وتسعمائة وتسعة وسبعون مدينة وفي الاقليم الرابع الف وتسعمائة وأربعة وسبعون مدينة وفي الاقليم الخامس ثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعة وثلاثون مدينة وفي الاقليم السادس ثلاثة آلاف وخمسمائة مدينة وفي الاقليم السابع ثلاثة آلاف وثمانمائة مدينة ولم يذكر هرمس غير المذكور هنا وذلك غير القرى والرساتيق وذكر ان مساحة الدنيا خمسة آلاف ألف فرسخ وخمسمائة ألف ألف فرسخ وثلاثة وستون ألف فرسخ والفرسخ ثلاثة

أميال والميل أربعة آلاف ذراع بالذراع القديم وهو ستة وثلاثون أصبعا بخلاف الذراع الهاشمي و يقال ان العالم السفلي مقسوم أيضا على سبعة أجزاء وفيه أيضا أقاليم كما في أعلى الارض انتهى ذلك

﴿ذكر خلق البحار﴾ قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزى ان الذى عرف من البحار فى الدنيا تسعة وعشرون بحرا غير ما ظهر من الانهار والعيون ﴿فائدة لطيفة فى الفرق بين البحر والنهر﴾ قال الجوهرى فى الفرق انما سمى البحر بحرا لاستبحاره وانبساطه وسعته لانه شق فى الارض شقا وفى كلام العرب الشق هو البحر فكانوا يقولون للناقة اذا شقوا أذنها بحيرة وقال الزجاج وكل نهر ذى ماء كثير اكد بحر لكن اذا جرى يقال له نهر كدجلة والفرات والنيل وما أشبه ذلك فيكون الماء اذا اتسع ولم يجر بحرا واذا جرى فهو نهر و يقال للبحر الصغير بحيرة قال ابن الجوزى ان الذى عرف من البحار فى الدنيا تسعة وعشرون بحرا ففى جزيرة الشرق منها ثمانية بحور وفى جزيرة الشمال أحد عشر بحرا وفى جزيرة الجنوب اثنان وفيها من الجزائر المعروفة احدى وسبعون جزيرة وفى جزيرة الشرق ثمان جزائر وفى جزيرة الغرب ستة عشر جزيرة وفى جزيرة الشمال أحد وثلاثون جزيرة وفى جزيرة الجنوب ستة عشر جزيرة ﴿وأما البحار الكبار المشهورة فسبعة وهى المحيط بالدنيا و يقال ان مسافته أربعة وعشرون ألف فرسخ وجميع البحار تأخذ منه قال بعض العلماء انما سمى البحر المحيط محيطا لاحاطته بالدنيا ولذا كان الحكيم ارطاطاليس يسميه الاكليل لانه حول الارض بمنزلة الاكليل على الرأس وبهذا البحر من العجائب ما لا يسمع بمثلها ويخرج من هذا البحر ستة بحار كبار أعظمها اثنان وهما اللذان ذكرهما الله تعالى فى القرآن فى قوله عز وجل مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان أحدهما يخرج من جهة الشرق والآخر من جهة الغرب فالشرقى يقال له الصينى والهندى والفارسى واليمنى والحبشى والغربى يقال له البحر الرومى وأما ذكر عجائب البحر المحيط قال ابن الجوزى ان به جزائر فيها غنم لا يحصى عددهم ولحومهم مرة لا تؤكل فيذبحون منها أهل الجزائر و يصنعون منها الانطاع و بهذه الجزائر شجر يطرح شيأ مثل التين ومن شأنه اذا أكله المسموم يبرأ من وقته وفى هذه الجزائر حيات عظيمة تبتلع الجاموس وفى هذا البحر أسماك كل سمكة مسيرة ثلاثة أيام و يرى فى عينها كالبرق الخاطف وفيه سرطانات عظيمة قدر الجبل وفيه حجر يسمى البهت اذا مسكه أحد من ذوى الحوائج ودخل على سلطان أو حاكم انعقد لسانه عنه وقضيت حاجته منه وفى هذا البحر عجائب كثيرة وهو بحر مظلم كدر المياه منتن الروائح صعب المسالك لما فيه من الدواب الكواسر وهيجان أمواجه ولا يعلم له آخر ولا يقف أحد على صحة اخباره سوى ما عرف من بعض سواحله وما قرب من

جزائره اه والبحر الثانى هو البحر الصينى ومخرجه من الشرق وهو كدر اللون ومخرجه
من بحر المحيط ومن عجائبه أن به مغاوص اللؤلؤ وبه معدن المرجان فيقال انه ينبت
فى قاع البحر كما تنبت الاشجار فى الارض وتتشعب منه عروق فى الماء وهى لينة مثل
عروق الشجر فاذا قلعت تجف فى الهواء ويتحجر بها ويحملونها فتصير جامدة وقيل ان
الغائصين عليه يعمدون الى شباك من القنب الغليظ ويثقلونها بالحجارة حتى أنها
تدور بها من أصول الشجرة ثم يجذبونها حتى تنقلع فيخرجونها الى البر ويتركونها حتى
تجف ثم يفصلوها قطعا قطعا كبارا وصغارا على قدرها وأما أخبار اللؤلؤ فقيل ان الذين
يغوصون على اللؤلؤ يعمدون الى أخشاب من شجر المقل ويدلونها بحبال من الليف فى
اماكن معروفة بمواضع اللؤلؤ ويجعلون فى تلك الاخشاب حجارة سودا كبارا نحو ستين
رطلا وسبب ذلك أن فى تلك الاماكن من الحيوانات أشياء كثيرة تبتلع الغائصين
فتنفر من الحجارة السود وقيل ان الغائصين اذا رأوا شيأ من الحيوانات المذكورة
ينبحون عليها كنبح الكلاب فتنفر منهم فعند ذلك يصيدون الصدف ثم ان الغائص
يلتقط الصدفة ويضعها فى الوعاء التى فى صدره فاذا أخرجها الى البر استخرجوا من
بطونها اللؤلؤ فمنه صغار ومنه كبار * ومن الحكايات الغريبة أن بعض التجار سافر الى
مغاوص اللؤلؤ فانفق جميع ما ملكه للغواصين ولم يطلع له شئ من اللؤلؤ فلم يبق معه
شئ فساعده التجار وأعطوه شيأ للغطاسين حتى غطسوا له مرة أخرى فلما غطسوا غابوا
فى البحر ساعة ثم طلعوا له ببنت من بنات البحر لها ذوائب مثل شعر النساء وهى حسنة
الصورة فأخذها ذلك التاجر ومضى بها الى منزله فقعدت عنده ثلاثة ايام لا تأكل ولا
تشرب ولا تتكلم فقال لها ذلك التاجر بالاشارة أتسيرى الى البحر فأشارت اليه
برأسها نعم فأخذها ووضعها فى مركب ودخل بها الى المكان الذى أخرجوها منه فلما
رأت ذلك الذى أخذت منه ألقت نفسها الى البحر فلما صارت فى قاع البحر سمع من
ذلك المكان ضجيج عظيم فلما أراد أن يرجع بالمركب أمهل ساعة فلم يشعر الا بصدف
يرمى فى المركب من البحر فلا زالوا يرمون له من البحر حتى أوسقوا المركب من صدف
اللؤلؤ فرجع وهو أغنى التجار * وأما ما كان من أخبار بحر الهند وهو البحر الثالث
ومخرجه من البحر المحيط أيضا فيمتد من الى المشرق ويخرج منه أربعة خلجان خليج
يمتد خلف أرض الهند ويمشى من حواليها ألف وسبعمائة ميل وخليج يمتد الى ايلة
ويقال ان بهذا الخليج ألفا وثلاثمائة وسبعين جزيرة عامرة بالسكان وامتداده ثمانية
آلاف ميل وقيل أكثر من ذلك وعرضه ألفان وسبعمائة ميل وبه من العجائب ما لا
يحصى قيل ان فى بعض جزائره جزيرة سكانها مثل الوحوش ووجوههم مثل وجوه
البغال وجسدهم مثل جسد بنى آدم وبه توجد الدابة التى منها عنبر الخام وقد

روى فى بعض الاخبار أن دابة العنبر كانت من أعظم دواب البحر وكان طولها نحو مائة ذراع فصارت تفسد الزرع وتأكل الاشجار فساقها جبرائيل عليه السلام الى البحر المحيط فصارت من دوابه فتطلع الى الجزائر وترعى من الاشجار والاعشاب الطيبة فتقذف من بطنها هذا العنبر الخام فيجدونه فى بعض جزائر هذا البحر وقيل انها تقذف من بطنها فى كل يوم مرة قدر خمسمائة رطل ويوجد فى هذه الجزيرة دابة الزباد وهى مثل الهرة والزباد من عرق ابطها ويوجد فى هذه الجزائر العود القمارى وهو من خشب أشجار تلك الجزائر وليس له هناك رائحة طيبة ويوجد فى هذه الجزائر أحجار براقة ولها لمعان يتلألأ نورا وتسمى هذه الاحجار ضحكة الباهت ومن شأن هذه الاحجار اذا نظر اليها انسان ضحك فى الحال واستمر يضحك الى أن يموت وفى هذه الجزائر سباع لها قرون طوال ولا يقدر أحد من الناس أن يقابلها فيثبون عليه وفيها أفيال عظيمة الخلقة فمنها من لونه أبيض أو أسود وفيها النمورة والفهودة وأشياء كثيرة من الوحوش الكواسر انتهى ما أوردناه من ذكر البحار السبعة وذلك على سبيل الاختصار والله أعلم

﴿ذكر أخبار الانهار والبحيرات﴾ فأما البحيرات المشهورة فهى بحيرة السودان ببلاد المغرب وبحيرة الفيوم وبحيرة نسترة وهى بين الاسكندرية ورشيد وبحيرة دمياط وتنيس وبحيرة زغر التى ماؤها منتن وخم ومنها نهر الاردن وهو نهر الشريعة وبحيرة طبرية المنسوبة الى بلدة هناك وهى خراب على شاطئها الغربى وفيها حمام ماؤه حار بصنع الله تعالى قال الثعلبى فى قصص الانبياء ان هذا الحمام بناه سليمان ابن داود عليه السلام وكان من عجائب الدنيا حتى قيل ان من جملة عجائب الدنيا ثلاثة منارة الاسكندرية وحمام طبرية وجامع بنى أمية وكان ماء هذا الحمام يخرج من اثنى عشر عينا فكان ماء كل عين منها مخصوص بمرض من الامراض فاذا اغتسل منه صاحب ذلك المرض عوفى باذن الله تعالى وكان ماؤها شديد الحرارة صافى اللون ولم يزل هذا الحمام عامرا الى ما ذكرناه حتى خربها بختنصر لما استولى على البلاد كما سيأتى وبحيرة بانياس الكبيرة التى يخرج منها عدة أنهار وبحيرة البقاع بالقرب من بعلبك ودمشق وبحيرة القدس الشريف وبحيرة حمص وانطاكية وبحيرة دست أرزن بالقرب من شيراز وبحيرة خوارزم وماؤها مالح وبحيرة أرجيس وهى شرقى اخلاط وماؤها أيضا وهى بحيرة كبيرة دورها مسيرة أربعة أيام وهذه البحيرة يصاد منها السمك المعروف الذى يخرج منه البطارخ الذى يحمل منه الى سائر البلاد قال أبو يعقوب الصياد كنت أصطاد يوما فى بحيرة أرجيس فاصطدت منها سمكة فرأيت على جنبها الايمن مكتوبا بقلم القدرة لا اله الا الله وعلى جنبها الايسر محمد رسول

الله فلما رأيت ذلك قذفتها في الماء احتراما لما رأيته عليها من الكتابة

﴿ذكر أخبار الانهار﴾ المشهور منها الدجلة ونهر سيحان ونهر جيحان والفرات والنيل فأما الدجلة فيقال ان الذي حفرها وأجرى اليها الماء من الفرات هو دانيال عليه السلام قال بعض الحكماء ان الشرب من ماء الدجلة يضعف شهوة الرجال ويزيد شهوة النساء ويقطع نسل الخيل حتى أن جماعة من العرب كانوا لا يسقون منها خيلهم وأما جريانها فانها تجرى من بلاد آمد الى ديار بكر وهى أعين من بلاد خالد ومقدار جريانها على وجه الارض ثلاثمائة فرسخ وقيل أكثر من ذلك ومن عجائب الدجلة الدوى والجزر وهو دائم فيها مع الريح كل يوم صيفا وشتاء وأما الفرات فبدؤها من بلاد قاليقلا من ثغور الارض نحو ارمينية من جبال هناك تدعى انودخس على نحو يوم من قاليقلا ومقدار جريانه على وجه الارض خمسمائة فرسخ وقيل أكثر من ذلك وأما الآن فجريانه من شمالى الاردن من بلاد الروم من جهة الشرق ولا يزال يجرى على وجه الارض حتى يخرج الى فضاء العراق ثم يصب فى بطائح كبار فيجرى منها أنهار كثيرة معروفة فى تلك الجهات قال ابن الوردى

ان للشام فراتا ❊ لم تصل مصر اليها كم بمصر من وجوه ❊ فضل النيل عليها

وأما نهر سيحان وجيحان فهما غير سيحون وجيحون قال النووى فى شرح مسلم فى قوله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة قال كعب الاحبار ان النيل هو نهر العسل فى الجنة والفرات هو نهر الخمر فى الجنة وسيحان هو نهر الماء فى الجنة وجيحان هو نهر اللبن فى الجنة وقيل ان عناصر هذه الانهار الاربعة تجرى من تحت سدرة المنتهى وقيل من تحت صخرة بيت المقدس والله أعلم بذلك (فائدة) وهى ان الدابة اذا أصابها المغل يكتب على قوائمها الاربعة على كل قائمة اسم نهر وهو سيحان وجيحان والنيل والفرات فانها تبرأ من ساعتها سريعا وقد جرب ذلك وصح وأما نهر مهران بأرض الهند قيل انه فرقة من النيل وقد استدلوا على ذلك بأن فيه التماسيح والضفادع

﴿ذكر البحار﴾ أما بحر الترك وهو المعروف ببحر الخزر وهو بحر كبير عرضه ثمانية عشر ألف ميل وطوله ستة آلاف ميل وقد صار فيه مائة وسبعون جزيرة منها الادقية وبيروت واقريطش ويمر على بلاد العرب قاطبة منها افريقية وبراقة والاسكندرية وأرض فلسطين من سواحل الشام ثم ينعطف من هناك الى انطاكية فيمر على بلاد كثيرة منها القسطنطينية وغيرها الى بلاد المغرب ثم ينتهى الى البحر المحيط الذى خرج منه وقال ابن عبد الحكيم فى تاريخ مصر ان الذى خرق هذا الثقب وأجرى ماءه هو الاسكندر ذو القرنين فسلطه على أهل تلك البلاد لما

عصوه ولم يدخلوا تحت أمره وقال بعض علماء التفسير ان هذا المكان هو مجمع البحرين الذي تلاقى فيه موسى والخضر عليهما السلام كما ذكر في القرآن العظيم أقول وقد كانت ملوك الافرنج تسمع بأخبار هذا الثقب قديما وانه يمكن ان ينفذالى بحر الهند منه وكانوا يوصوا أولادهم بأن لا يغفلوا عن الثقب حتى يتسع لهم الثقب فكانوا يتوارثون التوصية ويوسعون في الثقب فصارت تدخل المراكب الكبار في ذلك الثقب في أوائل القرن العاشر فصارت طائفة من الافرنج يقال لهم البرتقان يدخلون من هذا الثقب في المراكب الكبار ويصلون الى بحر الهند نحوا من ثلاثين مركبا مشحونة بالمقاتلين بأنواع السلاح والمدافع فصاروا يخرجون على التجار المسافرين في بحر الهند ويملكون منهم عدة قرى من بلاد الهند فأرسل الملك الاشرف وزيره الغوري بتجريدة في مراكب وصحبته الامير حسين فكسرهما العسكر المصري وكسبوا منهما مراكب مشحونة بالمال والقماش والسلاح وغرق منهم مراكب بعد ما كسروا المدافع قال وقتل ابن البرتقان في هذه الوقعة ثم بعد ذلك كبست الافرنج بعد مدة يسيرة على مراكب المسلمين على حين غفلة وكانت متفرقة فكسرتهم الافرنج ونهبت جميع ما كان مع المسلمين وأما بحر طبرستان وهو البحر السادس وطوله من المشرق الى المغرب ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة ميل وامتداده من البحر المحيط وفيه عشرون جزيرة منها ما هو مسكون ومنها ما هو خراب ومن عجائب هذا البحر أن فيه جزيرة فيها شجرة تثمر مثل اللوز وله قشر فاذا كسر خرجت منه ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بقلم القدرة لا اله الا الله محمد رسول الله وهي كتابة واضحة جيدة وبها شجرة لها أوراق كبار على قدر ورق القلقاس مكتوب على كل ورقة بخط أخضر أشد من خضرة الورق لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل ان عبدة الاوثان من قديم الزمان قطعوا هذه الشجرة فنبتت من ليلتها فعمدوا الى رصاص فذوبوه وقلبوه في جذر ما قطع من تلك الشجرة فلم تنبت وقيل ان في بعض جزائره شجرة تطرح نوعا مثل التفاح نصفها حلو في غاية الحلاوة ونصفها حامض في غاية الحموضة وذلك التفاح أبيض اللون مكتوب عليه على هيئة الجلالة بخط أحمر جيد الكتابة وفي بعض جزائره وحش يشبه خلقه بني آدم وهو ملفوف القامة وظهره عظمة واحدة وأهل تلك الجزيرة يرمون عليه بالنشاب ليصيدوه فلا يؤثر فيه النشاب ويولي عنهم ويشتمهم بالفارسية واذا جرى فلا تلحقه الخيل الغائرة وفي بعض جزائره أناس لهم ثلاثة أعين فالثالثة بين حواجبهم اه وأما البحر الزفتي فهو البحر السابع ولونه أسود ومادته من البحر المحيط وهو كريه الرائحة وخيم الهواء ويقال ان النيل ينحدر من أعلى جبل القمر ويمر في هذا البحر فيصير فوقه كالخيط الابيض على الثوب الاسود فتبارك الله

أحسن الخالقين سبحان الذى اتقن كل شئ وهذا البحر قليل المسالك لصعوبته لا يرى فيه شمس ولا قمر دائما فاذا اطلعت الشمس فى الدنيا يظهر فيه بعض شفق أحمر من ضوء الشمس وبه جزائر يطلع فيها قصب فارسى يدخل فى جوف القصبة الجمل بحمله وفى هذا البحر اسماك كبار تبلع المراكب لعظم خلقتها وقد روى فى بعض الاخبار عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال ان تحت العرش بحرا فيه اسماك لها أجنحة تطير بها الى الارض فتحرق الشمس أجنحتها فتقع على الغمام فيلقيها الغمام الى هذا البحر فتتربى فيه وقال بعض العلماء لما علم الله تعالى ان الوحوش الكواسر ضررها أكثر من نفعها قلل من نسلها فكانت اللبوة لا تحمل الا فى كل سبع سنين مرة واحدة واذا حملت أقامت عشر سنين حتى تضع ونقل بعض الحكماء ان الفيل اذا احتلم وطلب النكاح لا يعلو الفيلة بل يحك جنبه بجنبها حتى يجد اللذة فيمنى ثم يرخى ذكره فينزل المنى فى زلومته فيضعه فى فرج الفيلة فتارة تحمل وتارة لا تحمل ومن هنا وقل نسل الافيال والله أعلم بحقيقة الحال ويوجد فى هذه الجزائر شجر الحصا البان وشجر الابنوس وفيها أحجار اذا نقعت فى الزيت تضئ مثل الفتيلة ولا يطفأ ذلك وأما البحر الغربى وهو البحر الرابع فامتداده من البحر المحيط أيضا وهذا البحر لا يعرف منه الا ما ظهر من جهة الغرب وينتهى الى بلاد الحبشة والى خلف بلاد رومية وهو صعب المسالك لا يعرف له منتهى وفى بعض جزائره أشخاص متوحشة تسمى الغيلان وهى تقرب من شكل بنى آدم ولا تظهر الا بالليل وتهلك كل من تراه واذا جرى الواحد فلا تلحقه الخيل الغائرة ولا يؤثر فيه وقع السهام ويتناثر من فمه مثل شرر النار واذا طلع عليه النهار يختفى فى مغاير هنالك الى أن يدخل الليل وفى بعض جزائره يقطين عظيم الخلقة قيل انه يعمل من نصف اليقطينة مركب صغير يعدون فيها الى البر وفى هذه البحر سلحفات عظيمة الخلقة لها ذوائب شعر وهى تسبح فى البحر وتسد ما بين البرين فاذا أشرقت الشمس وثبت عليها الكلب تبلعها وكذلك اذا غربت وفى هذا البحر أمم على صور مختلفة ما بين شكل بنى آدم من رجال ونساء فمنهم من رأسه أقرع وله ذقن بيضاء يسمونه شيخ البحر وفيه مثل شكل الكلب والخنزير والقط والفرس والحمار والبقر والغنم وغير ذلك كما فى البر من الحيوانات وتزيد على البر من الاجناس قال بعض الحكماء ان حيوان البحر اذا أقام فى البر هلك وحيوان البر اذا أقام فى البحر هلك وسبب ذلك أن الله تعالى خلق حيوان البحر لا رئة له لان بها يقع النفس فلا اقامة له فى البر قال كعب الاحبار خلق الله ثمانين ألف أمة وجعل نصفها فى البحر ونصفها فى البر وهم على صور مختلفة وفى هذا البحر جزائر ينبت فيها قضبان لها لون كلون الذهب فاذا طلعت عليه الشمس صار له لمعان فلا يستطيع احد أن ينظر اليه

واما البحر الرومي وهو البحر الخامس ومادته من البحر المحيط أيضا ويمتد من على افريقيه والشام ويتصل بطرسوس وهو خمسة آلاف ميل وعرضه سبعمائة وستون ميلا وفيه جزائر عامرة يسكنها أمم من بني الاصفر وغيرهم وفيه من العجائب قيل ان في بعض جزائره تطلع دابة في كل سنة من البحر تشبه البقرة وفيها روح تقيم ساعة في البر ثم تموت فتصير قطعة زفت فيبيعها أهل تلك الجزيرة للافرنج فيطلون بها المراكب ونقل الباشوري في بعض مصنفاته أن ملكا من ملوك اليونان قصد أن يحفر خليجا من البحر الغربي الى البحر الشرقي و يرفع البرزخ من بينهما وكانت جزيرة الاندلس وبلاد البرابرة ينبت فيها شجر الجميز وكانت تلك الارض وخمة يسكنها أقوام من اليونان وكان بتلك الارض الطائر المعروف بالققنس وهو طائر حسن الصوت اذا سمعه انسان غلب عليه شدة الطرب فيموت السامع من وقته وكان هذا الطائر اذا حان موته حسن صوته قبل أن يموت بسبعة أيام فلا يمكن أحدا يسمع صوته الا يموت ويقال ان عامل الموسيقا كان من الفلاسفة فأراد أن يسمع صوت الققنس وهو في شدة صياحه فخشي على نفسه أن يموت من الطرب فسد أذنيه سدا محكما ثم قرب اليه وجعل يفتح أذنيه شيأ فشيأ ثم استكمل فتح الاذنين في ثلاثة أيام الى أن وصل الى سماعه رتبة بعد رتبة وقيل ان ذلك الطائر هو وافراخه غرقوا لما هجم الماء على تلك الارض فلم يبق له وجود بعد ذلك ويقال ان الملك الذي أجرى ماء هذا الخليج حفر زقاقا طوله ثمانية عشر ميلا في عرض اثنى عشر ميلا وبنى بجانبه عضادتين وعقد عليهما قنطرة فلما فتح البرزخ من البحر الغربي فتح منه قدرا يسيرا من ثقب في جبل كان حاجزا بين تلك الارض والبحر فلما دخل الماء في ذلك الثقب كان ماء البحر الغربي أعلى من تلك الارض فلما ساح الماء غطى تلك العضادتين والقنطرة وساق قدامه بلادا كثيرة ❊ وأما نهر العرجاء ويسمى أيضا نهر أبي بطرس وهو شمال مدينة الرملة ومجراه نحو اثنى عشر ميلا ومنبعه من تحت جبل الخليل عليه السلام وينتهي حتى يصب في البحر الرومي وأما نهر الاردن وهو نهر الغور المسمى بالشريعة وينتهي الى بحيرة طبرية وقد عد الدجلة أيضا من جملة الانهار وأنها راتجري من بلاد الروم الى أعلى آمد وحصن كيفا والموصل وتكريت وبغداد وواسط والبصرة وينتهي الى بحر فارس وأما نهر حماة وحمص المسمى بالعاصي فانه يجري من جهة الجنوب الى الشمال وهو بخلاف غيره من الانهار فانه لا تسقى منه الارض الا بالنواعير ومنه فرقة تمضي الى بعلبك وينتهي في مصبه الى البحر الرومي وقد قالت الشعراء فيه فمن ذلك ما قيل في فيه

ناعورة في النهر أبصرتها ❊ تشوق الداني والقاصي
قد نبهتنا للهدى والتقى ❊ لانها تبكي على العاصي

أضحت حماة للورى جنة ❊ يدخلها الدانى مع القاصى
ولم يكن يسمع قبل ذا ❊ بجنة فى وسطها عاصى

قال بعض الحكماء وكان من تمام حكم الله تعالى حيث جعل الانهار الحلوة جارية والبحار المالحة راكدة لان ركودها نعمة ودفع مضرة وأيضا البحار المالحة يصب فيها جميع الانهار وماء السيول والعيون وهى لا تزيد بقدرة الله تعالى فلو زادت لاغرقت الارض وهذا من رحمة الله كما أخبر فى القرآن العظيم مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان

❊ذكر أخبار النيل❊ قال الواقدى ان معاوية بن أبى سفيان قال يوما لكعب الاحبار هل تجد للنيل ذكرا فى كتاب الله تعالى يعنى فى التوراة والانجيل والزبور والفرقان قال والذى فلق البحر لموسى انى لاجد فى التوراة ان الله يوحى اليه عند ابتدائه ويأمره أن يجرى حيث ماشاء الله تعالى ثم يوحى اليه عند انتهائه ويأمره أن يرجع راشدا حيث شاء الله تعالى يعنى أن الله يوحى اليه عند زيادته ونقصانه

❊فصل فى بيان المكان الذى يخرج منه النيل وفى المكان الذى يذهب منه❊ قال المسعودى فى مروج الذهب نقل صاحب الاقاليم السبعة ان أصل النيل من جبل القمر من عشرة أعين فتجتمع كل خمسة أعين فى بطيحة هنالك ثم يجريان وذكر أن صفة جبل القمر انه منقوش وعلى رأسه شراريف كبار وذكر أن جبل القمر خلف خط الاستواء الذى يستوى فيه الليل والنهار دائما وان القمر يطلع من عليه وقال المسعودى ان النيل يجرى على وجه الارض ألف فرسخ فى عمار وخراب حتى يأتى الى بلاد السودان من صعيد مصر والى هذا الموضع تسعد المراكب من الفسطاط وعلى أميال من اسوان جبال وأحجار يجرى النيل فى وسطها فلا سبيل الى جريان السفن فيه وهذا الموضع فارق بين مواضع سفن الحبشة وسفن المسلمين و يعرف هذا الموضع بالجنادل والصخور ثم ان النيل ينتهى الى بحر دمياط ورشيد والاسكندرية فيصب فى البحر المالح من هنالك اه كلام المسعودى وقال الكندى ان النيل يخرج من قبة من الزبرجد ويمر على أرض ينبت فيها قضبان الذهب فيفترق من هنالك نهران أحدهما يجرى الى أرض الهند ويسمى نهر مهران والآخر يجرى نحو أرض الزنج وقال هرمس يخرج من هذه القبة أربعة أنهار وهى سيحان وجيحان والفرات والنيل ❊ ومما يحكى ان ملك نقرواش الجبار بن مصرايم توجه الى منبع النيل فحفره وأصلح مجراه وكان يسيح فى الارض و يتفرق من غير حائز فهندسه وساق منه عدة أنهار الى أماكن كثيرة لينتفع بها الناس وعمل هنالك تماثيل من نحاس عدتها خمسة وثمانون تمثالا جامعة للماء حتى لا يخرج ماء النيل عنها وجعل لها منافذ

مستديرة يخرج الماء من حلوق تلك التماثيل وجعل لها قياسا معلوما بقاطع وأذرع معلومة فتخرج تلك الانهار ثم تصب فى بطيحتين فتخرج منهما المياه الى بطيحة كبيرة جامعة للمياه وجعل للتماثيل مقادير بين المياه ليكون فيها الصلاح لارض مصر دون الفساد وقدر تلك على ستة عشر ذراعا وكان الذراع يومئذ اثنين وثلاثين أصبعا ثم جعل فضلات تلك المياه تخرج الى مسارب عن يمين تلك التماثيل وعن شمالها ثم تصب الى رمال وغياض لا ينتفع بها من خلف خط الاستواء ولولا ذلك لغرق ماء النيل ما كان يمر عليه من البلدان قاطبة وقال لولا ان ماء النيل يمر فى البحر المالح ويكتسب من ملحه لشرب من مائه ماهو أحلى من العسل وأبيض من اللبن * وقال بعض الحكماء لولا الليمون بمصر لوخم أهلها من حلاوة النيل ولماتوا ولكن حموضة ماء الليمون تمنع الصفراء وقال الكندى ان النيل يمر على ستين مملكة من ممالك الحبشة والزنج وقال ابن زولاق فى تاريخه ان بعض الملوك أمر أقواما بالمسير الى حيث يجرى النيل فساروا حتى انتهوا الى جبل عال والماء ينزل من أعلاه وله دوى وهدير حتى لا يكاد أحد يسمع صوت من فى جانبه من أصحابه من دوى الماء ثم ان أحد القوم تسبب فى الصعود الى أعلى الجبل لينظر ما وراء ذلك فلما وصل الى أعلاه ضحك وصفق بيديه ثم مضى فى الجبل ولم يعد ولم يعلم أصحابه ماشأنه ثم ان رجلا آخر منهم صعد بعده ليرى ما وراء ذلك الجبل وما كان من أمر صاحبه ففعل مثل صاحبه وصفق ومضى فى الجبل ولم يعلم أصحابه ماشأنه فطلع ثالث وقال لاصحابه اربطونى من وسطى بحبل فاذا أنا وصلت الى ما وصل اليه أصحابى وفعلت كما فعلوا فاجذبونى بالحبل فلا أبرح من مكانى ففعلوا ذلك فلما صار فى أعلى الجبل صفق وأراد أن يمضى فى الجبل فجذبوا الحبل اليهم ونزل عندهم فلما وصل خرس لسانه ولم يرد جوابا وأقام ساعة ومات فرجع القوم ولم يعلموا غير ذلك من أخبار النيل * قال الامام الليث بن سعد رضى الله عنه بلغنى أن رجلا يقال له حامد بن أبى سالم وهو من ولد العيص بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام خرج هاربا من بعض الملوك الجبابرة فدخل الى مصر فلما رأى نيلها تعجب منه وحلف على نفسه أن لا يفارق ساحل النيل حتى يبلغ منتهاه ومن أين يخرج أو يموت قبل ذلك فسار على ساحل النيل نحوا من ثلاثين سنة حتى وصل الى جبل القمر فاذا هو برجل قائم يصلى تحت شجرة تفاح فلما رآه سلم عليه واستأنس به فقال ذلك الرجل الذى تحت الشجرة من أنت أيها الرجل فقال له حامد أنا من ولد العيص بن اسحق بن ابراهيم الخليل ثم قال له حامد من أنت فقال أنا أبو العباس الخضر فما جيئتك الى ههنا قال فى طلب معرفة النيل فقال له الخضر عليه السلام ستمر عليك حية ترى آخرها ولا ترى أولها فلا يهولك أمرها وهى دابة معادية للشمس

ماء النيل ينسى الغريب الوطن وأعظم من هذا كله ما جاءت به أخبار الشريعة ان منبعه من الجنة من تحت سدرة المنتهى وقد ورد بذلك أخبار نبوية قال الشيخ زين الدين بن الوردى

ديار مصر هى الدنيا وساكنها * هم الانام فقابلها بتفضيل
يامن يباهى ببغداد ودجلتها * مصر مقدمة والشرح للنيل

انتهى ما أوردناه من ذكر الانهار وذلك على سبيل الاختصار

﴿ذكر أخبار الجبال﴾ قال الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ان الذى عرف من الجبال فى سائر أقاليم الدنيا مائة وثمانية وتسعون جبلا فالمشهور منها ما سنذكره دون غيره من الجبال * اخرج ابن أبى الدنيا فى كتاب الورع ان أول جبل وضع على وجه الارض جبل أبى قبيس الذى بمكة وقال الواقدى ان جبل ق أبو الجبال كلها وقد جعل الله تعالى لكل جبل من جبال الدنيا عروقا متصلة به وروى فى بعض الاخبار أن الله تعالى وكل بجبل ق ملكا عظيم الخلقة يقال له ق فاذا أراد الله تعالى زلزلة فى الارض أو خسف ناحية أمر ذلك الملك الموكل بجبل ق أن يحرك عرقا من عروقه فاذا حركه تزلزلت تلك الارض أو خسف بها وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان جبل ق محيط بالدنيا وهو جبل عظيم لا يعلم قدره الا الله تعالى وقد أقسم به فى القرآن العظيم فقال عز من قائل ق والقرآن المجيد قال كعب الاحبار رضى الله عنه ان خلف جبل ق سبعين ألف أرض من فضة ومثلها من حديد ومثلها من مسك وهى مشرقة بالنور وسكانها ملائكة ولا يرى فيها قمر ولا شمس ولا حر ولا برد طول كل أرض عشرة آلاف سنة وخلف ذلك بحار من ظلمة وخلف ذلك حجاب من ريح وخلف ذلك حية عظيمة محيطة بجميع الدنيا تسبح الله تعالى الى يوم القيامة وروى فى بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خلق الله تعالى أرضا بيضاء مثل الفضة وهى قدر الدنيا ثلاثين مرة وبها أمم كثيرة لا يعصون الله طرفة عين قالت الصحابة يارسول الله أمن ولد آدم هم قال لا يعلمهم غير الله وليس لهم علم بآدم قالوا يارسول الله فأين ابليس منهم فقال ولا يعلمون بابليس ثم تلا قوله تعالى ويخلق مالا تعلمون قال وهب بن منبه ان بالقرب من جبل ق أرضا رجراجة لا تستقر عليها الاقدام وبها صنم من نحاس وهو ماد يده الى ورائه كأنه يقول ليس ورائى مسلك ويقال ان ذا القرنين وصل الى تلك الارض فى سبعين ألفا من عسكره فماتوا جميعا وأما الجبل الجودى الذى رست عليه سفينة نوح عليه السلام فانه من جبال الموصل وقد روى فى بعض الاخبار ان الله تعالى أوحى الى الجبال أنى مرسى السفينة على جبل منكن فتشامخت الجبال كلها الا جبل الجودى فانه تواضع وخر

ساجد الله تعالى فارسى الله السفينة عليه و يقال ان حجارة الكعبة نقلت من جبل
الجودى حتى يصير ثقله فى ميزان من يحج وأما جبل الراهون وهو الذى أهبط عليه
آدم عليه السلام لما أخرج من الجنة ويروى ان فى هذا الجبل أثر أقدام آدم وهى
مغموسة فى الحجر وطولها نحو عشرة أذرع و يرى على هذا الجبل نور ساطع يشبه البرق
لا يزال ليلا ونهارا وهو محيط بأرض الهند مشرف على وادى سرنديب وان أهل تلك
الناحية أقوام يقال لهم البرهت يقرون بالله تعالى ويجحدون الانبياء وهم عراة
الاجسام ولهم شعور تغطى عوراتهم وطعامهم من أشجار تلك الناحية وشرابهم
من عيون هناك وبهذا الجبل دابة تسمى الكركندو وهى مشهورة به وبهذا الجبل
معدن الياقوت الاحمر والاصفر والازرق وبه حجر الالماس وحجر السنباذج وغير ذلك
من المعادن الفاخرة وبتلك الارض أنواع الطيب كالسنبل والقرنفل وغير ذلك من
العطر الطيب ويقال ان ذلك الياقوت حصى ذلك الجبل وينحدر منه بالسيول
وفيه تعشش النسور فاذا لم ينحدر منه شئ بالسيول تذبح أهل تلك النواحى شيأ من
الحيوان ويسلخون جلده ثم يقطعون لحمه قطعا كبارا ويتركونها تحت ذلك الجبل
فتأتى اليها النسور فترفع ذلك اللحم وتنزل به على الجبل عند أوكارها فاذا وضعته على
الارض تعلق به حصى الياقوت ثم تأتى اليه نسور أخرى فتخطفه وتطير به الى أرض
أخرى فتضعه فيلتقط حصى ثم تخطفه نسور أخرى فربما هم طائرون به يقع منه
حصى الى أسفل الجبل فيلتقط الحصى المراقبون له وهذا الجبل شاهق فى الهواء
صعب المسالك جدا وبأرضه حيات عظيمة تبتلع الجمل والفرس والآدمى فاذا اثقل
فى بطنها عمدت الى أصل شجرة والتوت عليها فتقذف ما فى بطنها وقال ارسطاطاليس
ان فى بحر الهند جبلا اذا قربت السفن من هذا الجبل تناثرت مسامير الحديد التى
فيها جميعا وتأتى فتلتصق بهذا الجبل وهذا من سر حجارة المغناطيس فان الحديد
يجذبه حجر المغناطيس جذبا قويا ❊ وأما جبل القمر فقد تقدم ذكره فى أخبار النيل
وأما جبل الفتح فببلاد التتر يسكنه أمم من قبائل التتر نحو سبعين أمة لكل أمة
لسان وهو جبل عال وفيه مغاور وشعاب وأودية ومفاوز نتهى ذلك ❊ ومن العجائب
ان ببلاد سمرقند جبلا فيه أعجوبة وهى مغارة تدخلها الناس ويمشون تحت الارض
مقدار ساعة فيجدون الفضاء وفى ذلك المكان بحيرة عذبة الماء وحول تلك البحيرة
أناس قاطنون وفى ذلك المكان مسجد وكنيسة فاذا كان الداخل مسلما أتوا به الى
المسجد وان كان نصرانيا أتوا به الى الكنيسة وفى ذلك المكان مغارة فيها جماعة موتى
قد صاروا جلودا على عظام وهم على هيئتهم لم يتغير من محاسنهم شئ وعليهم أقبية من
القطن وكفوفهم مفتوحة كانهم يصافحون بها من أتى اليهم وعلى رؤسهم عمائم وهم

قيام وظهورهم الى حائط المغارة فنهم جماعة على وجوههم أثر الضرب بالسيوف وفى أجسادهم أثر الطعن بالرماح وفيهم الطويل والقصير والابيض والاسمر وهناك تابوت فيه امرأة وعلى صدرها صبى صغير وحلمة ثديها فى فمه وهناك سرير وعليه اثنا عشر رجلا وهم نيام على ظهورهم و بينهم صبى مخضبة بالحناء يداه ورجلاه ولم يثبت لهؤلاء القوم خبر ولم يعلموا من أى طائفة هم فمن الناس من يقول انهم من شهداء المسلمين قتلوا فى زمن عيسى بن مريم عليه السلام ومنهم من يقول انهم قتلوا فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذكر أهل تلك الناحية ان فى كل سنة يكسونهم الاثواب من القطن ويحلقون رؤسهم و يقمعون أظفارهم وهم عظام عليها جلود ولا أرواح فيها * وأما جبل كورة رسم من أعمال الشرق فيه أعجوبتان وهما ان فيه غارا اذا دخل فيه انسان وجد فى ذلك الغار حزمة من الحطب فيها قضبان عددهم خمسة عشر قضيبا لا يعلم من أى الاخشاب هى فاذا أخذ تلك الحزمة انسان وخرج بها من الغار سقطت أخرى غيرها فى الحال فهى على ذلك لا تنقطع على ممر الزمان ولو تكرر أخذها فى النهار مرارا سقط بدل ما أخذ والاعجوبة الاخرى به مغارة أخرى فيها عظم ميت وهو واقف فى المغارة فيأتى اليه انسان فيضعه على الارض ممدودا ثم يلتفت فيراه واقفا كما كان أولا ثم يخرج به من المغارة و يبعد به عن ذلك المكان مسافة بعيدة و يضعه فى البرية ملقى على الارض ثم يسوق فرسه مشوارا واحدا و يجىء الى تلك المغارة فيجده قد سبقه الى تلك المغارة وهو واقف كما كان فيها أولا وأهل تلك الناحية يسمونه الشهيد اه ذلك وأما جبال مكة فنها جبل حراء وجبل ثور الذى به الغار وجبل ثبير وجبل مفرح الذى بالمدينة وجبل حنين وجبل عرفات وجبل المنحنى وغير ذلك من الجبال * ومن العجائب ان جبلا بمدينة آمد فيه صدع من أولج سيفه فيه ثم قبض عليه بجميع يديه يضطرب السيف و يرتعد صاحب السيف ولو كان صاحب السيف أشد الناس قوة وأما جبل قافونا فبدؤه من كتف السد الذى على يأجوج ومأجوج و ينتهى الى أرض الصين وأما جبل الجرد فهو عند بحر الظلمات ومن عجائبه ان به أناسا أعينهم فى مناكبهم وأفواههم فى صدورهم وليس لهم أكل سوى السمك و يقال ان عندهم بذلك الجبل بذرا اذا بذروه عندهم ينبت حملا مثل الخرفان فاذا بلغ النبت وجدوا بذلك الحمل روحا فاذا صار له شهران خرجت الروح منه فاذا ذبحوه وأكلوه لم يجدوا فيه طعم اللحم وليس فيه دسم وصفة الخروف عندهم يكون على قدر القط وليس على جسده صوف وأما جبل بكرسقانا ومبتدؤه من خلف بلاد التكرور وهذا الجبل تأوى اليه الوحوش الكواسر مثل السبع والكركند * وأما جبل اللكان فبأرض دمشق ومبدؤه من مكة أو المدينة وهذا الجبل يسمى هناك بجبل مفرح

ثم يمتد من هناك حتى يتصل بدمشق ويسمى بدمشق جبل لبنان وجبل الثلج ويمتد هذا الى انطاكية والمصيص ويصل الى بحيرة طبرستان عند باب الابواب ويمتد منه طرف الى صفد والمتصل منه بدمشق والمطل عليها يسمى بجبل قيسون ثم يتصل الى بعلبك ويسمى هناك بجبل لبنان ثم يمتد الى طرابلس والى حصن الاكراد ويتصل الى حمص من غربيها ويسمى فى تلك الجهة بجبل اللكان ولا يزال هذا الجبل يمتد الى أن يتصل بجبال الروم ويقال ان هذا الجبل يأوى اليه القاقم وهو شئ يشبه الفيران يتربى فى الثلج فيصيدونه بالشرك ❊ ونقل صاحب المبتدا أن ببعض نواحى دمشق جبلا لطيفا ينبت فيه نبات يشبه الريحان اذا وقف عنده انسان ونظر اليه وأنشد هذين البيتين يتمايل هذا النبات كتمايل من حصل له طرب بذكر حبيبه وهما هذان البيتان

ياساكنا بالجبل الملقع ❊ ويادياراظاعنين اسمعى
ماهى ديارى ولكنها ❊ ديارمن أهوى فنوحى معى

قيل ان الناس يقصدونه وقت القائلة فى شدة الحر وليس فى الجو هواء ويذكرون عنده هذين البيتين فيرون منه ذلك التمايل وان لم ينشدوه فهو ساكن لا يتحرك وهذا من العجائب وأعجب من هذه الحكاية ماذكره ابن وصيف شاه فى أخبار مصر أن بنواحى الصعيد شجرة اذا وضع أحد يده عليها وقال ياشجرة العباس جاءك الناس تجمع أوراقها وتشرع فى الذبول واذا قال لها عفونا عنك ترجع الى ما كانت عليه من الحسن والنضارة وهذه الشجرة تشبه شجرة السنط مستديرة الاوراق بهية المنظر وأما جبل طورسيناء قيل هو بالقرب من عقبة ايليا ويقال ان به قبرهرون أخى موسى عليهما السلام ❊ وجبل فى جهات الصعيد فيه عدة جبال كبار وصغار يوجد فيهما مقاطع الرخام السماقى واللازوردى والفستقى والابيض والكهرمانى ويقال فى البهنسا جبل فيه مغاير يوجد فيها الزمرد الدبابى قال المسعودى ليس فى الدنيا يوجد معدن الزمرد الدبابى الابمصر فى نواحى البهنسا ولم يزل هذا المعدن يوجد هناك الى أوائل قرن المائة السابعة ثم انقطع وجوده من هناك وأما الجنادل فهما جبلان صغيران والنيل يشق بينهما فيسمع له هناك دوى عظيم وذلك المكان لا تسلكه المراكب الكبار وهو الفارق بين سفن الحبشة وسفن المسلمين ويعرف بالجنادل والصخور كما تقدم ذكره وأما جبل الطير فهو بصعيد مصر فى ضيعة يقال لها أشمون مطل على بحر النيل وفيه أعجوبة لم يسمع بمثلها فى سائر البلدان وذلك أنه فى آخر فصل الربيع فى يوم معلوم من السنة تأتى اليه طيور كثيرة وهى بلق سود الارقاب مطوقات بالبياض وفى اصواتها بحة واذا طارت ملأت الآفاق ويقال لها طيور البح فيصعدون مكانا فى هذا الجبل فينفرد منها طائر فيضرب بمنقاره فى المكان فان تعلق بمنقاره فى

ذلك الشعب وقبض عليه تفرقت عنه بقية الطيور وان لم يتعلق ذلك الطير تقدم غيره فيضرب بمنقاره فان تعلق والا تأخر ويتقدم غيره فلا يزال يتقدم واحد بعد واحد حتى يتعلق واحد فان تعلق نفرت الطيور كلها وذهبت الى حال سبيلها فلا يزال ذلك الطائر معلقا بمنقاره حتى يموت ويضمحل فيقع على الارض وهذا دأب تلك الطيور فى كل سنة وهذه الواقعة مشهورة فى تلك البلاد وحكى أنه فى بعض السنين تعلق طائر بمنقاره فلما رأته الطيور متعلقا جعلت تضربه بمناقيرها وتسوقه الى أن جاء الى الشعب وضرب بمنقاره فتعلق كما كان حتى مات وهذه من العجائب وقيل اذا كانت السنة مخصبة جيدة يتعلق اثنان واذا كانت متوسطة يتعلق واحد واذا كانت مجدبة لم يتعلق شئ وأما الجبل المقطم فان أوله بالمشرق من نواحى بلاد الصين ويمر من بلاد التتر حتى يأتى الى مدينة فرغانة والى جبال التيم ويتصل بجبال القلزم من جهة أخرى قال بعض العلماء انما سمى بالمقطم لان المقطم مأخوذ من القطم وهو القطع لانه مقطوع من النبات والاشجار فلذلك سمى المقطم وروى عن الامام الليث بن سعد رضى الله عنه أنه قال لما قدم عمرو بن العاص الى مصر عند فتحها فلما فتحها سار يوما الى سفح الجبل المقطم وكان صحبته المقوقس عظيم القبط صاحب مصر فقال له عمرو بن العاص ما بال جبلكم هذا أقرع ليس به أشجار ولا نبات فقال له المقوقس ان فى كتبنا القديمة انه كان اكثر الجبال نباتا واشجارا فلما كانت الليلة التى ناجى موسى ربه فيها أوحى الله الى الجبال انى مكلم نبيا من الانبياء على واحد منكم فعند ذلك شمخت الجبال كلها الا جبل بيت المقدس فانه تصاغر فأوحى الله اليه لم فعلت ذلك فقال اعظاما واجلالا لك يارب فأمر الله تعالى كل الجبال ان تمده مما عليها من الاشجار فأمده الجبل المقطم بجميع ما كان عليه من الاشجار والنبات وكان اكثر الجبال اشجارا ونباتا فأوحى الله اليه انى موطنك على فعلك وذلك بغراس الجنة وهم المؤمنون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويروى ان كعب الاحبار رضى الله عنه قال لرجل من اصحابه يريد التوجه الى مصر فاذا جئت الى بيت المقدس فاصحب لى معك شيأ من تراب الجبل المقطم ففعل الرجل ذلك فلما دفع اليه تراب المقطم وضعه فى جراب وجعله عنده وأوصاه انه اذا مات يفرش ذلك التراب فى قبره للتبرك فلما مات وضعوا التراب فى قبره وأما الجبل الاحمر فانه متصل بالجبل المقطم مطل على القاهرة من شرقيها ويعرف بالجبل اليحموم واليحموم عند العرب الاسود وقال الكندى ان بمصر ثلاثة جبال صغار تسمى الشرف أحدها الذى وضعت عليه القلعة وسميت قلعة الجبل وهو من جملة الجبل المقطم والثانى الذى وضع عليه جامع أحمد بن طولون ويسمى يشكر ويقال ان موسى ناجى ربه عليه والجبل الثالث وهو المطل على بركة

الحبش الذي وضع عليه الرصد فعرف به وأما جبل الكبش فهو الذي عند الجسر الاعظم وكان قديما اشرف على بحر النيل وهو متصل بجبل يشكر وانما سمي بجبل الكبش لان الصحابة لما نزلت بأرض مصر سار كبش وهو رجل من الصحابة الى ذلك الجبل ونزل فيه وحده فمن ذلك سمي جبل الكبش وأما جبل لوقا وهو غربي مصر قليل الارتفاع وبعضه غير متصل ببعض والمسافة بينهما تضيق في مكان وتتسع في مكان وهذا الجبل أقرع مثل الجبل المقطم لا نبات به وماؤه مالح ويجفف ما يدفن فيه من بني آدم انتهى ما أوردناه من أخبار الجبال وذلك على سبيل الاختصار

﴿ذكر عجائب البلدان وما فيها من الحكم﴾ قال القضاعي ان من البلدان العجيبة مدينة رومية قيل ان دورها عشرون فرسخا وعليها ثمانية اسوار من الحجارة الصوان المانع وهي على جبل داخل البحر المالح وهو محيط بها ويقال ان الجن بنتها لسليمان بن داود عليهما السلام وحول هذه المدينة خندق من النحاس عمقه أربعون ذراعا وعرضه مثل ذلك وعليه ألواح من نحاس كهيئة الطوارق طول كل لوح خمسون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا في غلظ ذراعين وجعلوا من أول هذه المدينة الى آخرها أعمدة من النحاس الاصفر وعلى تلك الاعمدة مجراة من النحاس قدر الخليج يجري فيها الماء وبهذه المدينة أربعمائة منارة من الذهب الاحمر طول كل منارة مائة ذراع وهي حول الكنيسة الكبيرة وبها مكان مربع وعليه درابزون من الذهب ويقولون ان به ملكا من الملائكة مقيما في ذلك المكان لا يبرح عنه أبدا وبها جثة بطرس وبولص من حواري عيسى ابن مريم عليه السلام وهما في توابيت من ذهب معلقين بسلاسل من فضة في هذه الكنيسة وقد كان حولها ألف ومائتا كنيسة يسكنها الرهبان في صوامع بها ولهذه الكنيسة ثمانية وعشرون بابا مصفحة وهي بصفائح الذهب والفضة وفي دائرها ألف شباك من النحاس الاصفر خارجا عن الابواب الابنوس وفيها مائدة سليمان بن داود عليهما السلام وهي من الزمرد الاخضر وطولها ذراعان وعرضها ذراع وهي محمولة على اثني عشر تمثالا من الذهب بأعين من الياقوت الاحمر وهي تقد كالشمس وأما صفة هذه المدينة فأسواقها وشوارعها مبلطة بالرخام الابيض وبها حجارة مكتوب عليها بالقلم العبراني فاذا جعلوا تحتها قمحا طحنته بدوران سريع فيصير دقيقا فاذا افرغ القمح بطلت حركتها وبها أيضا من العجائب أنه في ليلة الشعانين ينفتح في الكنيسة الكبرى كوة فيخرج منها تراب أبيض ولا يزال يخرج الى الصباح فاذا طلع الفجر انقطع التراب ومن خاصية هذا التراب انه ينفع للملسوع فيفرقونه للاجر فاذا بيع بطل نفعه وكان بها من العجائب صخرة من رخام أخضر عليها كتابة بالقلم القديم فمن أراد ان يعلم حال الغائب أو المسافر أو الباقي

يجىء الى تلك الصخرة وينام عليها فيرى فى منامه جميع ما يكون من حال الغائب وغيره وكان بها من العجائب حجر اذا وضع عليه الانسان يده تقايأ كل ما فى جوفه فما دامت يده موضوعة فهو يتقايأ وان لم يرفع يده عنه كفايته والا اخرجت أمعاؤه فيموت وكان بها من العجائب شجرة من نحاس أصفر وعليها هيئة طائر من نحاس فاذا كان أوان الزيتون صفر ذلك الطائر النحاس صفيرا عاليا فيأتى اليه كل زرزور فى الدنيا وفى كل رجل من رجليه زيتونة وفى منقاره زيتونة فيضعونه على سطح الكنيسة الكبرى فتجمع الرهبان من ذلك الزيتون شيأ كثيرا فيعصرونه ويخرجون زيته فيكفيهم من العام الى العام وقيدوا كيلا وقيل كانوا اذا ادخروا فيها الغلال دهرا طويلا لا تتغير لانها مبنية فى مكان معتدل جدا غير وخيم

(وأما أخبار مدينة الاسكندرية) قال المسعودى هذه المدينة من أعظم مدائن الدنيا وقد بنيت بعد الطوفان على يد مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام ثم خربت بعد ذلك فبنتها الملكة رقود ثم خربت بعد ذلك فبناها الاسكندر ذو القرنين فعرفت به قال ابن عبد الحكم فى أخبار مصر بناها الاسكندر بن فلتش المخزومى وكان من اليونان وقيل بناها شداد بن عاد والاقوال فى ذلك كثيرة وقال بعض المفسرين ان الاسكندرية هى ارم ذات العماد التى ذكرت فى القرآن العظيم وقيل انها بنيت فى ثلاثمائة سنة وسكنت ثلاثمائة سنة وخربت ثلاثمائة سنة وقال ابن وصيف شاه بنيت الاسكندرية ثلاث طبقات بعضها فوق بعض وهى اثنا عشر فرسخا فى مثل ذلك وأقام لبنائها ألف ألف صانع وعمل فيها مسارب بقناطر تتصل الى بحر النيل قال ابن عبد الحكم لما أرادوا ان يبنوا أساس الاسكندرية كان يخرج اليهم من البحر صور على صفة السباع والذئاب والكلاب والخنازير وغير ذلك فيهدمون تحت الليل ما تبنيه الرجال بالنهار فلما أعيا الملوك ذلك حضر اليهم بعض الحكماء وعمل أشباه تلك الصور التى تطلع من البحر فلما خرجت تلك الصور رأت مثل صورها مقابلها فهربت منها ولم تعد بعد ذلك قال ابن عبد الحكم قامت الاسكندرية سبعين سنة لا يقدر أحد ان يدخلها الا وعلى عينيه شعرية أو خرقة زرقاء من شدة بياض حيطانها فانها كانت تخطف الابصار وكان لا يوقد بها سراج فى الليالى المقمرة وكانت عمارتها ممتدة من رمال رشيد الى برقة وتسير المراكب فى ظل الاشجار متسترة من حر الشمس ويقال ان أهلها اكثر الناس أعمارا لصحة هوائها وطيب أرضها ولم تزل الاسكندرية على ذلك حتى فتحها عمرو بن العاص قال المسعودى اختلف المؤرخون فيمن بنى المنارة فقيل انه الاسكندر بن فلتش الرومى وقيل الملكة رقود وقيل الذى بنى رومية بنى المنارة وقيل الاسكندر ذو القرنين قال ابن وصيف شاه كان الاسكندر بن فلتش من

اليونانيين وكان رأسه قدر القبة العظيمة وكان طول انفه ثلاثة أذرع فلما بنى هذه المنارة جعلها على كرسى من الزجاج كهيئة الجبل وهو فى جوف البحر وكان طول هذه المنارة فى الزمن القديم ألف ذراع ثم خربت حتى بقى منها مائتان وثمانون ذراعا وقد بنى فى أعلاها تماثيل من نحاس منها تمثال يدور مع الشمس حيث دارت ومنها تمثال يشير بيديه الى البحر فاذا وصل عدو الى البلد وصار قريبا منها يسمع لذلك التمثال صوت عال فيعلم أهل المدينة ان العدو صار قريبا منهم فيستعدون لقتاله وكانت هذه المنارة مبنية بحجارة من الصوان وبينها شئ من الرصاص المذاب وقد جعلوا فى هذه المنارة ثلاثمائة بيت بعضها فوق بعض وكانت الدابة تصعد الى تلك البيوت وهى محملة مما يحتاج اليه أهل تلك البيوت وكان لهذه البيوت طاقات تشرف على البحر الرومى وكان الغريب اذا دخلها يتوه فيها لكثرة بيوتها وطبقاتها وقيل ان جماعة دخلوها فتاه فيها أحدهم فلم يقدر على الخروج من التوهان ومات جوعا وكان بها مرابطون لاجل الجهاد لا يبرحون عنها وكان لاهل تلك المدينة يوم مشهور يسمونه يوم العدس فيجتمعون فيه عند المنارة و يأتون بطعام العدس و يأكلون عندها و يجعلونه للتنزه وكان يوقد بهذه المنارة نار ليلا ليهتدى اليها المسافرون وفى حسنها وكمالها يقول القائل

لله در منار سكندرية كم ❊ يسمو اليها على بعد من الحدق
من شامخ الانف فى أوصافه شمم ❊ كأنه باهت فى دارة الافق
للمنشآت الجوارى عند رؤيته ❊ كموقع النوم فى أجفان ذى أرق

قال ابن وصيف شاه فى أعلى هذه المنارة قبة من نحاس أصفر منصوب فوقها مرآة من معادن شتى وقيل كانت من الحديد الصينى وقيل كانت من زجاج مدبر بالحكمة وكان قدرها خمسة أشبار وقيل سبعة أشبار وهى على كرسى من نحاس مدبر بالحكمة وكانوا ينظرون فيها كل ساعة الى من يخرج من بلاد الروم من مسافة تعجز عنها الابصار فيستعدون لذلك فان كان العدو مدركهم يديرون تلك المرآة مقابل الشمس و يستقبلون بها سفن العدو فيقع شعاعها على السفن فتحترق عن آخرها فيهلك كل من فيها وان أراد أهل تلك المدينة أن يعلموا غيرهم من نواحيهم بعدوهم ينشروا فى أعلى المنارة أعلاما فيعلم أهل تلك النواحى بالعدو فيستعدون للقتال أيضا قال ولم تزل المنارة على هذه الحالة حتى جاء عمرو بن العاص وأخرج جماعة كتابا مكتوب فيه ان أموال الاسكندر تحت هذه المنارة وحسنوا لعمرو بن العاص هدمها وأخذ الاموال من تحتها ثم يعيدها الى ما كانت عليه كذلك فطمع فى ذلك وقلع المرآة وهدم من المنارة ثلثها فلم يجد شيأ فعلم أن ذلك دسيسة لهدم المنارة ليبطل عمل المرآة والصنم وغيرهما

من المنافع لهم المضرة للعدو فطلب الذين أشاروا عليه بهدمها فوجدهم قد هربوا وتمت حيلتهم على عمرو بن العاص وكان أصل هذه الحيلة من الروم ثم انه قد بنى المنارة ثانيا ونصب عليها المرآة كما كانت فبطل عملها الذى كانت عليه من الرؤيا والاحراق واستقرت المنارة قائمة فى الهواء بغير منفعة الى تسع وسبعين ومائة من الهجرة فوقعت زلزلة عظيمة فسقط رأس المنارة فلما استولى أحمد بن طولون على مصر بنى فى أعلى المنارة قبة من الخشب واستقرت على ذلك الى زمان الظاهر بيبرس البندقدارى فسقطت تلك القبة فبناها وجعل فى أعلى المنارة مسجدا وذلك فى سنة ثلاث وسبعين وستمائة واستقرت على ذلك الى اثنين وسبعمائة من دولة الناصر محمد بن قلاون فوقعت فى أيامه زلزلة عظيمة فسقطت المنارة عن آخرها ونسخ أمرها من يومئذ

﴿ذكر أخبار عمود السوارى﴾

قال القضاعى ومن العجائب عمود السوارى الذى بثغر الاسكندرية وهو من الحجر الصوّان وارتفاعه سبعون ذراعا ودوره خمسة أذرع ونصف وكان هذا العمود من جملة سبعة أعمدة وكان فوقها رواق يقال له بيت الحكمة فلما كان أيام سليمان بن داود عليهما السلام هدم ذلك البيت وجعله مسجدا للعبادة وكان حول ذلك الرواق أربعمائة عمود يسمونه الملعب يجتمعون تحت تلك العمد فى يوم معلوم من السنة ويرمون بينهم الكرة فلا تقع فى حجر أحد منهم والذى تقع فى حجره يكون ملكا فى مصر ولو بعد حين فحضر فى بعض أعيادهم عمرو بن العاص فوقعت الكرة فى حجره فملك مصر بعد ذلك فى زمن الاسلام وكان يحضر فى ذلك الملعب ألف ألف انسان من الاقباط وغيرهما من سائر الاجناس قيل لما وقعت الكرة فى حجر عمرو بن العاص تعجب كل من كان حاضرا وقالوا من أين لهذا الاعرابى أن يصير ملك مصر بيده فلا زالت ارادة الله تعالى الى أن صاروا الى مصر والاسكندرية من أعمال مصر وقد قال القائل

يقولون المنارة والسوارى ✽ وأهل للعوامد والبناء
ويفتخرون فى حق وجهل ✽ علتهم وحاصله هواء

قال المسعودى ان أهل الاسكندرية ينسبون الى الشح والبخل الزائد وتطول فيها الاعمار وكذلك قرية مريوط ووادى فرغانة بالغرب وسبب ذلك لقربها من النيل وظهور ريح الصبا فيها وذلك مما يعالج أبدانهم ويرقق طبائعهم ويرفع هممهم وقيل فيهم

نزيل سكندرية ليس يقرى ✽ بغير الماء أونعت السوارى
وذكر البحر والامواج فيه ✽ ووصف مراكب الروم الكبار
فلا يطمع نزيلهم بخبز ✽ فما فيها لذاك الحرف قارى

وقال

اسكندرية كربه ✽ وجمر نار تسعر

ان قيل ثغر أبيض * قلت ولكن أبخر

ذكر أخبار صنم الاهرام قال القضاعي ومن عجائب مصر الصنم الذي عند الهرمين بالجيزة ويسمى بالهوية ويعرف بابي الهول عند أهل مصر فيقال انه طلسم لدفع الرمل لئلا يغلب على أهل الجيزة وقال هذا الصنم من الحجر الكدان لا يظهر منه سوى رأسه وبقيته مدفونة في الرمل ويقال طوله سبعون ذراعا وفي وجهه دهان يلمع له رونق كأنه يضحك تبسما وكان في مقابلته صنم مثله في مصر عند قصر الشمع وهو من الصوان المانع ويقولون انه طلسم يمنع الماء عن بر مصر وكل من الصنمين مستقبل المشرق وبقي صنم قصر الشمع الى سنة احدى عشرة وسبعمائة ثم قطعه الملك الناصر محمد ابن قلاون وصنع منه أعتابا وقواعد لما بنى الجامع الجديد على بحر النيل ولم يبق لهذا الصنم أثر وبقي أبو الهول الى يومنا هذا وهو موجود عند الاهرام ومن العجائب أن قرية من أعمال اسوان وهي شرقي النيل ولها سور وأبواب وهي قرية خراب وعلى أحد أبوابها جميزة كبيرة فاذا كان أيام الشتاء يرون في كل يوم قبل طلوع الشمس أناسا غير جنس بني آدم يدخلون تلك القرية ويخرجون منها فاذا دخل الناس الى تلك القرية لم يروا فيها أحدا من الذين كانوا يدخلون اليها ويخرجون منها وهذه الواقعة مشهورة عند أهل تلك الناحية ومن العجائب أن ببلاد الهند ضيعة يقال لها كام وبها عمود من نحاس أصفر وعليه صفة طائر من نحاس فاذا كان يوم عاشوراء نشر ذلك الطائر جناحيه ومد منقاره فيفيض منه ماء يعم تلك القرية ويسقي زروعهم وبساتينهم ويملأ صهاريجهم وذلك يكفيهم من العام الى العام وهذا دأب الطائر في كل سنة ويقرب من ذلك انه كان ببلاد الاندلس فرس من نحاس وعليها راكب من نحاس فاذا دخلت الاشهر الحرم هطل من تلك الفرس الماء الغزير حتى يعم أرضهم وبساتينهم وآبارهم فاذا مضت الاشهر الحرم انقطع ذلك الماء وهو يكفيهم من العام الى العام ومن أعجب العجائب أن حكيما من بعض الحكماء في بعض مدائن بابل صنع حوضا من رخام أبيض وعليه كتابة بالقلم القديم فتجتمع أهل تلك المدينة ويأتي كل منهم بشراب فيفرغه في ذلك الحوض فتختلط الاشربة كلها في بعضها البعض حتى تصير شيأ واحدا ثم يقف الساقي على ذلك الحوض ويسقي فلا يطلع لكل واحد في قدحه الا من الشراب الذي أتى به وصبه في الحوض ومن العجائب أنه كان ببيت المقدس كلب من الخشب اذا مر به ساحر نبح عليه ذلك الكلب الخشب ويسلب منه عمل السحر ويقال ان بعض السحرة رمى ذلك الكلب بسهم ليقتله فعاد السهم على راميه فقتله ومن العجائب انه كان بمدينة اهر طلسم للبعوض فلا يدخلها البعوض فكان اذا اخرج أحد يده من السور الى خارج المدينة وقع عليها

البعوض واذا ادخلها ارتفع عنها البعوض ولا يدخل الى داخل السور ومن العجائب أن فى بلاد الشرق ضيعة وبها دير يقال له دير الخنافس ففى يوم معلوم من السنة يمتلئ الدير والارض التى حوله بالخنافس وهى تشبه سوس الخشب فتمشى الناس عليها لكثرتها فاذا انقضى ذلك اليوم لم ير من تلك الخنافس شئ وقد احتال بعض الناس على هذه الخنافس وأدخل منها شيأ فى القنانى وختم عليها بشمع فلما انقضى ذلك اليوم لم يجد فى القنانى شيأ والشمع بحاله مختوم ومن العجائب أن فى بلاد الهند مدينة تسمى دكين وبها أقوام يعبدون النار ففى يوم معلوم من السنة يأتى شخص أو أكثر من أهل تلك المدينة ويقرب نفسه الى النار فتوقد له النار بزيادة فاذا تسعرت النار طرح ذلك الشخص نفسه فيها فيكون له غليان عظيم ويخرج له دخان قتيم فاذا كان اليوم الثانى يظهر من تلك النار شخص على هيئة المحروق فيسلم على اصحابه فيسألونه عن حاله فيخبرهم انه فى رياض الجنة ويرغبهم فى ان يلقوا انفسهم فى النار ثم يختفى عنهم وذلك الشخص الذى يظهر لهم انما هو شيطان من الجن موكل بتلك النار وقد جعله الله لضلال هذه الطائفة. ومن العجائب ان ببلاد الصين مدينة يقال لها جاسق فيها رجال على صفة النسناس لا يتكلمون الا بالاشارة ولهم أيد طوال تصل الى أقدامهم عند الوقوف ولهم وثوب نحو عشرة أذرع فى الهواء ولم يأو هذا الجنس الا فى البساتين ويسكن على الاشجار وينفر من الناس ويتناكحون ويتناسلون فى البساتين ولهم احليل طويل يصل الى أفخاذهم وهم عراة الاجسام وفيهم الابيض والاسود ونساؤهم على هيئتهم فى الشكل ومن العجائب أن بمدينة أذربيجان واديا وبه دود أحمر يظهر فى زمن الربيع يسمونه القرمز فيلتقطونه ويطبخونه ويصنعون به اللون الذى يسمونه الارجوان وكان ابتداء وجود هذا الدود فى أوائل قرن المائة الرابعة وذلك ان راعيا كان يرعى غنمه فدخل الى ذلك الوادى ليرعى به الغنم فرأى كلب الراعى دودة فأكلها فبقى على خرطومه من دمها فأخذ الراعى صوفة ومسح بها ذلك الدم فانصبغت الصوفة بالحمرة فلما دخل المدينة شاع خبره بما وقع له فى ذلك الوادى فأتوه وجمعوا من ذلك الدود وخلطوا معه شيأ من القرمز وطبخوه فجاء من أحسن الالوان ويصبغون منه الآن ومن العجائب انه كان بمدينة حمص حجر ابيض وعليه صورة عقرب فاذا لدغ انسانا عقرب أخذ طينا وألصقه على تلك الصورة فاذا جف ووقع أخذه وذوبه بالماء وشرب منه الملسوع يبرأ من ساعته وذلك طلسم العقارب ومن العجائب ان ببلاد الصين كنيسة كبيرة ولها سبعة أبواب فيها قبة عالية وفى وسط تلك القبة جوهرة قدر بيضة الدجاج وهى معلقة تضىء منها تلك

القبة

القبة وقد جاء جماعة كثيرون ليأخذوا تلك الجوهرة فكان اذا دنا أحد منها على مقدار عشرة أذرع خر ميتا وان احتال عليها بشئ من الآلات الطوال كالرمح أو غيره انعكست حيلته فلمس الهاسيل وقد قصدها ملوك كثيرة فلم تتم لهم حيلة على أخذها ❊ ومن العجائب أهل قريتين قتلوا بالسيف عن آخرهم بسبب قطرة من عسل وسبب ذلك أن رجلا نحالا في قرية أخذ ظرفا من العسل ليبيعه في قرية أخرى فجاء الى زيات وفتح الظرف ليريه العسل فقطرت من العسل قطرة على الارض فانقض عليها زنبور فخطفته قطة فخطف القطة كلب وكانت القطة للزيات والكلب للعسال فلما رأى الزيات ان الكلب افترس القطة ضرب الزيات الكلب فقتله فلما رأى العسال كلبه قد قتل ضرب الزيات فقتله فلما رأى ولد الزيات ان أباه قد قتل ضرب العسال فقتله فلما سمع أهل القريتين بقتل الرجلين ليتساعدوا حربهم ولا زالوا يقتتلون حتى فنوا تحت السيف عن آخرهم وكان سببه قطرة من عسل كما قيل ومعظم النار من مستصغر الشرر ❊ لطيفة ❊ منتزهات الارض أربعة سغد سمرقند وشعب بوان ونهر الابلة وغوطة دمشق أما سغد سمرقند فهو نهر تحف به أشجار مثمرة بالفواكه والازهار وهي مشتبكة بعضها ببعض ممتدة مقدار اثنى عشر فرسخا في مثله وأما شعب بوان فهو من نواحي نيسابور وهي مقدار فرسخين وفيها أنهار متدفقة وأشجار مثمرة طيبة وأما نهر الابلة فهو من أعمال البصرة وهو على أربع فراسخ منها ومن جوانبه الاشجار الطيبة الثمار وأما غوطة دمشق فقدارها ثلاثون ميلا وعرضها خمسة عشر ميلا وهي مشتبكة بالاشجار كأنها بستان واحد لا تكاد الشمس تقع على الارض فيها وثمارها طيبة لم تكن في غيرها شعر

سألتكما ان جئتما الشام بكرة ❊ وعاينتما الشقراء والغوطة الخضرا
قفا واقرآ مني كتابا كتبته ❊ بدمعي لكم فاقرآ ولا تنسيا سطرا

والشقراء والخضراء اسما قريتين من قرى الشام ❊ وقال القيراطي

مافيه الا روضة أو جوسق ❊ أو جدول أو بلبل أو ربرب
فكأن ذاك النهر فيه معصم ❊ بيد النسيم منقش ومكتب
واذا تكسر ماؤه أبصرته ❊ في الحال بين رياضه يتشعب
وشدت على العيدان ورق أطربت ❊ بغنائها من غاب عنه المطرب
فالورق تشدو والنسيم مشبب ❊ والنهر يسقي والجداول تشرب
وضياء هاضاع النسيم بها فكم ❊ أضحى له من بيننا متطلب
فلكم طربت على السماع بذكرها ❊ وغدا بربوتها اللسان يشبب
أشتاق من وادي دمشق لغوطة ❊ كل الجمال الى حماها ينسب

الارض الجان فلما شكت الوحش والطير من أفعال الجن والبن خلق الله تعالى الجان كما تقدم ذكره فلما خلق الجان أسكنهم الارض فلما سكنوا تحاربوا مع البن فقوى الجان عليهم فاهلكوهم عن آخرهم ولم يكن لهم بقية فبقى الجان فى الارض فتناكحوا وتناسلوا حتى ملؤا الارض ثم وقع بينهم التحاسد والبغى وكثر فيهم سفك الدماء وشوش بعضهم على بعض فشكت الارض الى ربها فعند ذلك بعث الله اليهم جنودا من الملائكة ومعهم ابليس وكان اسمه عزازيل وكان رئيس الملائكة فطرد الجان من الارض فتوجهوا الى شعب الجبال وسكنوا بها فملك ابليس الارض منهم فكان يعبد الله تعالى فى الارض وفى السماء فاعجب بنفسه ودخله الكبر فاطلع الله على ما فى قلبه فقال عز من قائل واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون وقول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء يعنى كمن تقدم ذكرهم من الجن والبن فانهم كانوا يفسدون فى الارض ويسفكون الدماء انتهى ذلك

ذكر قصة آدم عليه السلام قال الثعلبى فى كتابه لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم عليه السلام أوحى الى الارض انى خالق من أديمك خلقا فمنهم من يطيعنى ومنهم من يعصينى فمن أطاعنى أدخلته الجنة ومن عصانى أدخلته النار ثم بعث الله تعالى جبرائيل عليه السلام الى الارض ليأتيه بقبضة منها فلما أتاها جبرائيل أقسمت عليه وقالت انى أعوذ بعزة الله الذى أرسلك أنك لا تأخذ منى شيأ يكون للنار فيه نصيب فلم يأخذ منها شيأ ورجع الى ربه وقال يارب قد استعاذت بك منى فكرهت أن آخذ منها شيأ فأمر الله تعالى ميكائيل أن يمضى اليها ويقبض منها قبضة من تراب فأقسمت عليه وقالت له مثل ما قالت لجبرائيل فبرّ قسمها ولم يأخذ منها شيأ فأرسل الله اليها عزرائيل فلما هبط اليها وكزها بحربة كانت معه فاضطربت فمد يده اليها فأقسمت عليه وقالت له مثل ما قالت لاخويه فقال لها أمر الله خير من قسمك وقبض قبضة من زواياها الاربع من جميع أديمها من أسودها وأبيضها وأحمرها من سهلها وجبلها وأعاليها وأسافلها ثم أتى بتلك القبضة بين يدى الله تعالى فقال الله تعالى له لم لم تجبها وقد أقسمت بى عليك فقال يارب أمرك أوجب وخوفك أرهب فقال له اذا أنت ملك الموت وقابض الارواح ومنتزعها من الاشباح ولم يكن قبل ذلك ملك للموت قال فلما قبض منها ومضى بكت على ما نقص منها فأوحى الله اليها انى سوف أرد اليك ما أخذ منك وهو قوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ثم ان الله تعالى أمر عزرائيل أن يضع تلك القبضة على باب الجنة فلما وضعها

أمر الله رضوان خازن الجنان أن يعجنها بماء التسنيم ثم أمر الله جبرائيل بأن يأتي بالقبضة البيضاء التي هي قلب الارض فخلق منها الانبياء ثم خلط الطين بالماء حتى صارت معجنة كبيرة وقد قيل في المعنى

يا مشتكي الهم دعه وانتظر فرجا ❊ وداروقتك من حين الى حين
ولا تعاند اذا أصبحت في كدر ❊ فانما أنت من ماء ومن طين

فلما عجنت تركت أربعين سنة حتى صارت طينا لازبا ثم تركت أربعين سنة أخرى حتى صارت صلصالا كالفخار ثم جعل من تلك العجينة جسدا مصوّرا وألقاه على طريق الملائكة التي تصعد منها وتهبط وترك أربعين سنة ملقى على تلك الهيئة قال تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا قال ابن عباس الحين أربعون سنة ❊ قال الثعلبي ان الله تعالى لما عجن طينة آدم عليه السلام أمطر عليها سحائب الهموم والحزن أربعين سنة ثم أمطر عليها السرور والفرح سنة واحدة فلذلك صار الهم أكثر من الفرح والحزن أكثر من السرور وأنشد في المعنى

أي شئ يكون أعجب من ذا ❊ لو تفكرت في صروف الزمان
حادثات السرور توزن وزنا ❊ والبلايا تكال بالصيعان

ثم ان الله تعالى أظهر آدم الى الوجود فكان طوله ستين ذراعا وجعل فيه ثلثمائة وستين عرقا ومائتين وأربعين عصبا واثني عشر مفصلا وفي رأسه سبع منافذ وجعل له اليدين والرجلين وغير ذلك وأتم خلقه فتبارك الله أحسن الخالقين ❊ وقال أبو موسى الاشعري لما خلق الله فرج آدم قال هذا أمانتي عندك فلا تضعها الا في حقها قال ابن عباس رضي الله عنهما خلق الله ثلاثة بيده الاوّل آدم والثاني شجرة طوبى والالواح المكتوبة فيها التوراة واليد عبارة عن القدرة انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون قال ولما كان آدم عليه السلام صلصالا كالخلية كان ابليس اللعين يمر عليه ويضرب بيده على بطن آدم فمن تلك الضربة صار مكانها السرة فكانت السرة علامة من ضرب ابليس وان سبب ضرب ابليس ليعلم أهو مجوّف أم صامد فلما رآه مجوّفا دخل الى باطنه فاطلع على جميع أعضائه ظاهرا وباطنا وعلى عروقه الا قلبه فانه لم يطلع عليه أحد غير الله تعالى ومنع ابليس عن القلب لانه بيت الرب ولهذا يقال ان الشيطان يجري من الانسان مجرى الدم قال فلما أراد الله تعالى أن ينفخ في آدم الروح أمرها بأن تدخل اليه من رأسه ولذلك سمي الرأس يافوخا ويروى ان الروح امتنعت من الدخول الى آدم فقالت يارب كيف أدخل الى مكان مظلم فناداها الرب جل وعلا ثلاث مرات وهي تأبى ثم دخلت في جسده كرها فأوحى الله اليها لو دخلت طائعة لخرجت طائعة ولكن سبق لك في علمي من الازل أن

تدخلي كرهاوتخرجي كرهافلما دخلت الروح الى دماغه استدارت فيه مائة عام ثم نزلت الى عينيه فابصرتا فنظرالى جسده وهو صلصال كالفخار ثم نزلت الى منخريه فشم الهواء فتنفس فعطس فنزلت الروح الى فيه ولسانه فألهمه الله حمده فقال الحمد لله رب العالمين فقال الله له يرحمك ربك يا آدم وهذا لك ولذريتك ولذلك سن تشميت العاطس وروى لما حمد الله آدم قال الله تعالى لهذا خلقتك يا آدم ثم نزلت الروح الى صدره واضلاعه وبطنه فصارآدم ينظرالى الروح وهي تنتقل وكلما انتقلت الى عضو يصير لحما وعظما وروحا ودما فلما بلغت الروح الى ركبتيه أخذ يعالج القيام فلم يقدر عليه فقال الله تعالى وخلق الانسان عجولا فلما عمت الروح سائر جسده قام وتحرك وتمايل وقد تمت خلقته باذن من يحيي العظام وهي رميم ❁ قال الحافظ اسماعيل السدي قرأت في الانجيل أشياء كثيرة فمنها ان عدد ساعات الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة يتنفس فيها ابن آدم ثلاثين ألف نفس في كل ساعة ألف ومائتان وخمسون نفسا واعتبار ذلك من الغرائب قال العزيزى ان الروح دخلت في جسد آدم يوم الجمعة وقد مضى من النهار سبع ساعات وهي من ساعات الآخرة ثم ان الله تعالى ألبسه من الجنة حلة خضراء من السندس وألبسه تاجا من الذهب مرصعا بالجواهر وله أربعة أركان في كل ركن منه درة عظيمة يغلب ضوؤها على ضوء الشمس وختمه بخاتم الكرامة ومنطقه بمنطقة الرضوان وسروله بسروال من السندس الاخضر ثم ظهر في جبهته نور ساطع كشعاع الشمس وهو نور محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان الله أمر الملائكة أن تحمله على أكتافها ويطوفوا به في السموات السبع فحملته الملائكة فطافوا به مقدار مائة عام حتى رأى ما فيها من العجائب ثم أمر الله تعالى أن ينصب له منبر من الذهب وعلمه الاسماء كلها وهي قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها الآية ثم ان آدم صعد المنبر وبيده قضيب من النور وذلك يوم الجمعة عند زوال الشمس فانتصب قائما وجمع الله له جميع الملائكة فقال آدم السلام عليكم ياملائكة ربي ورحمة الله وبركاته فقالت الملائكة وعليك السلام ياصفوة الله ورحمته وبركاته فقال الله يا آدم هذه تحية لك ولاولادك الى يوم القيامة فلما خطب آدم قال الحمد لله فصارت سنة في الخطبة فأول من خطب على المنبر آدم في يوم الجمعة ثم ان الله تعالى عرض الاسماء كلها على الملائكة فقال أنبؤني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فقالت الملائكة سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا فقال الله تعالى يا آدم أنبئهم باسمائهم فلما أنبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون ❁ قال وهب بن منبه أول من أفشى السلام آدم وفي بعض الاخبار ما أفشى السلام قوم الا أمنوا من العذاب والنقمة ثم قالت

الملائكة الهنا هل خلقت خلقا أفضل منا فقال الله تعالى أنا الذى خلقته بيدى وقلت له كن فكان ثم ان الله تعالى أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم فكان أول من سجد جبرائيل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين * ثم ان الله تعالى أمر ابليس بالسجود لآدم فأبى وامتنع من السجود فقال له الله تعالى مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى فقال ابليس أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين وأنا الذى عبدتك دهرا طويلا قبل أن تخلقه فقال الله تعالى لقد علمت فى سابق علمى منك المعصية فلم تنفعك العبادة اخرج من رحمتى مذموما مدحورا لأملأن جهنم منك وممن تبعك * فقال ابليس عند ذلك رب أنظرنى الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين فعند ذلك تغيرت خلقته وصار شيطانا رجيما وكان اسمه عزازيل وكان من كبار الملائكة ماترك بقعة من السماء والارض الاوله فيها ركعة وسجدة ولكن بعصيانه لم تنفعه عبادته وسمى ابليس لانه أبلس من رحمة الله أى أيس وقد هجاه أبو نواس بقوله

عجبت من ابليس من كبره * وخبث ما أضمره من نيته
تاه على آدم فى سجدة * وصار عدوا لذريته

سؤال لطيف لم أهلك الله تعالى أعداء سائر الانبياء وأبقى ابليس وهو عدو آدم عليه السلام فالجواب ان الله تعالى أبقى ابليس امتحانا للخلق وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أراد الله تعالى أن لا يعصى لما خلق ابليس * وأيضا بقاؤه عقوبة للكافرين ورحمة للمؤمنين فيجهم الله بعصيانهم لابليس وأيضا ابليس سأل ربه الانتظار الى يوم البعث اه فلما نزل آدم عن المنبر جلس بين الملائكة فألقى الله عليه النوم لان فيه راحة للبدن فلما نام رأى حواء فى منامه قبل أن تخلق فمال اليها حين نظرها ثم أخرجها من ضلعه الايسر فخلقت منه حواء على هيئته وأحسن الله خلقها وأعطاها حسن ألف حورية وكانت أحسن النساء اللاتى هن بناتها الى يوم القيامة وكان لها سبعمائة ضفيرة من الشعر فكانت على طول آدم وألبسها الله من الجنة الحلى والحلل فكانت تشرق اشراقا أبهى من الشمس فانتبه آدم من منامه فوجدها بجانبه فأحبته وألقى الله الشهوة فى آدم فهم بها فقيل له لا تفعل حتى تؤدى صداقها فقال قد نهيتك عن شجرة الحنطة فلا تأكل منها فهو صداقها وقيل ان الله تعالى قال أعطها صداقا قال وما صداقها قال الصلاة على نبى وحبيبى محمد فقال آدم يارب وما يكون محمد قال انه من أولادك وهو آخر الانبياء ولولاه ما خلقت خلقا ثم ان الله تعالى مسح على ظهر آدم فاخرج منه ذريته كهيئة الذر ما بين أبيض واسود من ذكر وأنثى وأفاض عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور كان مؤمنا ومن لم يصبه كان

كافرا ومنهم طائفة لهم نور ساطع فقال يارب من هؤلاء قال الانبياء من ذريتك يا آدم
ثم زوج الله تعالى آدم بحواء وكان ذلك يوم الجمعة بعد الزوال ولهذا سن عقد التزويج
في يوم الجمعة وقيل كان آدم أحسن من حواء ولكن كانت حوّاء ألطف وألين ثم
أوحى الله تعالى الى رضوان خازن الجنان أن يزخرف القصور ويزين الولدان والحور
وخلق لآدم فرسا من المسك الاذفر يسمى الميمون كالبرق الخاطف فلما أحضر بين
يدي آدم ركبه وأحضر لحوّاء ناقة من نوق الجنة وعليها هودج من اللؤلؤ فركبت فيه
على الناقة فأخذ جبرائيل عليه السلام بلجام الفرس ومشى ميكائيل عن يمينه
واسرافيل عن يساره وطافوا به في السموات كلها وهو يسلم على من يمر به من الملائكة
فتقول ما أكرمك من خلق الله على الله تعالى هذا وحواء على الناقة تطوف معه الى
أن أتوا بها الى باب الجنة فوقفوا ببابها ساعة فأوحى الله تعالى الى آدم هذه جنتي ودار
كرامتي ادخلا فيها وكلا منها حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
وأشهد عليهما الملائكة ثم دخلا الى الجنة فطافت بهما الملائكة في الجنان وأروهما
أماكن الانبياء جميعهم فلما وصلا الى جنة الفردوس نظر سريرا من الجوهر وله
سبعمائة قاعدة من الياقوت الاحمر وعليه فراش من السندس الاخضر فقالت
الملائكة يا آدم انزل ههنا أنت وحوّاء فنزلا وجلسا على ذلك السرير ثم أتوهما
بقطفين من عنب الجنة فكان كل قطف مسيرة يوم وليلة فأكلا وشربا ورتعا
في رياض الجنة فكان آدم اذا أراد المجامعة مع حوّاء دخل قبة من اللؤلؤ والزبرجد
وأسبلت عليهما ستور من السندس والاستبرق فكانت حوّاء اذا مشت في القصور
كان خلفها من الحور ما لا يحصى قال ابن السني ان أول شئ أكله آدم من فواكه الجنة
النبق وقال ابن عباس انما أكلا أولا العنب وآخر شئ أكلا منه الحنطة كما سيأتي
الكلام عليه وكان يشرب من خمر الجنة وكان اذا شربه يجد سرورا زائدا فمن شرب من
خمر الدنيا لم يشرب من خمر الجنة * قال أبو نواس

حمراء لا تنزل الاحزان ساحتها * لو مسها حجر مسته سراء

قال وزارع الحنطة يعتريه الكد والتعب دائما في زرعها وفي حصادها الى أن تصير
دقيقا لانها أكلت أولا على العصيان ويروى ان المؤمنين أول ما يأكلون من الجنة
العنب وقال النيسابوري أول ما يأكلون من كبد الحوت الذي هو حامل الارض
حتى يعلم أهل الجنة بانقراض الدنيا اه قال وكان آدم يطوف في الجنة فاذا جاء الى
جهة شجرة الحنطة نفر عنها للعهد الذي بينه وبين الله تعالى بعدم الاكل منها
وكانت شجرة الحنطة أعظم شجر الجنة ولها سنابل وفيها الحب كل حبة قدر رأس
البعير وكانت أحلى من العسل وأبيض من اللبن ولما علم ابليس بدخول آدم وحواء

الى

الى الجنة وعلم ان آدم منع من أكل شجرة الحنطة أتى الى باب الجنة وأقام عنده نحوا من ثلثمائة سنة وهى ساعة من ساعات الآخرة فكان ابليس ينظر الى من يأتى الى جهة باب الجنة قال فجاء طائر مليح الملبوس يقال له الطاوس وكان سيد طيور الجنة فلما رآه ابليس تقدم اليه وقال أيها الطائر المبارك من أين جئت فقال من بساتين آدم فقال له ابليس ان لك عندى نصيحة وأريد أن تدخلنى معك فقال ولم لا تدخل بنفسك فقال انما اريد ان ادخل سرا فقال الطاوس لا سبيل الى ذلك ولكننى آتيك بمن يدخلك سرا فذهب الطاوس الى الحية ولم يكن فى الجنة أحسن منها خلقا فكان رأسها من الياقوت الاحمر وعيناها من الزبرجد الاخضر واسنانها من الكافور وقوائمها مثل قوائم البعير فقال لها الطاوس ان على باب الجنة ملكا من المكرمين ومعه نصيحة فاسرعت الحية اليه فقال لها هل لك ان تدخلينى الجنة سرا ولك منى نصيحة فقالت وكيف الحيلة على رضوان فقال لها افتحى فاك فتحته فدخل فيه ابليس وقال لها ضعينى عند شجرة الحنطة فوضعته عندها فأخرج ابليس مزمارا وزمر ترميرا مطربا فلما سمع آدم وحواء صوت المزمار جاآ ليسمعا ذلك فلما وصلا الى شجرة الحنطة قال ابليس تقدم الى هذه الشجرة يا آدم فقال انى ممنوع فقال ابليس مانها كما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين فان من أكل من هذه الشجرة لا يشيب ولا يهرم ثم أقسم بالله انهما لا تضرهما وانه لمن الناصحين لهما فظن آدم انه لا يتجاسر أحد على أن يحلف بالله كاذبا وظن انه من الناصحين وقد قيل فى المعنى

ان من يستنصح الاعادى ❊ يردونه بالغش والفساد

فمن حرص حواء على الخلود فى الجنة تقدمت وأكلت فلما نظر آدم اليها حين اكلت ووجدها سالمة تقدم وأكل بعدها فلما وصلت الحبة الى جوفه طار التاج عن رأسه وطارت الحلل أيضا (سؤال) لاى شئ لما أكلت حواء من الشجرة لم تسقط الكسوة عنها فى الحال وآدم حين أكل سقطت عنه فى الحال (الجواب) لو سقطت فى الحال عن حواء لرجع آدم ولم يأكل وأيضا الدية على العاقلة ولان الامر كان أولا لآدم وقال بعض العلماء ان آدم أكل وهو ناس قال الله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى وقيل فى المعنى

لقد نسيتك والنسيان مغتفر ❊ وان أول ناس أول الناس

فلما أكل آدم من الشجرة أوحى الله تعالى الى جبرائيل عليه السلام بأن يقبض على ناصية آدم وحواء ويخرجهما من الجنة فاخرجهما جبرائيل من الجنة ونودى عليهما بالمعصية قال فكان آدم وحواء عريانين فطافا على أشجار الجنة ليستترا باوراقها

فكانت الاشجار تنفر عنها حتى رحمته شجرة التين فغطته فتستر بورقها وقيل غطته شجرة العود فلذلك اكرمها الله بالرائحة الطيبة واكرم شجرة التين بالثمر الحلو الذي ليس له نوى وقيل غطته شجرة الحناء فلذلك صار اثرها طيبا مفرحا ولذلك سميت الحناء قال كعب الاحبار لما صار آدم عريان أوحى الله تعالى اليه أخرج الى لانظرك فقال آدم يارب لا أستطيع ذلك من حيائي منك وخجلي ولهذا المعنى قيل

بفرد خطيئة وبفرد ذنب * من الجنات أخرجت البرايا
فكيف وأنت تطمع في دخول * اليها بالالوف من الخطايا

قال ثم ان جبرائيل أخذ بيد آدم وهو عريان مكشوف الرأس فهبط به الى الارض عند غروب الشمس من يوم الجمعة فأهبط على جبل من جبال الهند يقال له الراهون وتقدمت صفة هذا الجبل بين ذكر الجبال وأما حواء فقد ذهب عنها حسنها وجمالها وابتليت بالحيض وانقطع عنها ذكر النسب فقال أولاد آدم ولا يقال أولاد حواء لانها غرت آدم مع ابليس حيث ابتدأت بالاكل وفي المعنى قيل

وكم من أكلة منعت أخاها * بلذة ساعة أكلات دهر
وكم من طالب يسعى لشيء * وفيه هلاكه لو كان يدري

واهبطت حواء عند ساحل البحر المالح بجدة قال الله تعالى قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين وأما ابليس اللعين فانه خرج عن طور الملائكة وصار شيطانا رجيما فلما أهبط من الجنة نزل بأرض العراق نحو البصرة قال ابن عباس رضي الله عنهما لما أهبط ابليس الى الارض نكح نفسه بنفسه فباض أربع بيضات ففرق في كل قطر من الاقطار بيضة فجميع من في الارض من الشياطين من تلك البيضات وقال مجاهد انه نكح الحية التي دخل في جوفها في الجنة حين أهبطت الى الارض فباضت الاربع بيضات * وأما الطاوس فانه ذهبت عنه الجواهر وبعض الحسن وأهبط أيضا الى الارض ونزل في أرض بابل وقيل بأرض أنطاكية وأما الحية فسخ شكلها وصار فيها السم وسببه ان ابليس اختبأ تحت أنيابها وأدخلته الى الجنة وخرس لسانها وصارت تمشي على بطنها زحفا ونزلت الى الارض بأصبهان قال ابن عباس كانت اقامة آدم وحواء في الجنة مدة نصف يوم من أيام الآخرة وهو مقدار خمسمائة عام من أعوام الدنيا فلما هبط آدم القى الله عليه النوم فنام فألقى الله النوم على جميع من في الارض من الحيوانات الوحش والطير وكل شيء فيه روح ولم يكن قبل ذلك يعرف النوم فسمي ذلك اليوم يوم السبت فلما طلع النهار ورأى آدم الشمس وهي تدور مع الفلك تعجب من ذلك فلما تعالت في الفلك أحرقت جسد آدم لانه كان عريان مكشوف الرأس فأتاه جبرائيل فشكا اليه من

ذلك

ذلك فمسح على رأسه بيده فحط من ذلك الطول خمسة وثلاثين ذراعا قال قتادة كان آدم اذا عطش يشرب من السحاب ويروى انه لما طلع الشعر على رأسه وطالت أظفاره أتاه جبرائيل فحلق رأسه وقص أظفاره ودفن ذلك فى الارض فانبت الله النخل ولهذا قيل اكرموا عماتكم النخل وقال ابن عباس مكث آدم فى الارض ثلاثمائة سنة لم يرفع رأسه الى السماء حياء من الله تعالى وأقام يبكى نحو مائتى سنة فنبت العشب من دموعه وصارت الطيور والوحوش تشرب من دموعه ثم ان آدم شكا الى جبرائيل العرى وحر الشمس فمضى جبرائيل الى حواء ومعه كبش من الجنة فقص من صوفه ودفعه الى حواء وعلمها كيف تغزل الصوف فلما علمها وغزلته علمها كيف تنسجه فنسجت عباءة فأخذها جبرائيل ومضى بها الى آدم وستر بها جسده ولم يقل له هذه العباءة من عند حواء ثم انه شكا من الجوع لانه أقام أربعين سنة لم يأكل ولم يشرب فمضى جبرائيل وأتاه بثورين من الجنة أحدهما اسود والآخر أحمر وعلمه كيف يحرث فحرث ثم أتاه بكف من الحنطة وعلمه كيف يزرع فزرع (نكتة) بينما آدم يحرث فى الارض اذ وقف أحد الثورين فضربه بعصا كانت بيده فأنطق الله تعالى ذلك الثور فقال لم ضربتنى فقال لا جل مخالفتك لى فقال له الثور لطف الله بك حيث لم تضرب بك حين خالفته فبكى آدم وقال الهى صار كل شئ يوبخنى حتى البهائم فأمر الله تعالى جبرائيل ان يمسح على لسان البهائم وكانت البهائم تتكلم قبل هبوط آدم الى الارض فلما زرع آدم نبت فى الحال وأسبل وأدرك القمح من يومه فعلمه جبرائيل كيف يحصد فحصد ودرس وذرى فى الهواء فقال آدم لجبرائيل آكل فقال اصبر ثم قطع له من الجبل حجرين فطحن بهما فلما صار دقيقا قال آدم آكل فقال له اصبر ثم مضى وأتاه بشرارة نار من نار جهنم بعد أن غمسها فى الماء سبع مرات ولولا ذلك لاحرقت الارض ومن عليها ثم ان جبرائيل علمه كيف يخبز فخبز ثم قال لجبرائيل آكل فقال اصبر حتى تغرب الشمس فيتم لك الصوم فكان آدم أول من صام على وجه الارض فلما غربت الشمس ووضع آدم الرغيف بين يديه ومد يده ليأخذ من الرغيف لقمة فر الرغيف من بين يديه وسقط من أعلى الجبل فتبعه آدم وأخذه فقال له جبرائيل لو صبرت أتاك الرغيف من غير أن تقوم اليه ويروى ان آدم لما أكل من الرغيف اذخر منه النصف الى الليلة القابلة فقال له جبرائيل لولا أنك فعلت ذلك لما كان احد من أولادك يدخر فصار ذلك عادة لبنى آدم وقيل ان آدم لما اكل الخبز عطش فشرب عليه الماء فوجد فى نفسه تشكيا لم يكن يعهده فلما أتاه جبرائيل شكا له ذلك ففتق جبرائيل عن دبره فبال وتغوط من وقته قال ابن عباس رضى الله عنهما كان آدم اذا جاع نسى حواء واذا شبع تذكرها فقال يوما لجبرائيل يا جبرائيل هل حواء على قيد

الحياة أم ماتت فقال بل في قيد الحياة وانها أصلح حالا منك لانها على ساحل البحر تصطاد الاسماك وتأكل منها فقال آدم يا جبرائيل انى رأيتها في منامي في هذه الليلة فقال جبرائيل يا آدم ابشر فما أراك الله اياها الا لقرب الاجتماع قال ابن عباس رضى الله عنهما لما انقضت أيام المحنة عن آدم عليه السلام وتاب فتاب الله عليه وهو قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم قال بعض العلماء ألهمه الله ان يقول ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقيل ان آدم قال يارب بحق محمد الا ما غفرت لى خطيئتى فأوحى الله تعالى اليه وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه الا بعد فقال آدم لما خلقتنى رفعت رأسى فرأيت مكتوبا على قوائم العرش لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تقرن اسمك الا باسم من هو أحب الخلق عليك فقال صدقت يا آدم وقد غفرت لك خطيئتك اذ سألتنى بحق محمد قال الثعلبى ثم ان الله تعالى أوحى الى آدم بان ارحل من أرض الهند الى مكة وطف حول مكان البيت واسألنى المغفرة فأغفر لك خطيئتك قيل ان الله تعالى انزل ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة على قدر الكعبة وذلك مكان الحشفة البيضاء التى امتدت منها الارض كما تقدم وجعل من داخلها قناديل من ذهب تضىء بالنور ثم أرسل الله لآدم ملائكة يودونه ويرشدونه الى طريق مكة وأنزل عليه عصا من شجر الآس طولها عشرون ذراعا وهى من أشجار الجنة فكان آدم يمشى فتطوى له الارض فصار كل مكان وضع عليه قدمه يصير قرية فلما دخل آدم مكة أوحى الله تعالى اليه ان يطوف بذلك البيت فطاف به سبعا مكشوف الرأس عريان الجسد وذلك سنة الحج فلما فعل ذلك آدم غفر الله له خطيئته وتاب عليه وصار الطواف يكفر الذنوب وقيل في المعنى

خزيا لابليس فقد ❊ نلنا الخلاص من يديه وان في طوافنا ❊ دائرة السوء عليه

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان ابليس اللعين قال يارب ان شأن عبادك عجيب أحبوك وعصوك وبغضونى وأطاعونى فأوحى الله تعالى اليه وعزتى وجلالى لاجعلن حبهم لى كفارة لطاعتك وبغضهم لك كفارة لمعصيتى اه قال ولما تاب آدم أمره الله تعالى ان يخرج الى عرفات فلما خرج الى عرفات وقف بها واذا بحواء أقبلت نحو آدم فاجتمعا على ذلك الجبل فمن يومئذ صار الوقوف على ذلك الجبل سنة الحاج وانما سمى عرفات لان آدم وحواء تعارفا فيه ثم ان آدم أقام في مكة مدة يسيرة ثم ارتحل الى أرض الهند هو وحواء وروى ان المدة التى كانت بين آدم وحواء متفرقين خمسمائة عام وروى ان آدم لما خرج من الجنة تستر بورق الجنة ولما صار في الارض يبس الورق وتناثر على الارض فجميع ما في الهند من الروائح الطيبة سببها

ذلك

ذلك وقيل أنزل الله على آدم ثمانية أزواج من الانعام من الضأن اثنين ومن المعز اثنين وأمره أن يشرب من ألبانها ويكتسي من أصوافها وكان آدم وحوّاء يبكيان على مافات من نعيم الجنة فخرج من دموعهما الحمص والفول وروى أن آدم عليه السلام شكا الى الله تعالى فقال يارب لا أعلم أوقات العبادة فأنزل الله اليه ديكا من الجنة على قدر الثور العظيم وهو أبيض اللون فكان اذا سمع الديك تسبيح الملائكة في السماء يسبح في الارض فيعلم آدم من ذلك أوقات العبادة ثم ان آدم غرس الاشجار وحفر الآبار وعمر الدار ثم أنزل الله على آدم احدى وعشرين صحيفة فيها تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك وأنزل عليه حروف الهجاء وهي تسعة وعشرون حرفا فتعلمها آدم لاجل أن يقرأ الصحف ولا يقدر أحد أن يزيد فيها حرفا واحدا فان حكم الاله محكمة متقنة ❊ ومن النكت اللطيفة قيل ان صبيا صغير السن اتى أبا العلاء المعري فقال له ألست القائل

وانى وان كنت الاخير زمانه ❊ لآت بمالم تستطعه الاوائل

فقال أبو العلاء نعم قلت ذلك فقال الصبي ان الاوائل أتوا بحروف الهجاء تسعة وعشرين حرفا فأنت آئت بحرف واحد زيادة عن ذلك يحتاج الناس اليه وينطقون به فعند ذلك سكت أبو العلاء ولم يتكلم بشئ فلما انصرف الصبي سأل عنه أبو العلاء فقيل له هو ابن فلان فقال قريبا يموت فلم تمض أيام حتى مات الصبي فقال أبو العلاء ذكاؤه قتله ثم رثاه بعض الناس بقوله

مولاى انى رأيت الدهر ذا عجب ❊ لا يستقيم لذى فضل على سنن
يقصى الذكى ويدنى كل ذى حمق ❊ أو فاسد صالح للجهل والرسن
مازال طبعا يعادى كل ذى فطن ❊ كان حقا عليه بغضة الفطن

قال الثعلبي لما حملت حوّاء من آدم تحرك الجنين في بطنها الوقته ففزعت حوّاء وكانت تقول من أين يخرج هذا المتحرك منى فلما ولدت وضعت اثنين ذكرا وأنثى فسمى الذكر هابيل والانثى ليوثا فلما انقضى زمن الولادة وطهرت أراد آدم أن يواقعها فأبت لما رأت من ألم الولادة فلازال بها حتى واقعها وقيل كانت تمانعه مع محبتها لذلك ولكن تخاف من أمر الولادة كما ذكر الحكماء ان في الرجال شهوة واحدة وفي النساء تسعة ولكن غلب الحياء عليهن فلم يظهرن شيأ من ذلك توفيقا وفي الحديث يتمنعن وهن الراغبات قال وحملت حوّاء ثانيا فجاءت بذكر وأنثى في بطن واحدة فسماهما قابيل واقليما ويقال ان مجموع ماولدت حوّاء عشرون بطنا في كل بطن اثنان ذكر وأنثى فكان لهما من الاولاد أربعون ولدا ذكورا واناثا وقيل مائتا ولد ولم تلد في بطن واحد غير شيث وكان في جبهته نور المصطفى صلى الله عليه وسلم ويروى أن

أولاد آدم لم يزالوا يتناسلون في مدة حياته حتى بلغ عددهم نحوا من أربعين ألفا ذكورا وإناثا وهو قوله تعالى الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ويروى أن آدم لما تكاثر نسله صاروا يتشاجرون فأنزل الله تعالى لآدم عصا من الجنة ليؤدب بها أولاده اذا عصوه ولهذا يقال العصا من الجنة قال الثعلبي لما دبر قابيل فوض اليه آدم أمر الزرع وفوض أمر الغنم الى هابيل فأوحى الله الى آدم بأن يزوج اقليما هابيل وأن يزوج ليوثا بقابيل فأبى قابيل أن يتزوج بليوثا وقال لا أتزوج الا باقليما لانها ولدت معي في بطن واحد وهي أحب الي من أخت هابيل وكان يومئذ نكاح الاخت جائزا لتكاثر النسل فعند ذلك قال آدم يابني لا تعص الله فيما أمرني به فقال لا أدع أختي أن يأخذ اقليما فقال آدم اذهب أنت وأخوك فقربا الى الله تعالى قربانا وليكن من أطيب ما عندكما ثم يقف كل منكما وينظر من يتقبل قربانه فهو أحق باقليما فرضيا بذلك وخرجا وتوجها الى مكة فصعدا على جبل من جبالها وقرب هابيل قربانا من خيار غنمه وقرب قابيل قمحا لم يدرك في سنبله ثم وقف قابيل وهابيل ينتظران ما يكون من أمرهما فنزلت من السماء غمامة بيضاء فأشرفت على قربان قابيل ثم أعرضت عنه ومالت الى قربان أخيه هابيل فاحتملته وصعدت به الى السماء وهو قوله تعالى فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر الآيتان فقال قابيل لأخيه ان تأخذها قتلتك ولا أدعك لأختي الحسناء وما أنا بآخذ أختك القبيحة وبقي قابيل متحيرا كيف يقتل هابيل فأتاه ابليس اللعين على صورة بعض اخوته فأخذ حجرين من الارض وضرب أحدهما بالآخر فانفلق الحجر نصفين وقابيل ينظر الى ذلك فقال لم لا أفعل بهابيل كذلك فنهض قابيل من وقته وأتى الى أخيه هابيل فوجده نائما تحت جبل من الجبال فعمد قابيل الى صخرة فاحتملها وألقاها على رأس أخيه فقتله ومات وهو أول من قتل ظلما من أولاد آدم وكان عمره عشرين سنة فلما قتله بقي متحيرا كيف يصنع به فجعله في جراب وحمله على ظهره وطاف به الارض وكانت السباع والطيور تحوم حوله وتنتظر متى يتركه لتأكله حتى بعث الله له غرابين فقتل أحدهما الآخر فلما قتله حفر له الارض بمنقاره وبرجله ووضعه في الحفرة ورد التراب عليه فعند ذلك قال قابيل ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين قال بعض المفسرين لم يندم قابيل على القتل ولكنه ندم على حمله حيث حمله قبل حمله سنة ولم يدر كيف يصنع به قال صاحب مرآة الزمان ان أرباب النجوم يذكرون أن كوكب الذنب لم يظهر في الدنيا الا عند قتل هابيل وعند القاء ابراهيم الخليل في النار وعند هلاك قوم عاد وعند غرق فرعون واستمر من يومئذ لا يظهر الا عند ظهور أمر من طاعون

او

أوقتل ملك من الملوك وقد ظهر في أول الاسلام عند غزوة بدر الكبرى وظهر عند
قتل الامام عثمان بن عفان رضى الله عنه وعند قتل على بن أبى طالب كرم الله وجهه
وهذا أمر قد جرب والله تعالى أعلم قال الثعلبى لما قتل هابيل تزلزلت الارض وهى أول
زلزلة وقعت فى الارض وكانت فى اليوم تتزلزل سبع مرات الى سبعة أيام من قتل
هابيل وفى ذلك كسفت الشمس وهو أول كسوف وقع فى الدنيا قال الثعلبى لما قتل
هابيل نبت الشوك فى الاشجار وتغير طعم الفواكه وملح طعم الماء وكان آدم بأرض
الهند ولم يكن عنده علم بقتل ابنه هابيل وكان يحبه قال ابن عباس لما قتل قابيل أخاه
هابيل كان فى جبل قاسون فى مغارة الدم فشربت الارض الدم فأوحى الله الى قابيل
أين أخوك فقال لا أدرى فأوحى الله اليه ان صورة دم أخيك تنادى من الارض
بأنك قتلته فقال قابيل يارب وأين دمه فمن يومئذ حرم الله على الارض أن تشرب الدماء
جميعها ولما رأى آدم ضيقا فى صدره خرج فى الارض ليرى ما حدث فيها فلما وصل الى
جهة أولاده رأى ابنه هابيل قد قتل وأخذ قابيل الاغنام وتزوج باقليما فعند قدوم
آدم هرب قابيل وساح فى الارض خوفا من أبيه وفى ذلك يقول القائل

من فتنة النسوان لم يعدى الفتى ✽ أمر الاله بطاعة الشيطان
واللص لولاهن لم يك بائعا ✽ للروح منه بأبخس الأثمان
قابيل لولاهن لم يقتل أخا ✽ ولا رضى بالذل والعصيان
وبهن صار لآدم مع يوسف ✽ فيما حكاه الله فى القرآن
وكذاك هاروت ببابل منكس ✽ ومعلق بالرجل فى الجذعان
مجنون ليلى جن فى حب النسا ✽ كل الاذى يأتى من النسوان
فترى البلا منهن يأتى والوفا ✽ منهن لا يأتى مدى الازمان
خذ ما استطعت من النساء بمعزل ✽ ان النساء حبائل الشيطان

ومن النكت اللطيفة ما حكى أن بعض الملوك كان مغرما بحب النساء وكان له وزير
ينهاه عن ذلك ولا زال ينهاه حتى قصر عن نسائه وجواريه فلما رأت النساء من الملك
التقصير سألته عن ذلك وألحت عليه فى الجواب فقال ان الوزير هو الذى ينهانى عنكن
فعند ذلك أبرزت النساء جارية حسناء لم يكن عند الوزير مثلها ولا رأى قط أجمل
منها وسألن الملك أن يهبها للوزير وكن قد أمرنها بأن تمانع الوزير ولم تتركه يفعل شيأ
حتى تضع على ظهره سرجا وفى فمه لجاما وتركب على ظهره فى ليلة معينة وأعلمن الملك
بذلك وسألنه أن يهجم على الوزير فى تلك الليلة فأجابهن الملك الى ذلك كله وأعطى
الوزير الجارية فأراد الوزير أن يواقعها فتمنعت ولم يجد الصبر عنها فقالت له ان كنت
تفعل ما آمرك به مكنتك من نفسى فقال لا أخالفك فى شئ فقالت له ائتنى بسرج

ولجام ففعل فلما حضر أسرجته وألجمته وركبت على ظهره فبينما هما على ذلك واذا بالملك قد هجم عليهما ورآهما على تلك الحالة فقال الوزير ألم تكن تنهاني عن حب النساء وهذه حالتك معهن فقال له الوزير أعز الله الملك كنت أخاف عليك أن يقع لك معهن مثل هذا الحال حتى وقعت أنا فيه فضحك منه الملك وعفا عنه وانصرف قال فلما تحقق آدم قتل ولده بكى ولما تحققت حواء صرخت فصار ذلك سنة في أولادهما وقت المصيبة وأنشأ آدم يرثي ابنه فقال

تغيرت البلاد ومن عليها ❁ فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون ❁ وقل بشاشة الوجه المليح
فمالي لا أنوح بسكب دمع ❁ وأجفان مسهدة قروح
قتل قابيل هابيلا أخاه ❁ فواأسفا على الوجه الصبيح

وقيل هذا أول شعر قيل في الارض وأجمع أهل التواريخ على صحة ذلك ماعدا الشيخ أبا الفرج ابن الجوزي فانه ينكر ذلك ويقول ان آدم لم ينطق بالشعر ومما يؤيده أنه كان سريانيا وان صح فانما كانت سريانية وعربت أبيات شعراه قال الثعلبي لما علم آدم بقتل هابيل أقام سنة لا يضحك ولا يطأ حواء فأوحى الله تعالى اليه يا آدم الى كم هذا البكاء والحزن اني معوضك عن هذا الولد بولد يكون صديقا نبيا وأجعل من نسله الانبياء الى يوم القيامة وعلامته أنه سيوضع وحده في بطن واحد فاذا ولد فسمه شيثا ومعناه بالسريانية عبد الله فلما حملت به حواء لم تجد لحمله ثقلا وولدته من غير مشقة ولما ولدت حواء شيثا كان مامضى من قتل هابيل مائة سنة ذكر الثعلبي انه لما ولد شيث وكبر اعتزل آدم الى عبادة ربه وقراءة الصحف وصار شيث يتولى أمر اخوته ويقضي بينهم بالحق فبينما آدم في خلوته يعبد الله تعالى اذ أوحى اليه يا آدم أوص ولدك شيثا بما أوصيتك به فاني مذيقك الموت الذي كتبته عليك وعلى أولادك الى يوم القيامة ففزع آدم من هذا المقال وقال يارب ماهذا الموت الذي توعدني به ثم ان آدم أحضر شيثا وأوصاه بشيء كثير حتى أعلمه بوقوع الطوفان وهلاك العالم وعلمه أوقات العبادة من الليل والنهار وأخرج له سفطا من حرير أبيض كان فيه صور الانبياء ومن يملك الدنيا الى يوم القيامة وكان هذا السفط أنزل على آدم من الجنة فعرضه على شيث وأمره أن يطويه ويضعه في تابوت ويقفل عليه ثم ان آدم عمد الى شعرات من لحيته ووضعهن في التابوت وقال يابني خذ هذه الشعرات فاذا دهمك أمر فاحملها معك فانك تظفر بأعدائك مادامت هذه الشعرات معك واذا رأيتها قد ابيضت فاعلم بان أجلك قد قرب وتموت في تلك السنة ثم ان آدم نزع خاتمه ودفعه الى شيث وسلمه التابوت والصحف التي أنزلت عليه وقال له يابني حارب أخاك قابيل فان

الله ينصرك عليه انتهى ذلك و يروى أن آدم عاش من العمر ألف سنة من حين أهبط الى الارض وقد قال القائل فى المعنى شعرا

ترجو البقاء بدار لا ثبات لها * فهل سمعت بظل غير منتقل
قد ذقت شدة أيامى ولذتها * فما حصلت على صاب ولا عسل

ومن الاخبار العجيبة ماروى أن ابليس أتى الى موسى بن عمران عليه السلام وقال له اذا ناجيت ربك فاشفع لى عنده وسله هل لى عنده من توبة اذا تبت فلما ناجى موسى ربه قال الهى هل تقبل توبة من ابليس اذا تاب فقال الله عز وجل ياموسى سبق فى علمى انه لم يتب ولكن أنا التوّاب الرحيم فان تاب يسجد لآدم فان سجد له على قبره قبلت توبته فلما رجع موسى أتى اليه ابليس وقال ياموسى ماصنعت بحاجتى فقال له موسى ان الامر معلق على سجودك عند قبر آدم له فقال أنا ما سجدت له وهو حى فكيف أسجد له وهو ميت وروى أن ابليس اذا مات عند ميعاده يرسل الله اليه ملائكة من أعوان عزرائيل ليقبضوا عليه لاجل قبض روحه فينهزم ابليس فى جهات البر والبحر فلم يجد له ملجأ حتى يأتى عند قبر آدم فيسجد له فيقال له ان الله تعالى غلق باب التوبة فلم يقبل منك فيتحقق عدم القبول فيقول تجاهلا لو علمت أن هذا قبر آدم لما وقفت هنا وسجدت فتقبض عليه الملائكة و يقبض عزرائيل روحه أشد القبض و يروى اذا كان يوم القيامة وصار أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار يأمر الله تعالى أن يخرج ابليس من النار فى كل مائة ألف سنة مرة و يخرج آدم من الجنة و يأمر الله ابليس أن يسجد لآدم فيأبى ابليس عن ذلك فيرده الله الى النار و يرد آدم الى الجنة وقد قال الله تعالى ان الشيطان للانسان عدوّ مبين انتهى ما أوردناه من قصة آدم على سبيل الاختصار

﴿قصة شيث بن آدم عليهما السلام﴾ قال وهب بن منبه لما توفى آدم كان شيث ابن أربعمائة سنة وكان قد أعطاه التابوت والسمط وسيفه وفرسه الميمون الذى نزل اليه من الجنة وكان اذا صهل أجابته دواب الارض بالتسبيح وأوصاه بالقتال مع أخيه قابيل فخرج شيث لقتال أخيه قابيل فحاربه وهو أول حرب جرى فى الارض بين بنى آدم فانتصر شيث وأسر قابيل فقال قابيل وهو أسير احفظ ياشيث مابيننا من الرحم فقال له لاى شئ لم تحفظه وقتلت اخاك هابيل ثم أخذه شيث وغل يده فى عنقه واوقفه فى الحر حتى مات فأراد أولاده دفنه فجاء اليهم ابليس فى صورة ملك من الملائكة وقال لاولاده لاتدفنوه فى الارض ثم أتاهم بحجرين من البلور وجوّفهما وأمر أولاده بأن يدخلوا قابيل بين الحجرين من البلور و يلبسوه أفخر الثياب و يدهنوا جسده بأدوية مفردة حتى لايجف ثم أمر أولاده أن يوقفوه فى بيت وهو على كرسى من ذهب

وأمر كل من يدخل عليه أن يسجد له ثلاث سجدات وأمرهم بان يجعلوا له في كل سنة عيدا ويجتمعوا حوله ثم ان ابليس وكل به شيطانا فكان يكلمهم فأقام الناس يسجدون لقابيل مدة من الزمان ثم رجع شيث الى الهند وأقام يقضي بين الناس بالحق قال وهب بن منبه ان حواء زوجة آدم توفيت في زمن ابنها شيث ولم تقم بعد آدم غير سنة وكان موتها في يوم الجمعة في الساعة التي خلقت فيها ويقال انها دفنت الى جانب قبر آدم عليهما السلام ثم أنزل الله على شيث خمسين صحيفة وهو أول من نطق بالحكمة وأول من أخرج المعاملة بالذهب والفضة وأول من أظهر البيع والشراء واتخذ الموازين والكيل وهو أول من استخرج المعادن من الارض ثم ان شيثا اولد ولدا ذكرا سماه أنوش وكان شيث في جبهته نور محمد صلى الله عليه وسلم الذي انتقل اليه من آدم فلما ولد أنوش انتقل النور الى جبهته فعلم شيث أن أجله قد قرب فنظر الى الشعرات فوجدها قد ابيضت فمات شيث في تلك السنة وكان له من العمر تسعمائة سنة

﴿ ذكر قصة أنوش بن شيث ﴾

قال وهب بن منبه لما مات شيث استخلف بعده ابنه أنوش وتسلم التابوت والسيط والصحف والخاتم فسار في أحسن سيرة وقضى بالحق ثم تزوج أنوش بامرأة فحملت منه بولد فلما ولدته صار النور في وجهه وسمته قينان فاستمر أنوش على ذلك حتى حضرته الوفاة فسلم التابوت والصحف الى ابنه قينان وأوصاه واستخلفه بعده

﴿ ذكر قصة قينان بن أنوش ﴾ قال وهب بن منبه لما استخلف قينان بعد أبيه أنوش ظهر بين قومه بالعدل وسار سيرة حسنة ثم تزوج بامرأة يقال لها عاطنوك فحملت منه بولد ذكر فلما وضعته سمته مهلائيل فانتقل النور الى جبهته ثم ان قينان مرض مرض الموت فسلم ابنه مهلائيل التابوت والصحف واستخلفه من بعده ثم مات مهلائيل وانتقل النور الى ابنه برد ثم مات برد فانتقل النور الى ولده أخنوخ وهو ادريس عليه السلام قال وهب بن منبه ما سمي ادريس الا لكثرة دراسته في الصحف قال ابن عباس بعث الله ادريس الى بني قابيل وكانوا يعبدون الاصنام وحادوا عن توحيد الله تعالى واتخذوا لهم خمسة أصنام يعبدونها من دون الله وهي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر التي ذكرها الله في القرآن العظيم فلما تزايد أمرهم بعث الله اليهم ادريس عليه السلام فكان يدعوهم في الجمعة ثلاثة أيام وكان ادريس عنده شدة بأس وصلابة في أمره ونهيه وهو أول من خط بالقلم وأول من كتب الصحف وأول من نظر في علم النجوم والحساب وهو أول من خاط الثياب ولبس المخيط وكان اذا خاط شيأ يسبح الله عند كل غرزة من الابرة فاذا غفل وخاط يفتق ما خاطه بغير تسبيح وكان لا يأكل الا من كسب يده وكان يخيط للناس بالاجرة

وهو أول من صنع المكيال قيل قبل زمن ادريس كان الناس يلبسون الاوعية بغير خياطة فلما صنع ادريس الخياطة وخاط استحسن الناس ذلك ولبسوا المخيط ثم أنزل الله على ادريس ثلاثين صحيفة فكان لا يفتر عن قراءتها ليلا ونهارا وكانت الملائكة تأتي لمصافحة ادريس وكان يرفع كل يوم لادريس من العبادة بقدر ما يرفع لغيره من كل الناس حتى تعجبت منه الملائكة وحسده ابليس اللعين على ذلك ولم ير له عليه سبيلا و يروى أن ملك الموت استأذن ربه بأن يزور ادريس فأذن له في زيارته فاتى اليه في صورة رجل فقال له ادريس من أنت أيها الرجل فقال له أنا ملك الموت استأذنت ربي في زيارتك فأذن لي في ذلك فقال له ادريس ان لي اليك حاجة قال وما هي قال أن تقبض روحي في هذه الساعة فقال له ملك الموت ان ربي لم يأذن لي بذلك فأوحى الله الى ملك الموت اني علمت ما في نفس عبدي ادريس فاقبض روحه فقبضها في الحال ثم ان الله تعالى أحياه في الحال فقال يا ملك الموت بقي لي حاجة أخرى فقال ما هي قال ادريس ان تمضي بي الى جهنم لانظر احوالها فاذن الله له بذلك فحمله ملك الموت وأتى به الى مالك خازن النار فاوحى الله الى مالك خازن النار بان أوقف عبدي ادريس على شفير جهنم لينظر ما فيها فلما اوقف ادريس ونظر غشي عليه من أحوالها فجاء اليه ملك الموت واحمله الى مكانه الذي أخذه منه فصار ادريس من ذلك اليوم لا تكتحل عينه بمنام ولا يهنأ بطعام ولا بشراب ولا يقر له قرار من الهول الذي رآه في النار ثم ان ادريس انعكف الى عبادة الله تعالى وتزوج بامرأة فحملت منه بولد ذكر فلما وضعته سماه متوشلخ وانتقل النور الذي كان في جبهة ادريس الى جبهة ابنه متوشلخ فلما كبر عهد اليه ادريس وسلمه الصحف والسبط والتابوت وأوصاه بقراءة الصحف ولزوم الصلاة وقال له يا بني اني صاعد الى السماء ولا أعلم هل أرجع أم لا فاقبل مني ما أوصيتك به ثم ان ادريس دخل الى محرابه وسأل الله أن يريه الجنة كما أراه النار فاوحى الله الى رضوان خازن الجنان بأن يدلي الى ادريس غصنا من أغصان الجنة فأدلى له رضوان غصنا من أغصان شجرة طوبى فتعلق به وصعد الى السماء فأدخله رضوان الى الجنة فرأى ما فيها من النعيم فلما أطال ادريس الجلوس في الجنة قال له رضوان اخرج فقد نظرت الجنة وما فيها فقال له ادريس ما أنا بخارج منها وقد قال الله تعالى كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال تعالى وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال تعالى وما هم منها بمخرجين فما أنا بخارج منها فاوحى الله تعالى الى رضوان قل لعبدي ادريس لا يخرج منها أبدا قال وهب بن منبه رفع ادريس الى السماء وهو ابن ثلاثمائة وخمسة وستين سنة قال ابن الجوزي ان ادريس وعيسى ابن مريم حيان في السماء ادريس في السماء الرابعة تارة يعبد الله في السماء وتارة

يتنعم فى الجنة قال الله تعالى واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا قال الكتانى لما رفع ادريس الى السماء وعلمت الملائكة أنه لا يبرح منها قالت الملائكة الهنا وسيدنا ومولانا ما كان لهذا العبد الخاطئ أن يصير فى مقام الملائكة المقربين فاوحى الله اليهم انكم قد عيرتم بنى آدم بفعلهم فلو ركبت فيكم ما ركبت فيهم من الشهوة وقدرت عليكم ما قدرت عليهم من الخطايا لفعلتم أعظم من فعلهم فقالوا سبحانك ربنا ما ينبغى لنا أن نعصيك فاوحى الله تعالى اليهم بأن يختاروا منهم ملكين من خيارهم ليهبطهم الى الارض ويركب فيهم الشهوة مثل ما ركبها فى بنى آدم فاختارت الملائكة ملكين من خيارهم يقال لهما هاروت وماروت فركب الله فيهما الشهوة وأهبطهما الى الارض وأمرهما بأن يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك بالله وعن قتل النفس بغير حق وعن الزنا وعن شرب الخمر فجعلا يقضيان بين الناس بالحق بالنهار فاذا أمسيا ذكرا اسم الله الاعظم فيصعدان الى السماء فاستمرا على ذلك شهرا واحدا فاتت اليهما امرأة من أجمل النساء فى الحسن والجمال والقد والاعتدال لابسة من أفخر الثياب وكان اسمها الزهرة وكانت من أهل فارس وتحكم على عدة مدن فدخلت على هاروت وماروت وهى فى زينتها وقد أسبلت شعرها من خلفها وأسفرت عن وجهها ثم شكت الى ذينك الملكين من خصمها فلما رأياها افتتنا بحبها فلما انصرفت عادت اليهما فى اليوم الثانى فصار كل واحد منهما يحدث صاحبه بما عنده من الشغف بها فلما تزايد بهما الامر راوداها عن نفسها فأبت وانصرفت ثم عادت اليهما فى اليوم الثالث فراوداها عن نفسها فأبت وقالت لهما لا أمكنكما أردتما حتى تفعلا ما أريد أريد أن تسجدا للصنم وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذا فان الله تعالى نهانا عنه فأبيا عن ارادتها وأبت عن ارادتهما وانصرفت عنهما فازداد بهما الوجد فتوجها الى بيتها وطرقا عليها الباب فرحبت بهما فدخلا عليها فأحضرت لهما طعاما فأكلا منه ثم راوداها عن نفسها فقالت انكما تعلمان ما أردت منكما فقالا ان الشرك لظلم عظيم والقتل عظيم وأما شرب الخمر فانه أهون من هذه الاشياء ثم نستغفر الله ولم يعلما أن الخمر أم المعاصى فتقدما وشربا الخمر فلما انتشيا وقعا فى المرأة فزنيا فرآهما انسان فقتلاه خوفا من أن ينم عليهما فأمرتهما أن يسجدا للصنم فسجدا وكفرا وقيل فيه

تركت المدام وشرابه * وصرت صديقا لمن عابه
شراب يضل سبيل الهدى * ويفتح للشر أبوابه

قال فلما فعل هاروت وماروت هذه الفعال ووقعا فى الذنوب فارادا أن يصعدا الى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا نبى الله ادريس عليه السلام

فأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما عند الله تعالى وقالا له انا رأيناك يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع أهل الارض فاشفع لنا الى الله تعالى قال ففعل ادريس ذلك فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة ببابل فهما يعذبان في جب معلقان بشعورهما منكسان على رؤسهما في سلاسل من حديد يعذبان بالعطش وبين لسانيهما وبين الماء مقدار يسير كعرض الاصبع وجميع دخان الدنيا داخل في آنفهما زيادة في عذابهما وأعينهما شاخصة مزرقة ووجوههما مسودة وهما في هذا الحال الى يوم القيامة وروى أن رجلا أتى اليهما من أرض بابل ليتعلم منهما شيأ من السحر فلما دخل عليهما ذلك الرجل رآهما فيما ذكرناه فقال الرجل أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فلما سمعاه قالا له من أي امة أنت قال من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقالا له أبعث محمد قال نعم فقالا الحمد لله وأظهرا الفرح فقال لهما قد أظهرتما الفرح عند ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فقالا نعم انه نبي يبعث بين يدي الساعة وانه قرب فرجنا انتهى قيل لما رفع ادريس عليه السلام الى السماء تولى بعده ابنه متوشلخ فحكم بين الناس بالحق ولما توفي متوشلخ سلم التابوت والصحف الى ابنه لامك قال الكسائي كان لامك شديد البأس وكان عنده صلابة وقوة فكان يقلب بيديه الصخرة العظيمة ويقلعها من الجبل ومما وقع له أنه خرج ذات يوم الى الفضاء فرأى امرأة حسناء وبين يديها غنم ترعاها فأعجبته فتقدم وسألها عن اسمها فقالت أنا قينوسة بنت ا كامل من أولاد قابيل بن آدم فقال لها ألك بعل قالت لا فقال لها أنت صغيرة ولو كنت بالغة لتزوجت بك وكان البلوغ يومئذ مائتي سنة فقالت الصحيح أنا بنت مائتين وعشرين سنة فانطلق واخطبني من أبي فلما سمع لامك بذلك الكلام مضى الى أبيها وخطبها منه فزوجها له فلما دخل عليها حملت منه ووضعت له ولدا ذكرا فسماه نشكر وقيل عبد الغفار وهو نوح قال وهب بن منبه فلما كان وقت ولادتها وضعته في مغارة وأرادت الانصراف عنه خوفا من ملك ذلك الزمان فانه كان يجحر على النساء ويقتل الاطفال عمدا فلما وضعته ذهبت عنه وهي تنوح عليه فناداها يا أماه لا تخافي علي فان الذي خلقني يحفظني فعند ذلك انصرفت مطمئنة فأقام في تلك المغارة أربعين يوما ففي هذه الاربعين يوما مات الذي كان يقتل الاطفال فحمله بعض الملائكة ووضعه في حجر أمه فاذا بالنور الذي كان في جبهة أبيه لامك انتقل الى جبهة ابنه عبد الغفار وهو نوح عليه السلام فأخذت أمه في تربيته حتى كبر وانتشى فتعلم صنعة النجارة وأتقنها وكان يرعى الغنم لقومه بالاجرة فأقام على ذلك مدة طويلة حتى توفي أبوه لامك فاستخلفه من بعده وسلم اليه الصحف والتابوت والسمط

﴿ذكر قصة نوح عليه السلام﴾ وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن ادريس عليه السلام قال الكسائى كان اسمه عبد الغفار أو يشكر وسبب تسميته نوحا قيل انه رأى كلبا له أربعة اعين فقال نوح ان هذا الكلب شنيع فقال له الكلب يا عبد الغفار أتعيب النقش أم النقاش فان كان العيب على النقش فان الامر لو كان الى لم اختر أن اكون كلبا وان كان العيب على النقاش فهو لا يلحقه عيب لانه يفعل ما يشاء فكان كلما ذكر ذلك ينوح و يبكى على خطيئته وذنبه فلكثرة نوحه سمى نوحا رواه السدى قال وهب بن منبه لما أتى على نوح من العمر أربعمائة وثمانون سنة أتاه جبرائيل عليه السلام فقال له نوح من أنت أيها الرجل البهى فقال له جبرائيل أنا رسول رب العالمين جئتك بالرسالة من عنده وقد بعثك الله الى قومك وهو قوله تعالى انا أرسلنا نوحا الى قومه ان أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم ثم ان جبرائيل ألبسه لباس المجاهدين وعممه بعمامة النصر وقلده بسيف العزم ثم قال له امض الى عدو الله درمشيل بن فوميل بن جيج بن قابيل بن آدم وكان درمشيل جبارا عنيدا وهو أول من اعتصر الخمر وشربها وهو أول من لعب بالقمار وأول من اتخذ الثياب المنسوجة بالذهب وكان هو وقومه يعبدون الاصنام الخمسة وهى ود وسواع و يغوث و يعوق ونسر وهى التى ذكرها الله فى القرآن العظيم وكان حول هذه الاصنام ألف وسبعمائة صنم وكان لهم بيوت مبنية بالرخام الملون طول كل بيت ألف ذراع وعرضه كذلك وكان لهذه الاصنام كراسى من الذهب فيها أنواع الجواهر الفاخرة وكان لها خدام يخدمونها بالليل والنهار وكان لها عيد معلوم فى السنة يجتمعون فيه فخرج اليهم نوح فى ذلك اليوم وكانوا يوقدون النار حول تلك الاصنام و يقربون اليها القربان ثم يسجدون بين يديها تعظيما لها وكانوا يخرجون بأصناف الملاهى و يضربون بالصنوج و يرقصون عندها و يشربون الخمر و يزنون بالنساء جهارا من غير ستر و يركبوهن كالبهائم بين الناس فلما خرج اليهم نوح ووقف على تل عال ورفع رأسه الى السماء وقال الهى اسألك ان تنصرنى عليهم بنور محمد صلى الله عليه وسلم وكانوا مما لا يحصون لكثرتهم ثم ان نوحا وقف على ذلك التل ونادى بأعلى صوته يا أيها القوم انى قد جئتكم من عند رب العالمين ادعوكم لعبادته وأنهاكم عن عبادة الاصنام فلما صاح نوح هذه الصيحة بلغ صوته الى المشرق والمغرب وسقطت الاصنام عن كراسيها وفزع من كان حولها من الخدام وغشى على الملك درمشيل فلما أفاق من غشيه قال لمن حوله ما الذى سمعتموه من الصوت فقالوا هذا صوت رجل يقال له نوح وهو مجنون وفى عقله خلل فقال الملك ائتونى به فجاءت اليه أعوان الملك فأخذوه وأوقفوه بين يدى الملك فقال له الملك من أنت قال أنا نوح رسول رب العالمين قد

جئتكم

جئتكم بالرسالة لتؤمنوا بالله وحده وتتركوا عبادة هذه الاصنام فقال له الملك ان
كان بك جنون نداويك وان كنت فقيرا نواسيك وان كنت مديونا قضينا عنك دينك
فقال نوح ما بي جنون ولا أنا فقير ولا علي ديون وانما أنا رسول رب العالمين فكان نوح
أول المرسلين وهو من أولي العزم وقد بعثه الله الى بني قابيل لما تمادوا على عبادة
الاصنام واظهروا الشرك بالله فدعاهم الى توحيد الله وان يقولوا لا اله الا الله وان
نوحا رسول الله فلما سمع الملك كلامه غضب عليه وقال لولا انه يوم عيد لقتلته أشر قتلة
ويروى انه آمن بنوح في ذلك اليوم امرأة يقال لها عمرة فتزوجها فولدت منه ثلاثة
أولاد ذكور وهم سام وحام ويافث وولدت له ثلاث بنات وهي حصوة وسارة
ومحبورة ثم آمنت به امرأة اخرى يقال لها ولعب بنت محويل فولدت له ولدين وهما
بانوس وكنعان ثم انها عادت الى دينها بعد اسلامها ثم آمن به من الرجال والنساء نحو
من سبعين انسانا وصار نوح يخرج الى القوم في كل يوم وينادي ياقوم اعبدوا الله
مالكم من اله غيره لاشريك له فيخرج اليه القوم من بيوتهم فيضربونه بالعصي
والنعال فيغشى عليه ويغيب عن الدنيا فيجرونه من رجله ويلقونه على المزابل ولما
يفيق يمسح الدماء عن وجهه ويصلي ركعتين ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
فأقام على ذلك نحوا من ثلاثمائة سنة ثم ان الملك درمشيل هلك وأقام بعده ابنه تو بين
فكان أطغى من أبيه فصار نوح يدعوه لما كان يدعو أباه من قبله اليه واستمر نوح يدعو
قومه الى أربعمائة سنة حتى دخل عليه القرن الخامس والقوم على حالهم وكانوا كلما
سمعوا صوت نوح عليه السلام يضعوا أصابعهم في آذانهم كما أخبر الله العظيم في
القرآن الكريم وكان قومه يجمعون له الحجارة فوق الاسطحة فاذا مر عليهم يرمونه بها
فيغشى عليه فيظنون انه قد مات فكانت الطيور تروح عليه باجنحتها اذا غشي عليه
فيفيق فلا زال حتى مر عليه ست قرون ودخل في القرن السابع وهلك الملك تو بين
واستخلف من بعده ابنه طفردوس فكان أشد طغيانا من أبيه فصار كلما يدعوهم
يرمونه بالحجارة كما تقدم ثم أوحى الله تعالى الى نوح انه لم يبق في أصلاب الرجال ولا في
بطون النساء مؤمن يجيب دعوتك وقد أعقمهم الله تعالى فعند ذلك دعا عليهم نوح
بأن لا يبقى أحدا منهم كما أخبر الله تعالى عنه بقوله رب لا تذر على الارض من
الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فانفتحت
أبواب السماء لدعوته وهاجت عندها الملائكة قال فعند ذلك أوحى الله اليه أن
اصنع الفلك الآية فقال نوح يارب وما الفلك قال هو بيت من الخشب يجري على وجه
الماء فأمره ان يغرس في الارض خشب الساج وقيل هو الآبنوس فأمره ان يغرسه
بأرض الكوفة فغرسه فأقام أربعين سنة حتى ادرك وأمر السماء ان تمنع القطر وأمر

الارض ان تمنع النبات ففي تلك المدة لم ينزل من السماء قطرة ولم يخرج من الارض عشبة ولم تلد امرأة ولا بهيمة ولا وحش ولم يفرخ طير وذلك لاقامة الحجة على الناس قبل نزول العذاب فأمر الله نوحا عليه السلام ان يتوجه الى الكوفة و ينقل خشب الساج فبقي نوح متحيرا كيف ينقل الخشب فأوحى الله اليه ان عوج بن عنق يحمل ذلك قال الكسائي ان عنقا أم عوج كانت من أولاد آدم وكانت شنيعة المنظر قبيحة الشكل وكانت ساحرة ماهرة فولدت عوج ثم ماتت بعد ولادتها بمائة سنة فلما كبر عوج كان عظيم الخلقة طوله ستمائة ذراع بالذراع القديم وهو ذراع ونصف الآن وكان عرضه مثل ذلك حتى قيل انه لما جاء الطوفان لم يجاوز الى ركبته وكان اذا جلس على الجبل يمد يده الى البحر فيأخذ منه السمك و يشويه في عين الشمس وكان اذا غضب على قرية يبول عليهم فيغرقهم وقيل انه سلط على أهل قرية فقالوا له نحن نكسوك قميصا ولا نأخذ منك ثمنه الا بعد سنة فتخارج أهل تلك القرية وصنعوا له قميصا من القطن فالبسوه اياه فمضى عنهم فكان كلما قصد ان يمر عليهم يذكر ما عليه من الدين فيرجع عنهم ولا يدخل اليهم خوفا من الدين ويروى ان عوج بن عنق عاش من العمر أربعة آلاف سنة وخمسمائة سنة وأدرك أيام موسى فلما دخل موسى الى التيه ومعه بنو اسرائيل قصد عوج ان يهلكهم فجاء الى جيش موسى لاجل ان يعرف مقدارهم فوجدهم فرسخا في فرسخ فمضى الى جبل وقلعه من الارض واحتمله على رأسه وجاء ليقلبه على جيش موسى فأرسل الله اليه هدهدا وجعل له منقارا من حديد فنزل ذلك الهدهد على تلك الصخرة وجعل ينقرها حتى نقبها فنزلت في عنق عوج فصارت قفلا له لا يستطيع الحركة فلما رأى موسى ذلك أتى اليه وضربه بعصاه وكان طولها عشرة أذرع ووثب موسى في الهواء عشرة أذرع وكان طول موسى عشرة أذرع فلم تبلغ ضربته ساق عوج فلما ضربه موسى خر عوج ميتا وصار ملقى في الفلاة كالجبل العظيم و يروى ان ببلاد التتر نهرا يسمى الطائي وعليه قنطرة عظيمة فيقال ان تلك القنطرة من عظم ضلع عوج بن عنق وكان من جملة عجائب الدنيا قال الكسائي فلما أوحى الله الى نوح بان الذي يحمل له الخشب عوج من الكوفة الى أرض الحيرة وكانت الحيرة قرية قريبة من بغداد فجاء نوح الى عوج وسأله ان يحمل له الخشب فقال عوج لا أحمل لك ذلك حتى تشبعني من الخبز وكان مع نوح ثلاثة أرغفة من خبز الشعير فقدم الى عوج قرصا منهن وقال له كل فضحك عوج من ذلك وقال لو أن مثل هذا الجبل خبزا ما أشبعني فكيف أشبع بهذا القرص فكسر له نوح ذلك القرص وقال له قل بسم الله الرحمن الرحيم وكل فأكل القرص وقدم له قرصا ثانيا فشبع من نصف الثاني ولم يقدر ان يأكل شيأ بعد ذلك فحمل عوج ذلك

الخشب من الكوفة الى الحيرة جميعه فى نقلة واحدة فلما صار الخشب عند نوح قال يارب وكيف أصنع هذه السفينة فأوحى الله تعالى الى جبرائيل ان يعلمه كيف يصنع السفينة فكان نوح يضع الخشب ألواحا ويلصق بعضها ببعض ويسمرها بالمسامير الحديد ثم جعل رأسها كرأس الطاوس وذنبها كذنب الديك ومنقارها كمنقار الباز وأجنحتها كأجنحة العقارب ووجهها كوجه الحمامة وجعلها ثلاث طباق وقيل سبع طبقات قال ابن عباس رضى الله عنهما كان طولها ألف ذراع وعرضها ستمائة ذراع وارتفاعها ثلاثمائة ذراع ويروى انه أقام فى اعمالها أربعين سنة فكان القوم يسخرون منه ويقولون له يانوح قد تركت النبوّة وصرت نجارا قال الكسائى كان القوم اذا أتى الليل يطلقون النار فى خشب السفينة فلم تعمل فيه النار فيقولون هذا من سحر نوح فلما أشرفت السفينة على الفراغ طلاها بالزفت والقير ثم أوحى الله تعالى اليه بأن يسمر فى جوانبها أربع مسامير وينقش على كل مسمار منها عينا فقال نوح يارب وما فائدة ذلك فأوحى الله اليه هذه أسماء أصحاب محمد وهم عبد الله أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين فلا تتم السفينة الا أن تفعل ذلك ففعل نوح ما أمره الله به فتمت السفينة ثم أنطقها الله تعالى فقالت جهارا والناس يسمعون لا اله الا الله اله الاولين والآخرين أنا السفينة التى من ركبنى نجا ومن تخلف عنى هلك فقال نوح تؤمنون الآن فقالوا ان هذا من سحرك يانوح ثم أوحى الله تعالى اليه انه قد اشتد غضبى على من عصانى فأمره الله أن يحمل معه قوت ستة أشهر وأن يعمل فى السفينة خازنا للماء العذب ثم أنزل الله لنوح خرزة من الجنة لها ضوء كضوء الشمس فكان يعلم منها مواقيت الليل والنهار ومضى الساعات ثم ان نوحا استأذن ربه بان يحج فاذن له بذلك فلما مضى الى مكة أراد القوم أن يحرقوا السفينة فأمر الله تعالى الملائكة بان يرفعوها بين السماء والارض فرفعوها والقوم ينظرون اليها فلما مضى نوح الى مكة وطاف بالبيت سبعا ثم دعا على قومه هنالك فاستجاب الله دعاءه فلما رجع نوح من مكة أنزل الله له السفينة الى الارض ثم أوحى الله تعالى اليه بان يصعد الى الجبل وينادى بأعلى صوته يامعشر الوحوش والطيور والهوام وكل شئ فيه روح هلموا الى دخول السفينة فقد قرب العذاب فوصلت دعوته الى المشرق والمغرب فاقبلت اليه الوحوش والطيور والدواب والهوام أفواجا أفواجا فقال نوح انى أمرت أن أحمل معى من كل زوجين اثنين ثم أمره بان يحمل معه الاشجار قاطبة وأن يحمل معه جسد آدم وحواء فوضعهما فى تابوت ثم أمره بان يحمل معه الحجر الاسود وعصا آدم التى أنزلت عليه من الجنة وحمل معه التابوت والصحف والسمط وكان جملة من دخل معه فى السفينة أربعين رجلا وأربعين امرأة فوضعهم فى الطبقة

الاولى وفي الطبقة الثانية الوحوش والدواب والانعام و يروى ان آخر من دخل من الدواب الحمار وقد مسك ابليس اللعين بذنبه فمنعه من الدخول فظن نوح ان الحمار يمتنع من قبل نفسه فقال له نوح أدخل ياملعون فدخل الحمار وابليس معه فلما رآه نوح قال له من أذن لك في الدخول فقال أنت أذنت لي ألست القائل أدخل ياملعون وما في الخلق على الاطلاق ملعون غيري و يروى ان نوحا لما ركب السفينة نهى جميع من كان معه عن النكاح خشية من التناسل فيضيق عليهم المكان فاطاعه جميع من كان فيها الا الكلب فانه نكح انثاه فنمت الهرة لنوح على الكلب على فعله فانكر ذلك وعاد ثانيا وثالثا فقالت الهرة انوح في ذلك فدعا عليهما بالفضيحة فوقعت العداوة بين الكلب والهرة من يومئذ وصار لهما الفضيحة عند جماعهما وقيل فيهما

قالت الهرة قولا * جمعت كل المعاني

أشتهي أن لاأرى الكلب ولا الكلب يراني

(ويروى) انه لما كثر روث الدواب في السفينة شكوا من ذلك الى نوح فأوحى الله اليه أن اعصر ذنب الفيل فلما عصره وقع منه خنزير وخنزيرة فصارا يأكلان الروث ثم خلق الله من عطسة الخنزير فأرا وفارة ثم تناسل الفيران فصاروا يقرضون في جوانب السفينة فشكا أهل السفينة من ذلك فسلط على الفيران السنانير وهم القطط فصاروا يأكلونهم أكلا ذريعا حتى أفنوهم عن آخرهم فمن ذلك اليوم صارت العداوة بين القط والفار * قال ابن وصيف شاه لم يكن في ملوك مصر أغنى من سوريد ومما وقع له انه رأى في منامه قبل وقوع الطوفان بثلاثمائة سنة كأن السماء قد انقلبت على الارض حتى صارت كالجوبة وكأن الكواكب قد تساقطت والشمس والقمر قد قربا من العالم ورأى طيورا بيضا تخطف الناس وتلقيهم بين جبلين وكأن الدنيا سوداء مظلمة وكأن الناس قد اجتمعوا عليه من صعيد واحد وهم يستجيرون به فلما رأى ذلك استيقظ من منامه وهو مرعوب خائف فلما أصبح استدعى بالكهنة وهم مائة رجل وكانوا لا يقصون أمرا الا بالنجوم والطوالع فاختلى بهم وقص عليهم الرؤيا فقالوا ان رؤياك سماوية يهلك بها جميع العالم وجميع من على وجه الارض فقال لهم الملك خذوا الارتفاع من الكواكب فلما نظروا في ذلك قالوا وجدنا القمر في برج السرطان وهو مقارب للسماك فيكون الهلال في أمر من طوفان وان هذه لآفة مائية سماوية فقال لهم انظروا هل تلحق هذه الآفة بلادنا فقالوا له نعم تأتي اليها وتقيم البلاد خرابا مدة طويلة فقال لهم الملك انظروا هل تعود بلادنا عامرة أحسن مما كانت عليه قالوا نعم تعود عامرة أحسن مما كانت عليه فعند ذلك أمر سوريد ببناء هذه الاهرام وقد جعل أساسها مقدار ارتفاعها عن الارض

وقال

وقال نجعلها لنا نواويس وقبور الاجسادنا ثم انه نقل اليها أشياء كثيرة من الاموال والجواهر وآلات السلاح والتماثيل العجيبة والاوانى الغريبة التى هى من سائر المعادن وكتب عليها الطلاسم والعلوم الفلكية التى تخبر بما سيحدث من الامور الى آخر الزمان ومن يملك البلاد من الملوك المسلمين والكافرين وأخبرت الكهنة ان هذا الطوفان لايقيم كثيرا على وجه الارض بل تغوار بعين يوما فبنى الاهرام وحبس فيه الهواء بتقدير وتدبير بالحكمة وادخر ماذكرناه من الاموال وغير ذلك وقال ان كنا ننجو من هذا الطوفان نعود الى ملكنا فنجد أموالنا كما هى باقية وان متنا فتكون هذه الاهرام قبورا لاجسادنا حرزا تصونها من البلى فصنع كل واحد من وزرائه وحكمائه وأرباب دولته هرما لتكون حرزا لاجسادهم من الطوفان قال المسعودى فى مروج الذهب ان فى كل هرم منها سبع بيوت على عدد الكواكب السيارة وفى تلك البيوت عدة أصنام من الذهب مرصعة بالجواهر الفاخرة وفى آذانهم درر قدر بيضة الدجاج وفى كل هرم نواتم من الرخام الاخضر وفيه جثة صاحبه مطبق عليه ومعه صحيفة فيها اسمه وترجمته ومدة ملكه وذكروا ان لهذه الاهرام مكانا ينفذ الى صحراء الفيوم وهى على مسيرة يومين من الاهرام (ومما حكى) عن الشهاب الحجازى قال خرجنا من الجامع الازهر احد عشر نفرا فى طلب الاهرام وكان معنا عدة سلب طوال على حمار فلما وصلنا الى الاهرام دخلنا الى الهرم الكبير المفتوح ووقفنا على رأس البئر الذى به فتجرد منا شخص وكان يدعى الشجاعة فربطناه من وسطه بسلبة من تلك السلب التى معنا وأدليناه فى البئر فنفد السلب الذى معنا جميعا ولم ينته الى قعر البئر فربطنا فى السلب شاش عمائمنا فانقطع الشاش فهوى الشخص الى قعر البئر ولم نعلم له خبرا فرجعنا متأسفين عليه وخائفين على أنفسنا بسببه فدخلنا فى خفية الى القاهرة ولم نعلم أحدا من الناس بحالنا فبينما نحن فى الجامع بعد مضى أسبوع واذا نحن بصاحبنا الذى سقط فى البئر قد دخل علينا وهو فى غاية الضعف فلما دخل من باب الجامع وقرب منا سقط بيننا وغشى عليه فلما أفاق استحكيناه عما كان من أمره بعد سقوطه فى البئر فقال لما انتهى بى السقوط نزلت على علية أعطتنى ليانة فواريت بالزناد الذى كان معى وأوقدت شمعة ومشيت فى ذلك فوجدت من زبل الوطاويط شيأ كثيرا ورأيت أشخاصا وأشباحا طوالا واقفين على عكاكيز فقربت من واحد منهم وهززته فانقض الى الارض هباء منثورا فأخذت عكازته من يده ومشيت فاذا أنا بباب امامى ودهليز فأخذت أمشى فى ذلك الدهليز وقد زاد بى الخوف والفزع ووجدت هناك عظاما بالية ورؤسا وجماجم كبارا على قدر البطيخ الكبير وبينما أنا أمشى فى ذلك الدهليز واذا بشئ يمشى

قدامي فتأملته فاذا هو ثعلب فتبعته حتى خرج من ثقب فرأيت منه ضوء الدنيا فاردت أن أخرج منه فلم أستطع فحفرت بتلك العكازة التي معي فاتسع ذلك الثقب قليلا فخرجت فلما رأيت نفسي على وجه الارض وقعت مغشيا على فلم أدر أين أنا من البلاد واذا أنا بانسان يقول قم أيها الرجل فان القفل راح وخلاك فقلت وأي مكان أنا فيه قال في صحراء الفيوم فقمت وركبت مع القفل وكنت لما خرجت من الثقب وجدت العكازة التي معي ذهبا جيدا فلما أغمي علي فقدته واختفى عني ذلك المكان الذي خرجت منه فتحيرت من ذلك واذا بقائل يقول لي لا تطمع في عود العكازة اليك فتوجهت صحبة القفل ودخلت القاهرة اه (قال) أبو الريحان البيروني في كتاب الآثار الباقية من القرون الخالية ان الهرم الكبير الشرقي موكل به صنم من جزع أبيض واسود وله عينان مفتوحتان براقتان وهو جالس على كرسي من ذهب وبيده حربة فاذا دنا منه أحد صوت عليه صوتا عاليا فيخر الذي يدنو منه على وجهه ولا يبرح عنه حتى يموت مكانه والهرم الغربي موكل به صنم من حجر الصوان وهو جالس على كرسي من ذهب وعلى رأسه شبه حية وقد تطوق بها فمن دنا منه وثبت عليه تلك الحية وتطوقت على عنقه حتى تقتله ثم تعود الى مكانها والهرم الصغير المكسي بحجر الصوان موكل به صنم من حجر البهت فمن نظر اليه يجذبه حتى يلتصق به فلا يبرح عن مكانه حتى يموت قال المسعودي لما فرغ سوريد من عمارة تلك الاهرام وكل بها جماعة من الروحانيين وذبح لها الذبائح لتمنع من أرادها بسوء فوكل بالهرم الشرقي غلاما أمرد مصفر اللون وهو عريان وله أسنان كبار ووكل بالهرم الغربي امرأة عريانة بادية عن فرجها تضحك في وجه الانسان حتى يدنو منها فتستهويه فيذهب عقله ووكل بالهرم الصغير الملون شخصا في يده مبخرة وعليه ثياب الرهبان وهو يبخر حول هذا الهرم وذكر جماعة من أهل الخبرة انهم يرونه مرارا عديدة وهو يطوف حول الهرم وقت القائلة وعند غروب الشمس فاذا دنوا منه يغيب عنهم واذا بعدوا عنه يظهر لهم عن بعد وأما مانقله محمد بن عبد الكريم ان في أحد هذين الهرمين قبر اغاثيديمون وفي الآخر قبر هرمس وكانا من حكماء اليونان وكان أخو ديمون أقدم من هرمس وكانت الصابئة يحجون اليها من أقطار الارض ويحملون اليها الاموال الجزيلة على طريق النذر وكان وراء هذه الاهرام من جهة الغرب أربعمائة مدينة عامرة غير القرى وأما مانقله أبو الحسن المسعودي في مروج الذهب حيث قال ان سوريد لما فرغ من بناء هذه الاهرام كساها الديباج الملون من أعلاها الى أسفلها وعمل لها عيدا يحضره أرباب دولة مدينته وكتب على جانبها هذا بناء سوريد بن شهلوق قد بناها في ستين سنة فمن يدعي قوة في ملكه

فليهدمها

فلم يهدمها فى ستمائة سنة وان الهدم أيسر من البناء فهو الصحيح وقيل ان الخليفة المأمون لما فتح الباب الذى فى الهرم الكبير وجد به قطعة من المرجان وهى كاللوح وفيها مكتوب هذا بناء سوريد الى آخر كتابته بالقلم القديم قال ولما دخل الاستاذ أبو الطيب مصر رأى الاهرام فأنشد يقول

أين الذى الهرمان من بنيانه * ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن أصحابها * حينا ويدركها الفناء فتصدع

وأما ما قالت الشعراء فى وصف الاهرام فمن ذلك قول القائل

انظر الى الهرمين واسمع منهما * ما يرويان عن الزمان الغابر
وانظر الى سير الليالى فيهما * نظرا بعين القلب لا بالناظر
لو ينطقان لخبرانا بالذى * فعل الزمان بأول وبآخر

وقال آخر

لله أى غريبة وعجيبة * فى صنعة الاهرام للالباب
أخفت عن الاسماع قصة أهلها * كشفت عن الابداع كل نقاب
فكأنما هى كالخيام مقامة * من غير أعمدة ولا اطناب
مثل العرائس جردوا أثوابها * عنها ولم تنطق عن الاعجاب

وقال آخر

تحقق ان صدر الارض مصر * ونهداها من الهرمين شاهد
فواعجبا فكم أفنت قرونا * على هرم وذاك الثدى ناهد

انتهى ومن هنا نرجع الى ما كنا فيه قال ثم أوحى الله الى نوح يا نوح اذا فار التنور من بيت ابنك سام فاركب فى السفينة وكان سام أكبر أولاده وهو يومئذ ابن ثلثمائة سنة وكان متزوجا بامرأة تسمى رحمة فجاء نوح الى بيت ابنه سام وقال يا رحمة ان مبدأ الطوفان يكون من هذا التنور الذى تخبزين فيه فاذا رأيت التنور قد فار فأسرعى الى من وقتك واخبرينى وكان هذا التنور من حجر أسود فلما كان يوم الجمعة لعشر مضين من رجب كانت رحمة تخبز فى التنور فلما كان آخر رغيف واذا بالماء قد فار وهو قوله تعالى حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور الآية فلما رأت رحمة ذلك صاحت الله أكبر قد جاء ما وعد الله به من العذاب وقد صدق نبى الله نوح فبادرت رحمة الى نوح واخبرته بفوران التنور فقال نوح لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وكان نوح قد جهز ما كان يحتاج اليه فى السفينة حتى علف الدواب والطير فلما أعلمته رحمة بذلك أتى الى بيت ابنه سام فرأى الماء يفور من التنور وقد ملأ صحن الدار وهو يخرج من الباب كالنهر العظيم فلما رأى ذلك توجه الى السفينة وهو ينادى يا قوم النجاة النجاة فأتوا الى السفينة وكانت عدتهم أربعين امرأة وأربعين رجلا ثم ان نوحا قال لابنه كنعان اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم

اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وقد أخبر الله عنه
انه غير صالح قال وهب بن منبه ان كنعان بن نوح غرق قبل أن يصل الى الجبل قال
ابن عباس لما فار التنور فتحت أبواب السماء بالمطر من غير سحاب وأظلمت الدنيا ظلمة
شديدة فكانت ملائكة الغضب تضرب باجنحتها على وجه الشمس وكانت السماء
تقول لولا الحد الذى حده الله تعالى لغاض الماء الى الارض السابعة وكان الرجل
يمشى فى الطرقات والماء ينبع من تحت رجليه وكانت المرأة قائمة فى بيتها فينبع الماء
من تحتها وهو يفور ويغلى كغليان القدور وصار الماء ينبع من سائر أقطار الارض
فلما فار الماء فى مدينة امسوس وكانت يومئذ كرسى مملكة الملك سورند وسمع صريخ
العالم ركب فى عظماء قومه ووقف على تل عال ليرى أحوال الناس وهو متفكر فى
هذا الماء فلم يشعر الا والماء يفور من تحت حافر فرسه فرجع الى قصره فما صار فى قصره
الا والماء صار له موج عظيم كالجبال ومابقى يظهر شئ من الارض قال وهب بن منبه
كان مبدأ الطوفان من الكوفة وبها فار التنور وأما نوح فانه ركب فى السفينة هو
وأهله وقد تقدم ذكر ذلك ويروى ان عوج بن عنق لما رأى هذه الاهوال أتى الى
السفينة ووضع يده عليها فقال له نوح ماتريد ياعدو الله فقال له عوج لا بأس عليك
يانبى الله دعنى أمشى مع السفينة حيث مشت فأضع يدى عليها وأستأنس بها من
الفزع وأسمع تسبيح الملائكة فأوحى الله الى نوح لا تخش من عوج ودعه يمشى مع
السفينة حيث سارت ثم ان نوحا أغلق أبواب السفينة وقال اركبوا فيها بسم الله
مجراها ومرساها فصارت تمشى بهم بين أمواج كالجبال وقد قال الله تعالى انا لما طغى
الماء حملناكم فى الجارية ويروى ان الله تعالى لما أرسل الطوفان رفع البيت المعمور
الذى كان أنزله فى زمن آدم وكان من ياقوتة حمراء فلما طغى الماء رفعه الله تعالى الى
السماء وسمى البيت المعمور العتيق لانه صار عتيقا من الطوفان فلما سارت السفينة
أتت الى مكان الكعبة وطافت به سبعا ثم أتت الى مكان بيت المقدس فزارته
وكانت السفينة لا تمر بنوح على مكان حتى تنادى يانوح هذا مكان كذا وكذا فطافت
به من المشرق الى المغرب وكان حول السفينة سبعون ألف ملك يحفظونها من
العذاب المنزل فكانت تجرى فى الماء كجرى القمر فى الفلك فلم تكن الا ساعة يسيرة
حتى ارتفع الماء فوق رؤس الجبال مقدار أربعين ذراعا وعم الارض والجبال ولم يبق
على وجه الارض ذو روح غير أهل السفينة وعوج بن عنق الاهلك ولم تبق مدينة ولا
قرية الا خربت ولم يبق لها أثر الا الاهرام والبرابى فانها كانت محكمة البناء ✽ ومن
النوادر الغريبة ما رواه الثعلبى فى أخبار الطوفان ان امرأة حملت ولدا لها صغيرا
مرضعا ولم يكن فى القوم من الاطفال غيره فلما ارتفع الماء حملت ابنها على عنقها

وهربت وصعدت الى جبل عال لتعتصم به من الماء فلما غشيها الماء حملت ابنها على عنقها فلما بلغ الماء الى فمها رفعته بيدها الى أعلى رأسها فلما غمرها الماء جعلته تحت رجليها ووقفت عليه ساعة فطلبت النجاة قدر نفس ثم غرقا جميعا فاوحى الله الى نوح لو كنت ارحم أحدا من قومك لرحمت تلك المرأة وولدها فصارت هذه الواقعة مثلا فيقال اذا وقع الطوفان يضع الانسان ولده تحت رجليه * قال الكسائي اختلف جماعة من العلماء في مقدار مكث الماء على الارض فنهم من قال مكث على وجه الارض ستة أشهر ومنهم من قال مائة وخمسين يوما وبعد ذلك أوحى الله الى الارض يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودي ويروى أن الجودي جبل بالقرب من الموصل فاستقرت السفينة عليه * قال الثعلبي كان استواء السفينة على جبل الجودي في يوم عاشوراء وهو العاشر من المحرم فصامه نوح شكرا لله تعالى وأمر من كان معه بالصيام في ذلك اليوم شكرا على تلك النعمة ويروى أن الطيور والوحوش والدواب جميعهم صاموا ذلك اليوم ثم ان نوحا أخرج ما بقي معه من الزاد فجمع منها سبعة أصناف من الحبوب وهي البسلة والعدس والفول والحمص والقمح والشعير والارز فخلط بعضها في بعض وطبخها في ذلك اليوم فصارت الحبوبية من ذلك اليوم سنة نوح عليه السلام وهي مستحبة ثم فتح أبواب السفينة فرأى الشمس والسحاب وقد تقطع وظهر في الارض قوس قزح وقيل انه لم يظهر فيما قبل الا في ذلك اليوم وكان دليلا لنقص الماء فلما رأى نوح ذلك كبر وكبر معه أهل السفينة قاطبة ثم ان أهل السفينة صاروا لا يقابلون الشمس بأعينهم فشكوا ذلك الى نوح وقالوا لا طاقة لنا ان نقابل ضوء الشمس بأعيننا فأمرهم أن يكتحلوا بحجر الاثمد في ذلك اليوم لتقوى أعينهم ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اكتحل في يوم عاشوراء لم يرمد في سنته ثم ان نوحا فتح أبواب السفينة كلها فدخلت الشمس ونفضت الطيور أجنحتها وتحركت الوحوش وتمايلت الاشجار ثم ان عوج بن عنق لما رأى السفينة قد رست تركها ومضى يخوض في الماء حيث شاء قال الكسائي أول ما ظهر من الجبال في الارض جبل أبي قبيس الذي بمكة وظهر مكان الكعبة وقد صارت ربوة حمراء ولم يسلم من القرى سوى قرية نهاوند فوجدت من تحت الماء كما هي لم تتغير وسلمت الاهرام وسلمت البرابي التي كانت بجهات الصعيد وهي التي بناها هرمس الاول الذي أودع فيها علم النجوم وعلم الهيئة فوجدت على حالها ثم ان نوحا أراد أن يعلم هل انكشف الماء عن الارض أم لا فأرسل الغراب ليكشف له خبر الارض فلما ذهب الغراب رأى جيفة فاشتغل بأكل الجيفة فابطأ بالخبر عن نوح سبعة أيام فدعا عليه فصار يمشي وفي رأسه الرعنة لا يستقر بمكان واحد ثم ان نوحا قال لبقية

الطيور من فيكم يأتيني بخبر الماء ولم يفعل كفعل الغراب فقالت الحمامة أنا آتيك بخبر الماء يانبي الله فطارت وغابت ساعة ثم رجعت وفي فمها ورقة خضراء فلما رأى نوح تلك الورقة في فمها قال هذه الورقة من ورق الزيتون فعلم ان الماء لم ينكشف عن الارض ثم أقام بعد ذلك مدة يسيرة وأرسل الحمامة فغابت ساعة ثم عادت ورجلاها مخضبة بحمرة وسبب ذلك انه أول ما انكشف عن الارض مكان الكعبة فصارت ربوة حمراء فوقفت عليها الحمامة فاختضبت رجلاها من ذلك الطين الاحمر وتطوقت فدعا لها نوح وقال اللهم اجعل الحمام ابرك الطيور وأكثر من نسله وحببه للناس فما أقامت السفينة على الجبل أربعين يوما حتى جفت الارض ونبت فيها الاعشاب من كل جانب فأوحى الله الى نوح ان اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك ثم ان الله أمر نوحا بأن يطلق ما كان معه من الطيور والوحوش والدواب والهوام فاطلقهم أجمعين فتفرقوا في الفضاء كما كانوا في الاول ثم ان الله تعالى أظهر الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم كما كانوا أولا ثم بعد ذلك أمطر مطر الرحمة ودحرج ماء الطوفان عن الارض وجعله ملحا أجاجا ففرح نوح بذلك واستبشر بالرضى من الله تعالى ويرى ان نوحا لما خرج من السفينة رأى الارض بيضاء كلها فصار متعجبا من ذلك فأتاه جبرائيل وقال له هل تدري يانوح ماهذا البياض الذي تراه قال وماهو قال هذه عظام قومك ثم سمع صلصلة عظيمة فقال له جبرائيل أتدري ماهذه الصلصلة قال وماهي قال هذه أصوات السلاسل التي يسحبون بها قومك الى النار وهو قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا قال لما خرج نوح من السفينة وكان معه من المؤمنين ثمانون انسانا عمر لهم قرية هناك وسماها قرية الثمانين وهي أول قرية بنيت على وجه الارض بعد الطوفان فلما استقروا بتلك القرية أوقع الله فيهم الفناء فماتوا جميعا ولم يبق منهم أحد الا نوح وأولاده وهم سام وحام ويافث ونساؤهم فكان عدتهم سبعة أنفس وهو قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين فجميع العالم من نسل نوح عليه السلام وهو أبو البشر الثاني قال وهب بن منبه كان مبتدأ الطوفان في رجب وكان انتهاؤه في أواخر ذي الحجة قال أبو معشر كان بين طوفان نوح وتوبة آدم ألفان ومائتان وأربعون سنة وكان بين الطوفان والهجرة النبوية ثلاثة آلاف وسبعمائة وأربعة وسبعون سنة (ومن) النكت اللطيفة مانقله الثعلبي قال لما استقر نوح أوحى الله اليه بأن يغرس الاشجار التي كانت معه فغرسها في أول الارض وكان أول ماغرس شجرة الآس وأراد أن يغرس شجرة العنب فلم يجدها فقال لولده سام يابني مافعلت بشجرة العنب فقال لا أعلم بها فهبط جبرائيل وقال له يانوح ان ابليس قد سرقها قال نوح لابليس

أعد شجرة العنب التى سرقتها فقال ابليس ما أعيدها اللك حتى تشركنى بها فقال له قد جعلت لك فيها الثلث فأبى ابليس من ذلك فقال قد جعلت لك الثلثين فرضى قال الشيخ كمال الدين الدميرى فى كتاب حياة الحيوان لما غرس ابليس شجرة العنب فى الارض ذبح عليها طاوسا فشربت من دمه فلما طلعت أوراقها ذبح عليها قردا فشربت من دمه فلما أثمرت ذبح عليها أسدا فشربت من دمه فلما تزببت أعنابها ذبح عليها خنزيرا فشربت من دمه فلهذا شارب الخمر تعتريه هذه الاوصاف الاربعة وذلك أول ما يشربها وتدب فى أعضائه يزهو كما يزهو الطاوس فاذا انتشى صفق ورقص كما يرقص القرد فاذا اقوى عليه السكر عربد وزمجر كما يفعل الاسد فاذا خدر منه السكر ينعس ويطلب النوم كما يفعل الخنزير فهذه العناصر الاربعة لا تحول من شارب الخمر قط وقال فى المغنى

كرمها من عهد نوح عصرا * فيه سر لسرور الانفس
ليس قولى بحديث مفترى * لم يزل شاربها فى أنفس

قال الكسائى أول من عصر الخمر وصنع الطار والمزمار وآلات الطرب ابليس

ذكر ما كان من أخبار الارض بعد الطوفان قال الكسائى لما استقر نوح فى الارض قسم الجهات بين أولاده الثلاثة وهم سام وحام ويافث فاستقر سام بالجهة الغربية فكان من نسله الروم وفارس والعرب وكان يرى فى وجهه سام نور النبوة وأضاف اليه جهات الحجاز واليمن والعراق والشام وغير ذلك من الجهات وكان أكبر أولاده وأما حام فاستقر بالجهة القبلية مع الجنوب فكان من نسله الزنج والحبشة وأما يافث فاستقر بالجهة الشرقية فكان من نسله الترك ويأجوج ومأجوج فهم بنو عم الترك ثم ان الله تعالى أوحى الى نوح بأن يدفن جسد آدم وحواء فى المكان الذى أخذهما منه ففعل ذلك ثم أمره بأن يرد الحجر الاسود الى مكانه ففعل ذلك واستمر نوح يسعى فى عمارة الارض بعد الطوفان كما كانت عليه فى الاول قال كعب الاحبار لما كبر سن نوح وقرب أجله أراد أن يدعو أولاده وأولاد أولاده ويسأل الله أن يرزقه الاجابة فى دعائه فصعد الى جبل عال ونادى ابنه ساما فجاء وجلس بين يديه فوضع نوح يده عليه وقال اللهم بارك فى سام وفى ذريته واجعل فيهم النبوة والملك فكان من نسل سام أرفخشد فجاء من أولاده الانبياء والصلحاء ثم نادى ابنه حاما فلم يجبه فدعا عليه وقال اللهم اجعل أولاده أذلاء وسود وجوههم واجعلهم عبيدا وخدما لاولاد سام وقيل كان لحام ولد يقال له مصرائم فسمع دعاء جده نوح فجاء اليه وقال له يا جدى قد أجبتك اذ لم يجبك أبى فوضع نوح يده على مصرائم وقال اللهم كما أجاب دعوتى فبارك فيه وفى ذريته واسكنهم الارض المباركة التى هى أم

البلاد وغوث العباد التى نيلها أفضل الانهار فسكن مصر ثم عمروبه سميت فكان من ذريته القبط ثم دعا ابنه يافث فلم يجبه فدعا عليه وقال اللهم اجعل نسله شرار الخلق فكان من نسله يأجوج ومأجوج والترك كما تقدم فلما دعا نوح على ابنه حام فواقع زوجته فى تلك الليلة حملت بولدين ذكر وأنثى فرأى حام لونهما أسود فانكرهما وقال ما هما منى فقالت زوجته بلى بل هما منك ولكن لحقتنا دعوة أبيك فتركهما وابنها وولى هاربا على وجهه خجلا من الناس فلما كبر الولدان خرجا فى طلب أبيهما حام فبلغا الى قرية بساحل بحر النيل ثم ان الغلام الاسود وثب على أخته فحملت وولدت غلاما وجارية أسودين فتناسلا وتناسلا فكان من نسلهما جميع السودان الى الآن قال الكسائى ان القرية التى نزلوا بها تسمى النوبة وأما يافث فانه سار الى بلاد الشرق فتزوج هناك فولدت له خمسة من الاولاد وهم جوهر وبترس ومياشيخ وسناف وسقويل فمن نسل جوهر الصقالبة والروم ومن نسل بترس الترك والخزرج ومن نسل مياشيخ الاعاجم ومن سناف يأجوج ومأجوج ومن نسل سقويل الارمن وأما سام فانه ولد له من الاولاد خمسة (ارفخشد) جاءت منه الانبياء والصلحاء ومن نسله عرب ربيعة ومضر وقبائل اليمن (وحاشيم) جاء من نسله أقوام بارض اليمن يقال لهم النسانيس وكان فى وجوههم عين واحدة وأذن واحدة ورجل واحدة (وهويل) جاء من نسله العمالقة والعادية (وآدم) جاء من نسله قبائل ثمود وعاد (وشمليخا) كان منقطع النسل عقيما انتهى قال الشعبى ان ساما عاش من العمر ستمائة سنة وكان جزوعا من الموت فكان نوح يسأل الله أن لا يموت سام حتى يسأل هو ربه الموت فلما كبر سنه عجز عن الحركة فسأل ربه الموت فلما مات سام دفن فى مدينة نوى من أعمال حوران قال وهب بن منبه ان نوحا عاش بعد الطوفان مائتى سنة وحج بعد خروجه من السفينة قال وهب بن منبه بعث الى قومه وهو ابن مائتين وخمسين سنة ولبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما كما أخبر الله فى القرآن العظيم فلما استوفى نوح العمر الذى كتبه الله له جاء اليه ملك الموت وقال له السلام عليك يا نبى الله فقال وعليك السلام من أنت فقد أرعدت قلبى بسلامك فقال أنا ملك الموت جئتك لاقبض روحك فلما سمع نوح ذلك تغير وجهه وتلجلج لسانه فقال له ملك الموت ما هذا الجزع يا نوح ألم تشبع من الدنيا وأنت أطول الناس عمرا فقال نوح انما وجدت الدنيا دارا لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر ثم ان ملك الموت ناوله كأسا من شراب الجنة وقال له اشرب من هذا الشراب حتى يسكن روعك فتناوله وشربه فلما شربه خر ميتا صلوات الله تعالى وسلامه عليه فلما مات شرع أولاده فى تجهيزه فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه فى قرية قرية من الكرك ويقال ان عند قبره عين ماء تجرى وقد قال

القائل

القائل نح على نفسك يا * مسكين ان تنوح * لتموتن ولو عمر * ت ماعمر نوح

ذكر قصة هود عليه السلام قال الله تعالى والى عاد أخاهم هودا الآية قال كعب الاحبار الذى أتى بعد نوح من الانبياء هونبى الله هود وهو هود بن عبد الله بن عوص من أولاد سام وكان من قبيلة يقال لها عاد وكانوا من عرب يسكنون الاحقاف وهى جبال من رمل وكانت باليمن بين عمان وحضرموت بالقرب من البحر المالح وكان لهذه القبائل ملك يقال له الجلجان وكان طوله مائة ذراع ولهذا اذا قام يغطى الشمس عن الارض واذا وضع يده على الجبل هدمه من جوانبه قال وهب بن منبه وكان طول الرجل من قوم عاد مائة ذراع واقصرهم ستون ذراعا وكانوا لا يبلغون الحلم الا بعد مائة سنة وكانت تمر عليهم الاربعمائة سنة ولم يمت فيهم ميت ولا يرى عندهم جنازة وكان رأس كل واحد منهم قدر القبة العظيمة وكانوا قوما جبارين يعبدون الاوثان من دون الله قال بلغنى ان ستين رجلا من قوم موسى استظلوا فى قحف رجل من العمالقة قال زيد بن أسلم رأيت ضبعا وأولاده أوكروا فى عين رجل من العمالقة ولقد وزنت ضرسا من اضراسه فجاء نحو عشرة أرطال قال وهب بن منبه فلما زاد طغيان هؤلاء القوم بعث الله اليهم هودا وكان لهود من العمر أربعون سنة عند بعثته فنزل اليه جبرائيل وقال ان الله قد بعثك الى قوم عاد فأنذرهم وأعلمهم انى قد أمهلتهم دهرا طويلا وأعطيتهم من القوة مالم أعطه الاحد من قبلهم وجعلتهم ملوكا على أسرة من الذهب وجعلتهم أطول الناس أعمارا فامض اليهم وادعهم الى التوحيد لعلهم يرجعوا عن عبادة الاوثان فتوجه اليهم هود وهم فى يوم عيدهم وقد اجتمعت هنالك الملوك وجلسوا على أسرة الذهب وجلس الملك الجلجان على سرير من الذهب وعلى رأسه تاج مرصع بالجواهر الفاخرة فلم يشعروا الا بصوت هود وهو يقول يا قوم اعبدوا الله ربى وربكم مالكم من اله غيره وان هذه الاصنام التى تعبدونها من دون الله فانها هى التى أغرقت قوم نوح من قبلكم فلما رآه الملك الجلجان قال له ويحك يا هود أتظن انك مع جوعنا وشدة بأسنا وقوتنا تغلبنا بهذه الكلمات أما تعلم انه فى كل يوم وليلة يولد لنا ألف ولد فلما ضجر هود وهو يدعوهم الى التوحيد وهم لا يسمعون منه سأل الله أن يعقم نساءهم فلم تحمل منهن امرأة فى تلك السنة فشكوا ذلك الى ملكهم الجلجان وقالوا ان هودا أعقم نساءنا ونخشى أن يكون صادقا فيما يقول ثم ان الله أوحى الى هود ان أخبر قومك ان يؤمنوا بى والا أرسلت عليهم ريحا عقيما فلما سمعوا منه ذلك ضربوه بالحجارة فأقام يدعوهم سبعين سنة وهم يرجمونه بالحجارة فلما أيس منهم قال الهى انك تعلم انى بلغت رسالتك الى قوم عاد وهم على كفرهم فى ضلال مبين ثم ان الله تعالى أمسك عنهم المطر سبع سنين فلما أجدبت ارضهم ماتت

مواشيهم وعزت عندهم الاقوات حتى هلك منهم نحو النصف وكان ذلك الزمان اذا قحطوا توجه منهم جماعة الى مكة يدعون الله عند البيت الحرام فيسقون في شهرهم ثم ان قوم عاد اختاروا منهم سبعين رجلا من صلحائهم فتوجهوا الى مكة وأخذوا معهم كسوة للكعبة فلما كسوا البيت جاء ريح عاصف فرق تلك الكسوة ونفضها عن البيت ثم طافوا بالكعبة ودعوا الى الله واستسقوا لقومهم فسمعوا قائلا يقول هذه الابيات

قبح الله وفد عاد أتونا ❁ ان عادا أشر أهل الجحيم
سيروا وفدهم ليسقون غيثا ❁ بل ليسقون من شراب الحميم

فلما دعوا الله تعالى أرسل اليهم ثلاث سحابات واحدة بيضاء وواحدة حمراء وواحدة سوداء ثم سمعوا قائلا يقول اختاروا من هؤلاء واحدة فاختار كبيرهم السوداء وظن انها محشوة بالمطر فساقها الله الى ديارهم فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا قال وهب بن منبه ان الله أوحى الى ملك الريح بأن يفتح أطباق الريح العقيم من تحت الارض فلما عاين قوم عاد ذلك خرجوا الى الصحارى هاربين على وجوههم فلما ثارت الريح العقيم قلعت الاشجار بعروقها وانهدمت الدور على أهلها واستمر هذا الامر على القوم سبع ليال وثمانية ايام حسوما أى متتابعة فلما رأى القوم ذلك بادروا الى البيوت ودخلوا فيها فدخل اليهم الريح فأخرجهم منها على وجوههم فلما تزايد بهم خرجوا الى الصحارى ولبسوا آلة السلاح ووقفوا وقالوا نحن ندفع الريح بقوتنا وسطوتنا فجاء الريح فاقتلع منهم تسعة أنفس ممن هو أعظم خلقة وأقوى سطوة فكان الريح يرفع الرجل فى الجو نحو عشرين ذراعا ثم يضرب به الارض فيصير كأنه أعجاز نخل خاوية وكان الريح يدخل بين أثواب الرجل ويحمله ويضرب به الارض فيخر ميتا ثم أمطر الله عليهم الرمال المسمومة بالنار فاستمروا على ذلك أربعين يوما وأبقى الله أرواحهم فى أجسادهم حتى يطول عذابهم فكان المؤمن يمر عليهم فيسمع لهم أنينا من تحت الرمال ويروى أن هودا لما خرج الريح العقيم الى الارض لم يخرج من بين قومه وكان غيره من الانبياء اذا نزل بقومه العذاب يخرج من بينهم الا هودا ومن آمن معه لا يصيبهم من الريح شئ فكان المؤمن يجلس والى جانبه الرجل الكافر فيخط بينهما خطا فكان الريح العقيم يهب على المؤمن نسيما رطبا ويهب على الكافر سموما صعبا وأما ملكهم الجلجان فانه عاش بعد فناء قومه اياما حتى نظر الى مصارعهم أجمعين ثم جاء الريح فدخل فى فيه وخرجت من دبره فسقط ميتا ولم ينج من ذلك العذاب سوى نبى الله هود ومن معه من المؤمنين ثم أرسل الله عليهم طيورا سودا فنقلت أجسادهم وألقتهم فى البحر المحيط ويروى ان رجلا أتى الى

الامام على بن أبي طالب رضى الله عنه فقال له من أى أرض أنت أيها الرجل فقال له من حضرموت بأرض اليمن فقال له أعندك خبر من قبر نبى الله هود فقال الرجل نعم خرجت فى أيام شبابى ومعى جماعة من أصحابى فسرنا حتى أتينا الى جبل عال وفيه مغارة فيها ثقب ضيق فسرنا فيه بعسر الى أن أفضى بنا ذلك الى مكان واذا بسرير من ذهب وعليه رجل ميت وعليه أكفان بالية فلمست بدنه فاذا هو لم يبل ولم تتغير هيئته فتأملته فاذا هو رجل واسع العينين مقرون الحاجبين أسيل الخدين لطيف الفم طويل اللحية وتحت رأسه لوح من الرخام الابيض وعليه مكتوب هذا هود نبى الله بعث الى قوم عاد فكذبوه فأخذهم الله بالريح العقيم فلم يبق منهم أحد انتهى

﴿ذكر قصة شداد بن عاد﴾ قال وهب بن منبه هو شداد بن عاد بن عوص بن آدم ابن سام بن نوح وكان عاد بن شداد كثير الاولاد قيل كان له أربعة آلاف ولد وتزوج بألف امرأة وعاش من العمر ألف سنة قال الكسائى لما مات عاد استخلف بعده ثلاثة أولاد شداد وشديد وارم وكان شداد أكبر أولاده خضعت له الرقاب لما ملك بعد أبيه فلما تزايدت عظمته قهر ملوك الارض بالطول والعرض وقتلهم وملك أرضهم وديارهم وصار ملك الدنيا من مشرقها الى مغربها فى قبضة يده قال وهب بن منبه لم يملك الدنيا بأسرها غير أربعة مؤمنين وكافرين فأما المؤمنان فهما سليمان بن داود عليه السلام والاسكندر ذو القرنين وأما الكافران فهما شداد بن عاد والنمرود ابن كنعان وقيل بختنصر والله أعلم وقيل فى المعنى

كم سمعنا بملوك هلكوا ❊ ملكوا الدنيا وما قد ملكوا
كدر الموت عليهم عيشهم ❊ تركوا الدنيا وما قد تركوا

قيل للامام على رضى الله عنه صف لنا الدنيا فقال وأى شئ بها أصفه لكم دار أولها عناء وآخرها فناء حلالها حساب وحرامها عقاب من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تساوى عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء وقد قيل فى المعنى

والله لو كانت الدنيا بأجمعها ❊ تبقى علينا ويأتى رزقها رغدا
ما كان من حق حر أن يذل لها ❊ فكيف وهى متاع يضمحل غدا

قال الكسائى ان شداد بن عاد كان مولعا بقراءة الكتب القديمة التى أنزلت على الانبياء فكان كلما مر عليه سماع أوصاف الجنة ترتاح لها نفسه فخطر بباله أن يجعل له فى الدنيا جنة مثلها وقد قيل فى المعنى

أحببتكم من قبل رؤياكم ❊ لحسن وصف عنكم قد جرى
وهكذا الجنة معشوقتى ❊ لحسنها من قبل أن تبصرا

ثم ان شداد أمر بعض وزرائه وكان له ألف وزير ان يجمع له الحكماء والمهندسين وأمرهم أن ينظروا له أرضا واسعة طيبة الهواء كثيرة الانهار والاشجار ليبني له جنة عظيمة فتوجه الوزير بمن معه من أهل الخبرة وساروا في الارض فلما وصلوا الى عدن من نواحي اليمن وجدوا هناك أرضا على هذه الصفة فاخبروه بها فوجه اليها البنايين والمهندسين فاجتمعوا عند الارض فوجدوها وخطوها باربعة الجوانب دورها أربعون فرسخا من كل جانب عشرة فراسخ فلما حفروا أساس تلك المدينة وبنوا فيها الرخام المجزع وأظهروه من جوانبها مقدار النصف وأخبروه بذلك قال لوزرائه ألستم تعلمون اني قد ملكت الدنيا جميعها فقالوا نعم فقال أريد أن تجمعوا لي جميع ما فيها من الذهب والفضة ومعادن الجواهر واللآلئ واليواقيت والمسك والزعفران وغير ذلك من الاصناف النفيسة فجمعوا له ما في بلادهم وما كان عندهم وما كان في أيدي الناس وأرسلوا الى سائر الاقطار وأحضروا ما كان فيها من ذلك جميعه فصارت الناس يتعاملون بالجلود فيقصونها على هيئة الدراهم ويختمونها باسم الملك ويتعاملون بها في كل جهة فلما أحضروا الجميع أخذوا يجعلون من الذهب لبنا ومن الفضة لبنا ويبنونه فوق ذلك الرخام حتى أتموا جوانبها فلما أحاط ذلك السور بالمدينة أخذوا يجعلون في وسطها غرفا وقصورا على صفة السور من الذهب والفضة ويجعلون لها قوائم من الزبرجد الاخضر والياقوت الاحمر وجعلوا تلك القصور والغرف تشرف على أشجار من الجواهر واليواقيت واللؤلؤ والانهار المتدفقة وحول القصور تلال من المسك والعنبر والكافور وأحكموا ذلك كله بالصنائع العجيبة المتقنة التي لم يكن في الدنيا مثلها بل ولا في الدنيا مثل بعضها قال الكسائي كان مدة عمارة هذه المدينة ثلثمائة سنة فلما تكامل بناؤها أخبروا الملك بذلك فأمر الوزراء والامراء والحجاب بأن ينقلوا اليها الفرش الفاخرة والآنية الفاخرة فأقاموا ينقلون ذلك مدة عشر سنين فلما انتهوا من ذلك ركب الملك شداد وأركب نساءه وخدمه ونساء وزرائه وأمرائه وحجابه في هوادج من الذهب المتقنة بصنائع المهندسين فلما وصلوا الى باب تلك المدينة وأراد الملك الدخول أولا واذا بملك من الملائكة أرسله الله الى شداد فقال الملك يا شداد ان أنت أقررت لله بالوحدانية مكنتك من الدخول وان لم تقر لله بالوحدانية أخذت روحك في هذه الساعة فلما سمع شداد ذلك الخطاب طغى وكفر وفجر فصاح عليهم ذلك الملك صيحة فماتوا أجمعين عن آخرهم ولم يدخل أحد منهم الى تلك المدينة قال وهب بن منبه لم يكن مثل هذه المدينة على وجه الارض وقد قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وقد اختلفوا في ذلك اختلافا كثيرا

قال السدي ان هذه المدينة التي بناها شداد بن عاد باقية الى الآن وقد دخلها رجل اعرابي يقال له عبد الله بن قلابة وذلك في خلافة معاوية بن أبي سفيان سنة ثمانية وأربعين من الهجرة النبوية انتهى ما أوردناه من أخبار شداد بن عاد باختصار

﴿ذكر قصة نبي الله صالح صلى الله عليه وسلم﴾ قال الله تعالى والى ثمود أخاهم صالحا الآية وهو صالح بن كانوك فقد بعثه الله الى قبيلة ثمود قال السدي ثمود اسم بئر كانت بين أرض الحجاز والشام قال ابن اسحاق لما أهلك الله قوم عاد بالريح عمرت ثمود من بعدهم بلادهم واتخذوا من الجبال بيوتا مجوفة بالنحت وجعلوا على تلك البيوت ابوابا من الخشب مصفحة بالحديد وقد أوسع الله لقوم ثمود بكثرة المال فقد قال الله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد الآية فلما تمكنوا من الارض طغوا وخالفوا أمر الله تعالى وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا قال العزيزي قد كان كانوك أبو صالح في خدمة الاصنام ففي بعض الايام سجد للصنم الكبير فلما سجد نكس الصنم رأسه فتعجب كانوك من ذلك فأنطق الله الصنم وقال له يا كانوك ان في ظهرك نبيا بعثه الله الى قبيلة ثمود قال فلما سمع كانوك ذلك خرج هاربا على وجهه فلما جن عليه الليل بعث الله اليه ملكا على صفة طير فاحتمل كانوك ومضى به الى واد كثير الاشجار والمياه فلما أصبح كانوك تمشى في ذلك الوادي فنظر الى جبل عال وفيه غار فدخل في ذلك الغار وألقى الله عليه النوم فنام في ذلك الغار نحو مائة سنة فكان الملك يطلبه في كل يوم فلم يجده فاتخذ للاصنام خادما غيره فكانت زوجة كانوك تبكي عليه ليلا ونهارا فبينما هي تبكي واذ بغراب ينعق على الباب فخرجت اليه فقالت له أيها الطائر ما أحسن صوتك فأنطق الله لها ذلك الغراب فقال لها أنا الذي بعثني الله الى قابيل بن آدم لما قتل أخاه هابيل لاريه كيف يواري سوأة أخيه وقال لها أيضا مالي أراك باكية حزينة فقالت له لقد فقدت زوجي من مدة مائة سنة فقال لها الغراب أتحبين أن أمضي بك اليه فقالت ان ذلك عجيب فقال الغراب أتعجبين من أمر الله فعند ذلك قامت من وقتها وساعتها فصارت تمشي والغراب يطير قدامها فخفف الله عليها الطريق وهي سائرة في جوف الليل حتى وصلت الى ذلك الوادي الذي فيه زوجها كانوك ثم ان ذلك الغراب وقف على باب الغار فقال لها ادخلي فدخلت فرأت زوجها نائما فدنا منه الغراب وقال له قم يا كانوك بقدرة الله تعالى فاستوى جالسا فدخلت عليه زوجته فتعانقا فواقعها في تلك الساعة فحملت منه بصالح عليه السلام فلما واقعها وفرغ وقع في الحال ميتا فخرجت زوجته من عنده فصارت تمشي والغراب معها حتى دخلت الى بلد ثمود وكل ذلك جرى تحت الليل فلما كمل حملها وضعت صالحا وكان وضعه في ليلة الجمعة من شهر المحرم ففي ليلة وضعه

أصبحت جميع الاصنام منكوسة فبلغ الملك ذلك فاغتم غما شديدا وقال من نكس أصنامنا فدخل ابليس جوف الاصنام وقال يا آل ثمود ولد فيكم مولود يقال له صالح يفسد عليكم دينكم فلما كبر صالح وانتشى وكان أجمل أهل زمانه فصيح اللسان بالعربية فلما أتى عليه من العمر أربعون سنة أوحى الله اليه أن يدعو قوم ثمود الى توحيد الله المعبود وينههم عن عبادة الاصنام فعند ذلك ذهب الى القوم فرآهم مجتمعين في يوم عيدهم وقد نصبوا أصنامهم على أسرة من ذهب فتقدم صالح ووقف بين يدي الملك وقال له اعلم انى قد جئتكم رسولا من عند رب العالمين أدعوكم الى توحيده فقال له الملك يا صالح ان قبائل ثمود لا ترضى أن يكون مثلك رسولا اليهم فقال صالح ان الله يختص برسالته من يشاء ثم ان الملك أقبل على قومه وقال لهم ماذا ترون فقالوا انه لكذاب أشر ثم ان صالحا بنى له مسجدا بين قبائل ثمود فكان يتعبد فى كل يوم ويخرج الى قبائل ثمود ويدعوهم الى توحيد الله تعالى وهم على ما هم عليه من الضلال فأقام صالح على ذلك مدة سبعين سنة ثم ان الله أعقم نساءهم وأبقارهم وأغنامهم وجفت أشجارهم وصارت الخيول تنفر عنهم فهموا بقتل صالح ففر منهم الى جبل من الجبال فى مغارة فرأى فى تلك المغارة سريرا من الذهب وعليه الفرش الفاخرة ورأى جوهرة أضاءت منها المغارة فتعجب صالح من ذلك ونام على الفرش والسرير فكانت تلك النومة نحو أربعين سنة ولا يعلم أحد الى أين توجه فلما انتبه من منامه أوحى الله اليه ان انطلق الى قوم ثمود وادعهم الى التوحيد فأقبل صالح على القوم وهم مجتمعون فى يوم عيدهم والملك جالس وحوله قومه وأرباب دولته فناداهم صالح ياقوم اعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ فلما سمعوا صوته تساقطت الاصنام فقال له الملك أوليس الذى كنت فينا بالامس وقد غبت عنا منذ أربعين سنة فلا نؤمن بك حتى تخرج لنا ناقة من هذه الصخرة فقال صالح ان ربى على كل شئ قدير وهذا هين على ربى فقال القوم تكون الناقة ذات ألوان أحمر وأصفر وأسود وأبيض ويكون طولها مائة ذراع وعرضها مثل ذلك ويكون مشيها كالبرق الخاطف وصوتها كالرعد القاصف ويكون لها فصيل خلفها على صفتها ويكون لبنها أحلى من العسل ويسكر مثل الخمر ويكون فى الصيف باردا وفى الشتاء حارا ما شربه مريض الا شفى من يومه ولا فقير الا ويستغنى وتدخل علينا فى كل يوم عند العشاء وتسلم على القوم كل واحد باسمه وتقف على بابه وتحلب له اللبن من غير حلاب وانها لا ترعى من مراعينا ولا تحفل من مواشينا ويكون الماء لنا يوم ولها يوم وقال آخر من القوم أنا أريد أن تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة يكون بدنها من الذهب ورجلاها من الفضة ويكون رأسها من الزبرجد الاخضر وأذناها من المرجان ويكون موضع سنامها قبة من الدر ولها أربعة أركان مرصعة بأنواع اليواقيت فاذا أخرجتها

لنا بهذه الصفة آمنا بك وبرسالتك فقال الملك بل تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة ذات لحم وعظم وجلد وشعر ويكون لها سنام قدر القبة ويكون لها فصيل يتبعها وهو على هذه الصفة فان أنت أخرجتها بهذه الصفة آمنا بك وبرسالتك ثم ان صالحا قال يا قوم قد أشرطتم على شرائط كثيرة وأنا اشترط عليكم أن لا يركبها أحد ولا يرميها بحجر ولا سهم ولا يمنعها من شرب الماء ولا يمنع فصيلها فقالت القوم كلهم نعم فلما أخذ عليهم العهود قام وصلى ركعتين ورفع يده الى السماء ودعا الله تعالى ثم تقدم الى الصخرة فضرب عليها بقضيب كان لآدم عليه السلام فاضطربت الصخرة وأنت مثل أنين الحامل ثم خرجت من الصخرة ناقة على الصفة التي أرادوها وفصيلها يتبعها وهي تنادي لا اله الا الله صالح رسول الله قال ابن عباس رضى الله عنه كان طول الناقة سبعمائة ذراع وعرضها مائة ذراع وكان لها سبعة آلاف حملة أكلا من العشب فلما نظر الملك اليها قام من ساعته وقبل رأس صالح وقال أشهد أن لا اله الا الله صالح رسول الله فآمن مع الملك جماعة كثيرة ثم سارت الناقة وفصيلها تمشى الى الجبال والاودية وترعى فاذا أمسى المساء دخلت الى المدينة وطافت على دور القوم تسلم وتعطى اللبن فكان القوم يخرجون بالاوانى ويضعونها تحت ثديها فتمتلئ الاوانى باللبن فاذا اكتفى جميعهم تأتى عند مسجد صالح وتقيم هى وفصيلها هناك واستمرت على ذلك مدة ثم ان مواشى القوم صارت تنفر من الناقة حين ترد الماء وكان فى القوم امرأة ذات حسن وجمال يقال لها قطام وكانت معشوقة لشخص يقال له مصدع وكان من الجبابرة وكان مصدع يجتمع مع شخص من أصحابه يقال له قيدار فاجتمع مصدع وقيدار فى بيت قطام على سكر فأحضرت لهما خمرا صافيا فطلبا منها الماء ليمزجانه فلم تجد ماء فطلبته من جيرانها فلم تجده فسألا عن السبب فقيل ان الناقة تشرب فعزم مصدع وقيدار على عقرها ثم ان مصدعا أقبل على رهط وقال لهم انى عازم على عقر الناقة فهل تعينونى فقالوا نعم وذلك قوله تعالى وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون قال فكمن قيدار للناقة فى مكان من الجبل فلما أقبلت الناقة وهى ترعى وقربت من قيدار ضربها بسيف فقتلها ثم طلب فصيلها فهرب الى المكان الذى خرج منه فلما عقر الناقة وشاع ذلك أتوا وصاروا يقطعون من لحمها فلم يبق بيت الا ودخله من ذلك اللحم وصاروا يأكلون ويضحكون فلما أتى صالح وكان غائبا أخبروه بعقر الناقة وقال له جماعة من القوم لا ذنب لنا فى عقر الناقة وانما عقرها قيدار وقال لهم صالح انطلقوا فان أدركتم فصيلها فعسى أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا فى طلبه فرأوه وقد اختفى فى الصخرة التى خرج منها فقال صالح لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال السدى وكان عقر الناقة يوم الاربعاء ثامن عشر صفر فقال

صالح للقوم تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ثم يأتيكم العذاب وعلامته فى اليوم الاول تحمر وجوهكم وفى الثانى تصفر وفى الثالث تسود فلما رأوا العلامات قد ظهرت فى وجوههم هموا بقتل صالح فهرب منهم واختفى فى بيت كبير القوم فجاء اليه القوم وقالوا قد دخل عندك صالح فقال نعم غير أنى لا أسلمه لكم لانه فى أمانى ثم أوحى الله الى صالح بأن يخرج من بين القوم ومعه جماعة من المؤمنين فخرج صالح هو ومن معه من المؤمنين الى نحو الشام فنزلوا بفلسطين فلما أصبح قوم ثمود فى اليوم الرابع تحنطوا بحنوط الموت فلبسوا أكفانهم وانتظروا نزول العذاب فلما كان يوم الاحد ثانى عشر صفر أتتهم صيحة من السماء فسقطت قلوبهم من صدورهم وماتوا أجمعين كبيرا وصغيرا وهو قوله تعالى فأصبحوا فى ديارهم جاثمين ثم توجه صالح من فلسطين الى مكة وصار يبكى على الناقة ليلا ونهارا فأتى اليه جبرائيل وبشره أن الله تعالى يبعثها يوم القيامة ويكون راكبا عليها فطابت نفسه واستمر مقيما بمكة الى أن مات وله من العمر نحو مائة وثمانين سنة قال عبد الرحمن ابن سابط بين الركن والمقام دفن سبعون نبيا منهم هود وصالح واسمعيل عليهم الصلاة والسلام انتهى

﴿ذكر قصة أصحاب الرس﴾ قال الله تعالى وعادا وثمود وأصحاب الرس الآية قال السدى أصحاب الرس كانوا بقية قوم ثمود وهم أصحاب البئر المعطلة والقصر المشيد اللذين ذكرهما الله فى القرآن العظيم قال السدى ان البئر المعطلة بأرض عدن وكان أهل تلك المدينة يستسقون منها ليلا ونهارا وكان عليها نحو سبعين قرية بسبعين دلوا عليها رجال موكلون بها وعندها حياض للورود فلما عبد الاصنام البقية من قوم ثمود بعث الله لهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان فدعاهم الى توحيد الله فلم يجيبوه فلما اشتد عليهم قتلوه وطرحوه فى تلك البئر فلما طرحوه غار ماؤها فهلك أهلها من العطش وهلكت البهائم اذ لم يكن غيرها فسماها الله تعالى البئر المعطلة وأما القصر المشيد فهو قصر بناه شداد بن عاد بأرض عدن وكان محكم البناء فلما مرت عليه الدهور استملكه الجان فلم يقدر أحد من الناس أن يدنو منه على مقدار ميل لما يسمع منه من أصوات الجن وضجيجهم ليلا ونهارا قال الكسائى أصحاب الرس كانوا بأرض حضرموت ومدينتهم تسمى الرس وكانت ذات أشجار وأثمار وقرى عامرة يسكن بها طائفة من أصحاب الرس يعبدون الاصنام وطائفة يعبدون النار قال السدى انما أهلك الله أصحاب الرس لانهم كانوا يأتون النساء فى أدبارهن ولم يؤمنوا بنبيهم حنظلة بن صفوان فتزايد كفرهم وطغيانهم فصاح عليهم جبرائيل صيحة فصاروا حجارة سودا حتى بضائعهم ومواشيهم قال السدى ان ذا القرنين لما طاف البلاد ودخل الى مدينة الرس رأى ملكها وأهلها ونساءها وأطفالها ودوابها وبضاعتها

وأشجارها وفاكهتها كلهم حجارة سوداء قال الكسائى وكان بهذه المدينة جبل عال يقال له جبل الفلج وكانت تأوى اليه العنقاء بنت الريح وكانت عظيمة الخلقة اذا طارت تغطى عين الشمس مثل الغمام وكان عنقها مثل عنق البعير وكان لها أربعة أجنحة اثنان طويلان واثنان قصيران وكان ريشها ذا ألوان وكانت ترفع الفرس الميت والبعير والفيل وما أشبه ذلك بمنقارها وتطير به الى الجبل الذى تأوى اليه فلما ترايد منها الاذى وصارت تخطف الاطفال الصغار من بنى آدم وتصعد بهم الى الجبل فتزق بهم أفراخها شكا أهل المدينة الى نبيهم حنظلة بن صفوان فدعا على العنقاء وقال اللهم اقطعها واقطع نسلها فنزلت عليها من السماء صاعقة فاحترقت هى وأفراخها ولم يبق لها وجود وقد أنكر بعض العرب وجود العنقاء وقال انما هذه حكاية وضعتها العرب حتى قيل فى المعنى

انى اختبرت بنى الزمان فما بهم * خل وفى للنوائب أصطفى
فعلمت ان المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الوفى

انتهى على سبيل الاختصار

﴿ذكر قصة ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام﴾

روى وهب بن منبه ان ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم بن تارخ بن ناحور قال الحافظ السهيلى وكان آزر عم ابراهيم ولم يكن أباه واسم امه ليوثا وكانت مؤمنة تكتم ايمانها وكان مولودا ببلاد حوران وقيل بقرية تسمى برزة من قرى دمشق فى مغارة هناك معروفة وفيها الدعاء مستجاب قال السدى كانت الكهنة تخبر النمرود انه سيولد فى هذه السنة مولود يكون هلاك النمرود على يديه فأمر بذبح كل مولود يولد فى تلك السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل بيت حارسا بسبب ذلك قالت الرواة ان ساما وحاما ويافثا أولاد نوح عليه السلام كانوا ثلاثة أقسام فكانت النبوة فى أولاد سام ومساكنهم الحجاز وما يليها والقوة فى أولاد حام ومساكنهم المغرب والتجبر فى أولاد يافث ومساكنهم المشرق فولد لحام ولد يقال له كوش وولد لكوش ولد يقال له كنعان وولد لكنعان النمرود المذكور قال وكان كنعان المذكور قوى البطش مولعا بالصيد واذا صاح بالسباع والوحوش تنشق مرائرها من شدة صيحته فتزوج امرأة فحملت بالنمرود فلما استوفت أيام حملها ولدته فقال لها أبوه كنعان انه ولد ميشوم فاقتليه أو اطرحيه فى الفلاة ليموت قال فأخذته وطرحته فى الفلاة بين بقر ترعى فنفرت البقر عنه وكلما أبصره وحش فر منه فجاءت اليه أمه بعد ذلك فحملته ورمته فى نهر وظنت أنه قد غرق فأخرجه الماء الى البر سالما وسخر الله له نمرة ترضعه فرآه اهل قرية فحملوه وربوه وسموه النمرود فلما شب جعل يقطع الطريق فاجتمع اليه خلق كثير فبلغ خبره الى أبيه كنعان فجمع عليه الجيوش

وسار كنعان بمن معه حتى أدرك ولده النمرود فلما أبصر النمرود تلك الجيوش القادمه صف جيوشه وتقدم امامهم ليكشف الخبر الذي قد ظهر له فلما أقبل كنعان بجيوشه حمل النمرود عليه فيمن معه ووقع القتال فكسر النمرود جيوش كنعان فعند ذلك برز كنعان وطلب النمرود فقتل النمرود اباه كنعان وهو لا يعلم انه ابنه وصارت المملكة بيد النمرود وصار يغزو ملوك الارض ويظفر بهم حتى ملك شرق الارض وغربها وكان يعبد الاصنام فأخبرته الكهان بأمر ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وقالت له ان المولود الذي أعلمناك به قد حملت به أمه في هذه الليلة وكانت أم ابراهيم عليه الصلاة والسلام اذا مرت بين الناس لم يعلموا بحملها ولم يظهر عليها ذلك فلما دنت ولادتها خرجت هاربة خوفا على ما في بطنها من الذبح فلما أخذها المخاض دخلت الى المغارة ووضعته فوجدته أحسن الناس وجها والنور يلمع من جبينه وفي ليلة ولادته وقعت الاصنام وطارت التيجان عن رؤسها ووقعت شرافات قصر النمرود الى الارض ثم ان أم ابراهيم عليه السلام سدت عليه باب المغارة ومضت الى بيتها ثم أتت اليه بعد سبعة أيام فوجدته يشرب من ابهامه لبنا ومن أصابعه عسلا وزبدا فتركته ومضت وصارت تتردد اليه سنة كاملة وهو في المغارة يشب في كل شهر كما يشب الطفل في سنة ولما خرج من المغارة كان يقاس بابن اثني عشر سنة فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين ورجع عن اعتقاده فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل علم انه مخلوق أيضا فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر يعني أكبر من الكوكب والقمر فلما مالت الى الغروب قال ان هذه الاشياء كلها لا تصلح ان تكون الهنا فعند ذلك قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ثم جعل يصيح ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين فسمعت الخلائق كلهم صوته بذلك فذعر النمرود من ذلك قال فخرج ابراهيم يريد أباه وأمه فجاءه جبرائيل وادخله على أبيه وأمه فوثب اليه أبوه واعتنقه لما رأى النور والحسن والجمال فقال لامه من ربك فقالت أبوك قال ومن رب ابي قالت النمرود قال ومن رب النمرود فنهره عن ذلك فلم ينته وهو يقول لا اله الا الله هو ربي ورب كل شئ فعند ذلك بكت أمه وأبوه عليه خوفا من النمرود فقال لهما لا تخافا علي منه ان في حفظ من حفظني صغيرا ويحفظني كبيرا فخاف أبوه من النمرود وان يغمز عليه أحد فجاء الى النمرود وقال له أيها الملك ان المولود الذي كنت تحذره هو ولدي قد ولد في غير داري ولا أعلم به حتى الآن الى ان جاءني وقد أخبرتك به فافعل به ما تريد ولا تلومني بعد ذلك فقال النمرود ائتوني به فأخذوه من عند أمه

وحملوه الى النمرود فرآه النمرود وتعجبه ثم قال احبسوه الى غد فلما جاء الصباح زين النمرود مجلسه وصف جنوده وقال ائتونى بابراهيم فأتوا به فنظر ابراهيم يمينا وشمالا وقال ياقوم ماتعبدون فذلك قوله تعالى واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ماتعبدون فقال له النمرود ياابراهيم ادخل فى دينى وما أنا عليه فانا الذى خلقتك ورزقتك فقال ابراهيم كذبت يانمرود بل الذى خلقنى فهو يهدينى والذى هو يطعمنى ويسقينى الآية قال فبهت النمرود وبهت الناس ووقع فى قلوبهم محبته من حسنه وجماله ولطافة حديثه فعند ذلك التفت النمرود الى ابى ابراهيم وقال له يا آزر ولدك هذا صغير لايدرى مايقول ولا يجوز لمثلى فى قدرى وعظم ملكى ان أعجل به فخذه اليك وأحسن اليه وحذره بأسى عسى يرجع عما هو عليه فأخذه آزر بيده الى أمه وصار يلاطفه ساعة ويحذره ساعة ويقول له خذ هذه الاصنام وبعها الكبير بكذا والصغير بكذا فكان لايصغى لقول أبيه بل يقول كما قال الله عز وجل واذ قال ابراهيم لابيه ياأبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيأ الآية وكان أبوه يقول له كما قال تعالى لئن لم تنته لارجمنك واهجرنى مليا قال وكان ابراهيم يأخذ الاصنام من أبيه ويذهب بها والحبل بأرجلها ويجرها خلفه ويقول من يشترى مايضره ولا ينفعه فكانت الناس تنظره ولا تجسر عليه بالنهى عن ذلك لحرمة أبيه آزر عندهم قال فلما مضى على ابراهيم من العمر سبع عشرة سنة وخالط الناس فقالوا له امض معنا الى عيد آلهتنا وكان للاصنام بيت مبنى بالرخام الابيض والاخضر وفيه ثلاث وسبعون صنما وهم جالسون على كراسى من ذهب وكان كبير هذه الاصنام على رأسه تاج مرصع بالجواهر الفاخرة وله عينان من الياقوت الاحمر والاصنام عن يمينه وشماله وكان القوم يصنعون طعاما ويضعونه بين الاصنام فى يوم عيدهم وكانت الشياطين تأخذ الطعام فيظنون ان الاصنام أكلته فيفرحون لذلك ويقولون هى راضية علينا بأكلها قال فصنع القوم الطعام ووضعوه عند الاصنام على المائدة وخرج القوم الى الصحراء للعيد الا ابراهيم فانه لم يخرج معهم وقال لهم انى سقيم فقالوا اتركوه فلعل الطاعون قد أصابه فلما تخلف ابراهيم عنهم أخذ فأسا فكسر تلك الاصنام كلها الا الصنم الكبير فانه لم يكسره بل علق الفاس برقبته ومضى ابراهيم فلما رجع القوم الى الاصنام وجدوها مكسرة والفأس معلق برقبة الصنم الكبير فقالوا من فعل هذا بآلهتنا قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم فقال النمرود ائتونى به على أعين الناس لعلهم يشهدون فلما حضر ابراهيم قال له النمرود أأنت فعلت هذا بآلهتنا ياابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون فقال ابراهيم أف لكم ولما تعبدون من دون الله

فكابر عند ذلك هو ووزراؤه وقالوا احرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قال السدى فلما اجمع هو ووزراؤه على حرق ابراهيم عليه الصلاة والسلام أمر بجمع الاحطاب على البغال من الجبال فلذلك قطع الله نسل البغال فلا زالوا يجمعونها الى مدة ثلاثة شهور ثم اطلقوا فيها النار فارتفع دخانها حتى كاد ان يهلك أهل المدينة من شدة حر النار والدخان فكان بعض الناس ينزل و يختفى فى الاسربة من شدتها قال وكانت النار فى قرية يقال لها الغوطة وحر النار وصل الى دمشق الشام فتحيروا كيف يلقون ابراهيم فيها من حرها ولم يجسر أحد أن يتقدم ليلقى ابراهيم فيها فجاء ابليس اللعين على صورة رجل وقال لهم أنا اصنع لكم منجنيقا لترموا به ابراهيم وكان ابليس قد رأى منجنيقات جهنم المعدة للكفار فى أودية النار فلما صنع ابليس المنجنيق فرح النمرود بذلك ووضعوا ابراهيم فى تابوت ووضعوه فى المنجنيق وهموا ان يلقوه فى النار فضجت ملائكة السموات والارض وقالوا الهنا وسيدنا عبدك ابراهيم لا يعبدك غيره فى الارض فكيف يرمى فى النار فأوحى الله اليهم يا ملائكتى ان طلب الاعانة منكم فاعينوه فجاء اليه ميكائيل عليه السلام وقال يا ابراهيم ان أردت ان أسوق لك الامطار وأطفئ لك النار فقال ابراهيم لا حاجة لى بك ثم جاء اليه جبرائيل عليه السلام فقال يا ابراهيم ألك حاجة فقال ابراهيم عليه السلام أما اليك فلا حسبى من سؤالى علمه بحالى واذا النداء من العلى الاعلى يا جبرائيل اضرب بجناحك النار فضربها بجناحه فانطفأ لهيبها وجعلها الله عليه بردا وسلاما بدليل قوله تعالى قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم واجرى الله بجانبه عينا من الماء البارد و بجانبها شجرة رمان وأتاه جبرائيل بسرير من الجنة وعليه فراش من السندس وتاج وحلة فلبسهما ابراهيم وجلس على السرير فى أرغد عيش هذا ما كان من أمر ابراهيم صلى الله عليه وسلم لما التقى فى النار وأما النمرود المبعود عن رحمة الله تعالى فانه قصد مكانا عاليا وأراد النظر وما صار بابراهيم واذا بشرارة طارت الى أثواب النمرود فاحرقتها جميعا الا بدنه فلم يحترق ليعلم ان النار لا تضر أحدا الا باذن الله تعالى كل ذلك ولم يعتبر النمرود (سؤال) لم ابتلى الله ابراهيم عليه السلام بالنار ولم يبتل قبله أحد بها (الجواب) ان ابراهيم عليه السلام كان يخاف من النار فادخله الله اليها ليعلم ان النار لا تضر أحدا الا باذن الله تعالى قال السدى آمن فى ذلك اليوم أناس كثيرون لما رأوا هذه المعجزة لابراهيم صلى الله عليه وسلم ولما رأى النمرود ذلك قال لابراهيم اخرج من أرضنا لئلا تفسد علينا ديننا فخرج ابراهيم وصحبته سارة وكان ممن آمن به وصحبه ابن اخته لوط عليه السلام وتوجه ابراهيم بهما نحو أرض حوران فأوحى الله اليه أن تزوج بسارة فتزوج بها وتاجر فصار عنده مال عظيم فاشترى قماشا وأخذ زوجته سارة وتوجه بها الى

مصر

مصر قال وكانت سارة ذات حسن وجمال وقد واعتدال حتى لم يكن في زمانها أجمل
منها فلما دخل بها الى أرض مصر قيل له يا ابراهيم ان بمصر ملكا جبارا يحب النساء
وكان من عادته اذا سمع بامرأة جميلة يتزوج بها قهرا وكان اسم الملك طوطيس وكان
من عادة الملوك السابقة ان يسكنوا بمدينة يقال لها منوف وكان له حراس يقيمون
على الطرقات ليأخذوا العادة من المسافرين وكان ابراهيم قد وضع زوجته سارة
في صندوق ليخفيها عن الملك فلما سار ابراهيم بين يدي الحراس أرادوا فتح
الصندوق ليروا ما فيه ولم يقدر ابراهيم على منعهم من فتحه ففتحوه فاذا بسارة في
الصندوق فحملوها الى الملك فقال من هذه المرأة يا ابراهيم فقال هي اختي عنى انها
اخته في الخلقة فقال الملك زوجني أياها فقال انها متزوجة فاخذها الملك قهرا
قال الراوي فرفع الله الحجاب عن بصر ابراهيم حتى انها لم تغب عن معاينته
ليطمئن قلبه اذا رجعت اليه قال فلما دنا الملك منها وأراد أن يتناولها بيده
يبست ثم تاب فانطلقت يده ثم عاد فمد يده اليها ثانيا فيبست يده ورجله فتاب
فانطلقت يده ورجله فعاد وقيل انه تاب فعاد سبع مرات الى أن تاب توبة
صادقة كل ذلك وابراهيم ينظر وقد كشف الله الحجاب عن بصره فدعا الملك بابراهيم
وأحضره وأكرمه وأعطاه زوجته ووهبه جارية تسمى هاجر فتزوجها ابراهيم عليه
السلام قال ثم ان ابراهيم خرج من مصر يريد الشام فاقام عند قوم بواد يقال له
وادي السبع فأوسع الله عليه الرزق من المال والمواشي حتى قيل كان له اثنا عشر
ألف قطيع من الغنم وفي كل قطيع كلب وعليه جل من الديباج الملون وفي عنقه
سلسلة من الذهب وكان ابراهيم أغنى الانبياء في المعيشة وكان لا يأكل الا مع
الاضياف وكان اذا أمسى المساء ولم يكن عنده ضيف مشى الميل والميلين ليجد من
يأكل معه فكان كما يقال في المعنى

لا مرحبا بالليل ان لم يأتني * في طيه ضيف ملم نازل
والصبح ان وافى فلا أهلا به * ان كان عندي فيه ضيف راحل

قيل ان ابراهيم عليه السلام أول من أقرى الاضياف وأول من شاب فلما رأى
الشيب في لحيته أنكره فقال يا رب ما هذا فأوحى الله اليه هذا الوقار فقال يا رب زدني
وقارا فاصبحت لحيته بيضاء وقيل لما كثرت مواشيه ضاقت عليهم الارض فاجتمع
عليه أهل تلك الارض وقالوا له يا صالح وكان يسمى عندهم بالشيخ الصالح اخرج من
بلادنا فانك ضيقت الارض علينا بمواشيك قال فعزم على الرحيل فلما رحل عنهم
نشفت الآبار من الماء وكان فيها الماء من بركته فهلك القوم من العطش فلحقوه
وسألوه الرجوع فابى فشكوا اليه قلة الماء فاعطاهم سبع نعاج وقال أوقفوا على كل بئر

نعجة يأتكم الماء فأخذوا النعاج وأوقفوها على الآبار فرجع الماء ببركة مواشيه صلى الله عليه وسلم ولذلك سمي الوادي بوادي السبع قال قتادة لما تزوج ابراهيم عليه السلام بهاجر جاءه منها اسمعيل عليه السلام وقد صار عمره خمسة وثمانين سنة فلما كبر اسمعيل شمخت هاجر على سارة وصارت تعارضها فيما تقول فحلفت سارة يمينا مغلظا لتقطعن قطعة من لحم هاجر فلما سكن غضبها بقيت سارة متحيرة في أمر اليمين فأفتاها ابراهيم حين قصت عليه اليمين وقال أثقبي اذنيها ففعلت ذلك ثم ان سارة قالت لابراهيم لا أسكن أنا وهاجر في مكان واحد فأوحى الله الى ابراهيم بان لا تخالف سارة وأمره أن يمضي بهاجر واسمعيل الى محل الحرم وكان اسمعيل طفلا رضيعا فأركب اسمعيل وأمه على بعير وأخذ معه سقاية وجرابا فيه دقيق وسار الى مكة فانزلهما في محل الحرم وكان موضع البيت الشريف يومئذ ربوة حارة فصنع ابراهيم هناك بيتا من عريش الشجر وترك عندهما السقاية والجراب المملوء دقيقا فلما أراد الانصراف عنهما قالت له هاجر الى أين تمضي قال الى نحو الشام قالت وكيف تذهب وتتركنا في هذا المكان الذي لا نبات به ولا ماء ولا أنيس فلا زالت تقول له مرارا وهو لا يلتفت اليها فقالت له آلله أمرك بهذا فقال لها نعم فقالت اذا لا يضيعنا ثم انطلق ابراهيم وهو يقول ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ثم ان هاجر أقامت هناك ثلاثة أيام وفرغ ما كان معها من الماء والدقيق فعطشت هي وابنها فجعلت هاجر تصعد الى الصفا وتنظر هل ترى ماء أو أحدا ثم تذهب الى المروة وتنظر هل ترى ماء فسعت بين الصفا والمروة سبع مرات وهي كالولهانة وتتضرع الى الله عز وجل في طلب الماء ولاجل ذلك صار السعي واجبا بين الصفا والمروة على سائر الحجاج وأما اسمعيل فانه كان يبكي تارة ويسكت أخرى حتى أشرف على الهلاك من قلة الماء فبينما هي كذلك اذ سمعت هاتفا يقول ارجعي قد أنبع الله لك ماء فرجعت فوجدت الماء قد نبع من بين أقدام اسمعيل وهو يفور ويسيح فخافت هاجر منه فقالت زم زم يا مبارك حتى أمسك عن جريانه فلذلك سميت زمزم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أم اسمعيل لو أنها لم تقل زم زم يا مبارك لكان زمزم عينا جارية ويروى أن جبريل عليه السلام أتى الى هاجر وهي تسعى بين الصفا والمروة فقال لها من أنت قالت أنا سرية ابراهيم خليل الرحمن وقد تركني ههنا فقال جبرائيل الى من ترككما قالت الى الله تعالى فقال لقد ترككما الى كاف وقال الله تعالى أليس الله بكاف عبده ألا يعلم من خلق ثم ان جبرائيل أتى زمزم وركضها برجله ففاض الماء ولذلك يقال لزمزم ركضة جبرائيل ثم ان اسمعيل وأمه جعلا يشربان من ذلك الماء فكان يكفيهم غذاء وشربا

لبركته فقامت هناك مدة وقيل ان جماعة من بني خزاعة من أولاد جرهم نزلوا بالقرب من مكة فرأوا طيورا قد كثرت هناك فقالوا ان هذه الطيور لا تنزل الا على ماء فجاؤا فوجدوا الماء فقالوا لهاجر لمن هذا الماء فقالت لهم ان الله تعالى قد خصني به فقالوا لها ألا تنزل عندك حتى نجعل لك نصيبا من مواشينا فقالت لهم نعم فنزلوا عندها وضربوا حولها المضارب وأقاموا عندها فلما كبر اسمعيل عليه السلام وانتشى بين العرب وتعلم منهم اللغة العربية والفروسية تزوج من بناتهم ورزق الاولاد ولهذا يقال اسمعيل أبو العرب وقيل ان ابراهيم بعد ذلك قدم الى مكة فسأل عن بيت اسمعيل فدلوه فأتى الى باب داره وطرق الباب فخرجت اليه زوجة اسمعيل فسألها عنه فقالت له انه غائب فسألها عن معيشتهم فقالت نحن في أسوء حال من ضيق المعيشة فقال لها اذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له يغير عتبة بابه فلما جاء اسمعيل قالت له قد جاء اليك شيخ صفته كذا وكذا وذكرت له الوصية فقال لها هذا أبي وقد أمرني أن أفارقك فالحقي باهلك ثم ان اسمعيل تزوج بامرأة غيرها من بنات العرب فقدم ابراهيم مرة ثانية فدق الباب فخرجت اليه زوجة اسمعيل فقال لها أين زوجك فقالت انه غائب فسألها عن معيشتهم فقالت بخير والحمد لله فقال وما طعامكم فقالت اللحم واللبن فقال وما شرابكم فقالت ماء زمزم فقال اللهم بارك لهم في لحمهم ولبنهم ومائهم ثم أوصاها وقال اذا جاء زوجك فأقرئيه مني السلام وقولي له يثبت عتبة بابه قال السدي لما دعى ابراهيم بالبركة لم يكن غير اللحم واللبن والماء فلو كان غيره ودعا له بالبركة مثل الحبوب كالقمح والشعير والفول لكان كثيرا ابدعوته ثم غاب ابراهيم عليه السلام مدة طويلة فاستأذن سارة في المسير الى زيارة ولده اسمعيل فأذنت له وشرطت عليه أن لا يكلم هاجر ولا ينظر اليها فقال نعم ثم انه قدم الى مكة وجاء الى بيت اسمعيل فدق الباب فقالت زوجته ماتريد فقال أين اسمعيل فقالت انه خرج يتصيد فسألها عن هاجر فقالت انها قد ماتت ودفنت قريبا من الحجر وقيل لما توفيت هاجر كان لها من العمر نحو ستين سنة ولاسمعيل من العمر عشرون سنة ثم ان ابراهيم جلس في الحرم واغتسل من ماء زمزم وجعل ينتظر ابنه اسمعيل فلما جاء من الصيد وجد أباه عند بئر زمزم فاعتنقه ثم أخذ بيد أبيه وأضافه فأخرج له لحما ولبنا فأكل ثم قال ابراهيم يا بني ان الله قد أمرني بان أبني له بيتا على هذا التل الاحمر فكن لي معينا على ذلك

﴿ ذكر بناء البيت ﴾

قال الثعلبي لما امر الله تعالى ابراهيم ببناء البيت أرسل اليه سحابة بيضاء على قدر البيت ونودي يا ابراهيم ابن البيت على قدر هذه السحابة وظلها وروى الواقدي أن ابراهيم لما حفر أساس البيت رأى حجرا من رخام أخضر وعليه أربعة أسطر السطر الاول

مكتوب لا اله الا أنا رب البيت مغلبها وهى قرار ومرخيها وهى قفار والسطر الثانى مكتوب لا اله الا أنا رب البيت مهلك الطغاة ومفقر الزناة ومخزى تارك الصلاة والسطر الثالث مكتوب أنا الله لا اله الا أنا ارزق من لا حيلة له حتى يعلم من له حيلة أن لا حيلة له قال وأوحى الله الى ابراهيم بأن يأتى بحجارة البيت من خمسة جبال جبل طور سيناء وجبل طور زيتا وجبل لبنان وجبل الجودى وجبل حراء بمكة فيكون يوم القيامة بثقل هذه الجبال فى موازين الحجاج فلما جمعت هذه الاحجار من الجبال المذكورة شرع ابراهيم فى بناء البيت فكان اسمعيل يأتيه بالحجارة ويعجن له الطين وما زال الامر على ذلك الى أن ارتفع البناء وهو قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل قال ان الحجر الذى يعرف بمقام ابراهيم كان اذا بنى وقف عليه فتارة يرتفع به اذا ارتفع البناء وتارة يهبط به اذا أراد الارض قال أنس بن مالك رضى الله عنه رأيت أثر قدم ابراهيم فى هذا الحجر وقد أثر فيه كعبه وأخماس أصابع رجليه غير انه اختفى رسمه من كثرة لمس الناس له بأيديهم فمحى ذلك من كثرة الايام والليالى قال الكسائى بينما ابراهيم يبنى فى البيت اذ ناداه جبل أبى قبيس يا ابراهيم ان لك عندى وديعة فخذها فلما دنا منه انشق من الجبل قطعة وخرج منها الحجر الاسود وكان نوح عليه السلام حين خرج من السفينة بعد الطوفان أودع الحجر الاسود بهذا الجبل فأنطق الله الجبل بالوديعة فلما أتم ابراهيم بناء البيت أوحى الله اليه أن اصعد الى سطح البيت وأذن فى الناس بالحج قال فبلغ صوته مشارق الارض ومغاربها لان الله تعالى قال له يا ابراهيم منك النداء وعلى البلاغ وقيل ان ابراهيم طلع الى جبل عرفات ونادى بأعلى صوته يا أيها الناس ان الله تعالى قد بنى لكم بيتا فحجوا اليه فبلغ مدا صوته المشرق والمغرب فمن أجابه بالتلبية كتب له حج ومن لم يلب لم يحج فذلك قوله تعالى وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا الآية قال الثعلبى ولم يزل هذا البيت على بناء ابراهيم الى سنة خمس وثلاثين من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهدمت قريش ما بناه ابراهيم وبنوه ثانيا وجعلوا داخله صور أربعة من الملائكة جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم السلام وجعلوا أيضا فيه صور الانبياء المرسلين فلما فتح النبى صلى الله عليه وسلم مكة فى عام الفتح طمس تلك الصور جميعها ثم بعد ذلك جدد بناءه عبد الله بن الزبير لوهن أركانه من النار التى أحرقتها ثم ان الحجاج هدم ما بناه عبد الله بن الزبير وبناه على هذه الصفة التى هو عليها الآن وذلك سنة أربع وسبعين من الهجرة النبوية فى خلافة عبد الملك بن مروان الاموى

ذكر قصة ذبح اسمعيل عليه السلام قال السدى قد اختلف جماعة من العلماء فى الذبيح فمنهم من قال انه اسحق وأهل التوراة يرجحون ذلك والاشهر انه اسمعيل لقول

بعض العرب للنبي صلى الله عليه وسلم يا ابن الذبيحين وهما اسمعيل عليه السلام وعبد الله الذي فداه أبوه عبد المطلب بمائة بعير قال ابن عباس رضي الله عنه ان ابراهيم كان قد نذر في سره ان ولد له ولد ذكر ليذبحنه قربانا الى الله تعالى فلما تمادت عليه الايام والليالي نسي ما نذره قال السدي ان ابراهيم رزق اسمعيل قبل اسحق بثلاثين سنة فبينما ابراهيم نائم اذ رأى في منامه قائلا يقول له يا ابراهيم ان الله يأمرك أن تفي بنذرك وهو ذبح ولدك بيدك فانتبه ابراهيم وهو مذعور فكان يرى تلك الرؤيا في سبع ليال متوالية فعزم على ذبح ولده قال السدي لما قوي عزم ابراهيم على ذبح ولده ناداه يا اسمعيل خذ معك حبلا ومدية قال وما تصنع بها يا أبتي قال أذبح كبشا قربانا الى الله تعالى فانطلق هو وابنه اسماعيل وسار به الى شعب جبل عند وادي منى فبينما هما يمشيان اذ تعرض ابليس اللعين لاسماعيل بصورة شيخ فقال الى أين تمضي يا اسماعيل قال لنقرب أبي قربانا الى الله تعالى فقال ابليس أتدري ما القربان الذي يقرب به أبوك قال لا قال انه يريد ان يذبحك وقد جئتك ناصحا فقال يا ابليس أيفعل هذا أبي من قبل نفسه أم بأمر ربه فقال ابليس بل بأمر ربه فقال اسمعيل اذا كان الذبح بأمر ربي فكيف أعصي ذلك فرجع ابليس خائبا فكان كلما يتبع اسمعيل يرميه بالحصى ففعل ذلك سبع مرات فصار من يومئذ رمي الجمار سنة فلما وصل ابراهيم الى شعب الجبل جلس وقال لاسمعيل ان الله تعالى أوحى الي بذبحك وقد رأيت ذلك في المنام سبع مرات في سبع ليال متوالية فقال اسمعيل يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين فلما رأى ابليس ذلك جلس على الجبل ليرى ما يكون من أمرهما ثم ان ابراهيم أضجع ابنه على جنبه الايمن وشد يديه ورجليه بحبل فقال اسمعيل يا أبت لا تشدد رجلي ويدي بالحبل لئلا تقول الملائكة قد جزع من أمر ربه فخله واستمر اسمعيل مضطجعا على جنبه الايمن من غير وثاق ثم ان ابراهيم عليه السلام وضع المدية على نحر اسمعيل وصار يحز بها مرارا فلم تؤثر في نحره ولم تخدش شيأ فعند ذلك ضجت من هذه الواقعة ملائكة السماء والارض والطير والوحش والحيتان في البحر وانطلق الكل بالابتهال الى الله تعالى وصاروا يقولون الهنا وسيدنا ومولانا ارحم هذا الشيخ الكبير وافد هذا الطفل الصغير ثم قال اسمعيل لابيه يا أبتي كبني على وجهي فانك اذا نظرت الى وجهي ترحمني فكبه على وجهه ووضع السكين وحز بها فلم تؤثر فرمى ابراهيم السكين من يده فأنطق الله تعالى السكين وقالت يا ابراهيم أنا بين أمرين فالخليل يقول اقطعي والجليل يقول لا تقطعي واني من قبل الجليل لا من قبل الخليل وكيف أقطع في نحر اسمعيل ونور محمد صلى الله عليه وسلم في جبهته يلمع ثم ان الله تعالى أوحى الى ابراهيم أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين وفديناه بذبح عظيم قال فبينما

هو كذلك واذ بجبرائيل أتاه ومعه كبش أملح وقال هذا فداء ولدك فخذه واذبحه فداء لاسمعيل وأدركه بالفرج الجزيل وأنشد في المعنى

انا سمعنا مقالا قاله فطن * في أضيق الوقت يأتي الله بالفرج

قال الثعلبي ان الاضحية صارت من وقتها سنة ابراهيم عليه السلام (سؤال) لم أفدى الله تعالى اسمعيل بكبش ولم يجعل فداءه جملا أو بقرة أو غير ذلك (فالجواب) ان ابراهيم لما أخذ الحبل والمدية فقال اسمعيل وما تصنع بهما قال أذبح كبشا فصدق الله تعالى قول خليله جواب آخر ان الله تعالى ادخر الكبش الذي كان قربه هابيل ابن آدم فأخره الله ليعلم عباده ان الخير من الاجداد ينفع الاولاد قال السدى كان هذا الكبش قدر الفيل العظيم وليس به عظم بل كله لحم وشحم ولم يكن على بدنه صوف وكان يرتع في رياض الجنة فصار عظيم الخلقة فذبحه ابراهيم وفرق لحمه على الفقراء والمساكين وكان ذبحه بمنى فصار فداء الحاج هنالك كل سنة قال السدى وكان اسمعيل حين الذبح له من العمر عشرون سنة قال الكسائي عاش اسمعيل مائة وسبعة وثلاثين سنة ويروى انه لما مات دفن تحت الميزاب انتهى ملخصا

ذكر قصة هلاك النمروذ بن كنعان قال الثعلبي ان النمروذ هو أول من تجبر في الارض وادعى الربوبية من دون الله تعالى قال السدى ان الغلاء وقع في زمن النمروذ وأجدبت الارض فكان النمروذ يخزن عنده جميع الغلال فيقصده الناس من سائر الاقطار وكان لا يبيع أحدا شيأ حتى يسجد له ويقول أنت ربي ووقع القحط في الارض التي بها ابراهيم فسار ابراهيم الى النمروذ ليشتري منه غلالا فلما وصل الى النمروذ ووقف بين يديه عرفه النمروذ فقال يا ابراهيم من أنا فقال ابراهيم أنت عبد من عبيد الله تعالى فقال النمرود اسجد لي فقال ابراهيم لا ينبغي السجود الا للرب المعبود فقال النمروذ ومن الرب المعبود قال ابراهيم الرب المعبود هو الذي يحيي ويميت فقال له النمروذ أنا أحيي وأميت فاستدعى برجلين وجب عليهما القتل فقتل واحدا وأطلق الآخر فقال ها أنا أمت وأحييت فقال ابراهيم ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين فعند ذلك قال النمروذ لابد ان أقاتل اله ابراهيم فامر ببناء الصرح قال كعب الاحبار كان طول ذلك الصرح فرسخين في عرض فرسخ وقال الآمدى كان بناؤه في أرض بابل ثم عمد النمروذ الى أربعة نسور وربأها على اللحم والخمر حتى استكملت قوتها ثم صنع تابوتا من الخشب وجعل لذلك التابوت بابا من أعلاه وبابا من أسفله وربطه بارجل النسور بعد ان جوعهم وعلق لحما على عصى فوق التابوت ثم دخل النمروذ في التابوت وأخذ معه قوسا وثلاثة أسهم وأخذ معه أحد وزرائه ممن كان يثق بعقله

ثم كشف اللحم للنسور فأقلعوا طمعا في اللحم فبعد ساعة قال لوزيره اكشف الباب الاعلى فنظر الى السماء فوجدها على هيئتها ثم كشف عن الباب الاسفل فنظر الى الارض فوجدها كاللجة ووجد الجبال كالدخان ثم طبق البابين ثم بعد زمان وقد كادت النسور ان تهلك من التعب فتح البابين فنظر الى السماء فوجد ظلمة ونظر الى الارض فرأى ظلمة فبينما هو صاعد اذ ناداه ملك الى أين يا عدو الله فظن النمروذ ان الذي ناداه اله السماء فاخذ القوس ووضع السهم وصوبه نحو السماء ورمى به في الهواء فغاب السهم عنه ساعة ثم عاد اليه وهو ملطخ بالدم ففرح النمروذ بذلك وقال قتلت اله السماء قال عكرمة ان السهم أخذته سمكة وقربت نفسها الى الله تعالى فأصابها فذلك الدم منها وهي في بحر بين السماء والارض قال العزيزي ان النمروذ لم يزل يصعد في الجو الى ان ناداه ملك الى أين يا عدو الله ان بينك وبين السماء خمسمائة عام ثم صعق الملك صعقة مات منها الوزير ثم ان جبرائيل عليه السلام ضرب التابوت بجناحه فسقط في البحر فقذفته الامواج الى البر فخرج النمرود من التابوت وقد ابيضت لحيته من الخوف مما رأى من الاهوال فلما رآه قومه أنكروه ولم يصدقوا أنه النمروذ قال الثعلبي ان الله سلط على ذلك الصرح ريحا عاصفا فألقته على من كان من ارباب دولته وذلك قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم ثم ان النمروذ أحضر ابراهيم وقال له قل لربك بأن ينزل من السماء الى الارض حتى أتقاتل معه فان ذلك من عادة الملوك تقابل وتقاتل فاوحى الله الى ابراهيم أن قل للنمروذ ينظر الى سائر المخلوقات ويختار أي جنس نرسله عليه فاختار البعوض لانه لا يأكل الا أكلة واحدة ويموت فقال ابراهيم اجمع عساكرك من جميع الجهات وألبسهم الدروع والجواشن وتهيأ لهذا الجند الذي هو أضعف جنود الله القوي فجمعهم النمروذ فكان مقدارهم مسيرة اربعة فراسخ قال العزيزي ان هذا الجمع كان بأرض الكوفة فلما كان الميعاد ظهر عسكر البعوض من البحر حتى سد ما بين الخافقين وحتى حجب الشمس عن الابصار فامرهم الله ان ينتشروا على عساكر النمروذ ويأكلوهم فصارت تأكل الدروع والجواشن والسلاح حتى وصلت الى لحومهم فأكلتها ولم يبق منهم غير العظام فهلكوا جميعا ثم ارسل الله تعالى الى النمروذ بعوضة ضعيفة بجناح واحد وهي اصغر البعوض كله فدخلت في انفه وصعدت الى رأسه فانهزم وأخره الله تعالى ليعتبر قيل انها مكثت في رأسه اربعين سنة فكان يأمر غلمانه ان يضربوه بالنعال على رأسه فيجد بذلك راحة فلما طال عليه الامر ضربه احد خدامه بطبر على رأسه فانفلق فخرجت تلك البعوضة وهي مثل العصفور وتقول هذا جزاء عدو الله وذهبت واهلك الله تعالى النمروذ وجنوده باضعف جنوده وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار قال تعالى وما يعلم

جنود ربك الا هو وقد قيل فى المعنى

فلسان السكون عنه ناطق * ان هذا الملك لله الصمد
جل خلقا عن مثال سابق * وتعالى عن نظير وانفرد
فاذا عاينته هو آياته * نزهوه عن شريك وولد

ذكر وفاة ابراهيم عليه السلام قال كعب الاحبار خرج ابراهيم عليه السلام فى طلب الاضياف فر به ملك الموت فى صورة شيخ كبير فسلم على ابراهيم فرد عليه السلام وقال له من أنت قال أنا عابر سبيل فاخذ بيده وأتى به الى منزله فلما رأته زوجته عرفت انه ملك الموت فبكت فلما دخل اسحاق وجد أمه تبكى فبكى الآخر فلما وجدهما ملك الموت يبكيان خرج من المنزل ومضى فلما جاء ابراهيم ووجد الضيف قد مضى غضب على سارة واسحاق وقال بكيتما فى وجه ضيفى حتى مضى وكان لابراهيم بيت يتعبد فيه فدخله ابراهيم فوجد الضيف فيه فقال له ابراهيم من أدخلك بيتى من غير اذنى فقال له الضيف لا تخدعنى يا ابراهيم انا ملك الموت فقال له ان كنت صادقا فارنى آية تدل على انك ملك الموت فقال له حول وجهك عنى فحوّل ثم التفت ابراهيم اليه فرآه على الصورة التى يقبض بها ارواح الانبياء والمؤمنين وهى صورة حسنة منوّرة ثم قال لابراهيم حول وجهك عنى فحول ثم عاد فنظره على الصورة التى يقبض بها ارواح المنافقين والكفار فعند ذلك غشى على ابراهيم فتركه ملك الموت وانصرف عنه مدة ثم ان ابراهيم خرج يوما لينظر ضيفا فرأى شيخا كبيرا فاخذ بيده وأدخله الى بيته وأحضر له شيأ من العنب فجعل الشيخ يأخذ من العنب و يمج و يرمى بجلد العنب وماؤه يسيل على لحيته فتعجب منه ابراهيم وقال ايها الشيخ كم لك من العمر قال كذا وكذا سنة فاذا هو قدر عمر ابراهيم فعند ذلك قال ابراهيم اللهم اقبضنى اليك حتى لا أصير الى الهرم فكان ابراهيم أول من طلب الموت فلما دنا منه ملك الموت قال له يا نبى الله على أى حالة تحب ان أقبض روحك فقال ابراهيم وأنا ساجد لله تعالى فقبض روحه وهو ساجد وقد اختلف جماعة من العلماء فى مدة حياة ابراهيم فمنهم من قال عاش مائة وخمسة وسبعين سنة ومنهم من قال عاش مائتى سنة والله اعلم قال السدى ان سارة توفيت قبل ابراهيم بمدة طويلة وجاوزت من العمر مائة وسبعة وعشرين سنة فلما ماتت اشترى لها مغارة ودفنها فيها وهى فى قرية جيرون من ارض كنعان ولما مات ابراهيم دفن فى تلك المغارة

ذكر قصة اسحاق عليه السلام قال وهب بن منبه لما رزق ابراهيم بابنه اسمعيل من هاجر انكسر قلب سارة لانها لم ترزق ولدا وكان لها من العمر خمسة وثمانون سنة فبشرها الله باسحاق بعد هذه المدة كما جاء فى القرآن وان يكون من نسله الف نبى فعند

ذلك طاب قلب سارة بهذه البشارة قال السدي كان بين اسمعيل واسحاق نحو
ثلاثين سنة وكان اسحاق شديد الغيرة وكان نبيا مرسلا قد بعثه الله الى قوم بالشام فلما
كبر اسحق تزوج بامرأة من ارض حوران وهي رفقاء بنت توبيل فلما دخل بها جاءت
منه بغلامين في بطن واحد وهما العيص ويعقوب قال السدي ان العيص تكلم في
بطن امه فسمعته فاخبرت اباه بذلك فقال لها ان سمعت فأعلميني فلما سمعت اعلمته فجعل
أسحاق اذنه عند سرة زوجته فسمع العيص يقول ليعقوب والله لئن خرجت قبلي
لاخرقن بطن امي واقتلك فقال له اسحق يا مبارك ارع حق امك ولا تخرق بطنها ولا
تقتل اخاك فلما كان الوضع كان العيص يسابق يعقوب فخرج العيص اولا وتاخر يعقوب
بعده فلذلك سمي العيص عيصا لانه عصى أخاه عند الخروج لان يعقوب كان اكبر منه
واسبق في الحمل وسمي يعقوب يعقوب لانه تعقب في خروجه من بطن أمه فلما كبرا
كان العيص أحب الى أبيه وكان يعقوب أحب الى امه فلما كبر اسحاق في العمر كف
بصره فقال لولده العيص يا عيص ائتني بكبش حتى أذبحه وأجعله قربانا الى الله تعالى
وأدعو لك دعوة فعسى ان تنفعك دعوتي ان شاء الله تعالى واجعل يدك عند يدي
وقت الدعاء فسمعت زوجته ما قاله لابنها العيص فأخبرت ابنها يعقوب بذلك وقالت
له اسبق أنت الى كبش وائت به الى أبيك والبس فروة مقلوبة لان العيص كان على بدنه
شعر مثل شعر المعز فاذا المسك أبوك يعلم انك العيص ابنه فيدعو لك وتفوز بدعوته
فعند ذلك أسرع بكبش ولبس فروة مقلوبة وجاء الى أبيه وقدم له القربان مشويا
فأكل منه اسحاق وقال قدم يا بني وهو يظن انه العيص فتقدم يعقوب واسه أبوه
فوجد الشعر فقال اسحاق ان المس مس العيص والريح ريح يعقوب فقالت
زوجته هو ابنك العيص فادع له فوضع كفه على كف يعقوب وقال اللهم اجعل من
ذريته الانبياء والملوك ثم قام يعقوب من عند أبيه فجاء في أثره العيص ومعه كبش
مشوي فوضعه بين يدي أبيه فقال له من أنت قال أنا ابنك العيص فقال يا بني قد
سبقك بالدعوة أخوك يعقوب وفاز بها فعند ذلك غضب العيص وقال لاقتلن يعقوب
فقال اسحاق يا بني لا تغضب قد بقي لك عندي دعوة فرفع يده وقال اللهم اجعل ذريته
عدد الرمل والحصى ولم يملكهم أحد غيرهم فكان من نسله بنو الاصفر وهم ملوك
الفرنج وكان العيص به صفرة زائدة فكان يسمى الاصفر فكان في قلب العيص من
أخيه يعقوب شئ فقالت امه ليعقوب اذهب الى عند خالتك بأرض نجران واترك
لاخيك أرض كنعان فاني اخشى عليك منه فسرى يعقوب هو وعم له تحت الليل
فكان يسري بالليل ويكمن بالنهار حتى وصل الى عند خالته وكان اسمها لبان وكان
لها ابنتان فتزوج بواحدة منهما ثم تزوج بالاخرى وهي الصغيرة فرزق منها بيوسف

وبنيامين وكان ذلك جائزا فى شريعته ولم يزل ذلك جائزا الى ان بعث موسى بن عمران عليه السلام فأنزل الله عليه تحريم ذلك فرزق الله يعقوب من زوجتيه اثنى عشر ولدا فلما كبر أولاده قصد الرجوع الى أرض كنعان فأمر أولاده ان يسبقوه واذا وصلوا يدخلون ويسلمون على عمهم العيص ويقولون له نحن أولاد أخيك يعقوب وقصد منك الترفق والتودد لما جرى بينكما من العدوة كما سبق فلما وصلوا ودخلوا وسلموا عليه وقالوا له ذلك فعند ذلك طاب قلبه على أخيه وزال ما عنده وترحب بهم وأحبهم حبا شديدا ولما قدم يعقوب بعد ذلك تلطف بأخيه العيص وأقام عنده مدة ثم ان العيص ترك أرض كنعان لاخيه يعقوب وأولاده ورحل الى بعض بلاد الشام فتزوج هناك بابنة عمه اسماعيل وكان اسمها نسمة فجاء منها عدة أولاد ذكور واناث فجاء من نسله الروم ولم يجئ من نسله نبى سوى أيوب عليه السلام وقيل ان القياصرة ملوك الروم من أولاد العيص وكذلك ملوك بنى الأصفر قال السدى ان اسحاق عاش من العمر مائة وستين سنة ولما مات دفن بأرض فلسطين ثم نقل بعد ذلك الى أبيه ابراهيم ولما مات العيص كان عمره مائة وعشرين سنة والله أعلم انتهى ما أوردناه على سبيل الاختصار

﴿ذكر قصة لوط عليه السلام﴾ قال وهب بن منبه هو لوط بن هزون بن تارخ بن أخى ابراهيم قال السدى ان لوطا بعث فى زمن ابراهيم الى قوم سدوم بأرض غرورة زغر وكانوا أهل كفر يرتكبون الفاحشة فوقع بأرضهم الغلاء فكانوا يدخرون الغلال ويطلبون بذلك الغلاء وكان الناس يقصدونهم من سائر الاقطار فجاء اليهم ابليس اللعين فى صفة شيخ كبير فقال لهم انى خبير بأحوال الزمان فان كان عندكم شئ من الغلال فامسكوا أيديكم فى بيعها فسوف يأتى على الناس مدة لا ينبت فيها حبة ولا يمطر من السماء قطرة واذا جاءكم الناس ليشتروا فلا تبيعوا لهم حتى تلوطوا بهم وان كانوا شيوخا أوصبيانا فكانوا يجلسون على الطريق ينتظرون من يمر بهم من المسافرين فيقصدونهم ويلوطون بهم قال الثعلبى ان أهل تلك القرية كان يسكن بعضهم بالجبال وبعضهم بالسهل وكانت الفرقة التى تسكن بالجبال وحشيين لم يجتمعوا بالفرقة التى تسكن السهل فاحتال عليهم ابليس ليجمع بينهما فاتخذ المزمار وزمر فلما سمعه الجبليون صوت المزمار نزل من الجبل النساء والرجال فلما اجتمعوا بالسهل ورأى بعضهم بعضا افتتن الرجال بالرجال والنساء بالنساء فظهر من يومئذ اللواط والسحق فكان كما يقال فى المعنى

شغل المرد بالبدال وأضحى ﴿ نسوة الناس شغلهم بالسحاق
كل جنس بجنسه قد أتاه ﴿ ففرارا من معشر الفساق

فلما تزايد بهم هذا الامر بعث الله لهم لوطا عليه السلام فنهاهم عن ذلك ودعاهم الى عبادة الله تعالى فلم يزدادوا الا عتوا وقالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين فعند ذلك قال رب انصرني على القوم الظالمين فاستجاب الله دعاءه وبعث الله اليهم أربعة من الملائكة على صورة مرد حسان قال قتادة ان الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوا قوم لوط حتى تشهدوا عليهم أربع شهادات فلما دخلوا على لوط قالوا نحن ضيوفك في هذه الليلة فانطلق بهم الى منزله وقال لهم أما علمتم أمر هذه القرية قالوا وما أمرها قال انها أشر قرية على وجه الارض وأخبرهم بأمر قومه وما هم عليه من الفاحشة قال وكانت امرأة لوط اذا دخل الى منزلها ضيوف ترسل تعلم القوم بهم ولها أمارة وهي أن ترسل رسولها بالقطاب من جيرانها الحافيعلمون ان في منزل لوط أضيافا فيأتون اليهم فلما اخبرتهم امرأة لوط بالاضياف جاؤا اليهم فغلق لوط الباب في وجوههم وقال لهم اتقوا الله ولا تخزون في ضيفي وخذوا واحدة من بناتي عوضا عن الاضياف فقالوا له لقد علمت مالنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد فلم يزل لوط يناجيهم من خلف الباب حتى تسوروا عليه من الحائط وهجموا عليه وخاف على أضيافه فقالت الملائكة انا رسل ربك لن يصلوا اليك الآية ثم ان الله تعالى أذن لجبرائيل عليه السلام فضرب بجناحه وجوه القوم فطمس الله أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم قائلين ان لوطا أسحر من على وجه الارض فلما علم لوط ان الاضياف رسل ربه قال لهم أريد ان تهلكوهم في هذه الساعة فقالوا ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الله مسخ امرأة لوط فصارت ملحا لما كانت تدل على الاضياف بطلب الملح ثم أمر الله تعالى لوطا ان يسري بعياله تحت الليل فلما خرج لوط من القوم ادخل جبرائيل جناحه تحت القرى واقتلعها من أصولها وكانت سبع مدن في كل مدينة ما شاء الله من رجال ونساء وصبيان فرفعها بين السماء والارض حتى سمع أهل السماء صياح ديوكهم ونباح كلابهم ثم قلبها وجعل أعلاها أسفلها ثم أتبعهم بحجارة من سجيل فهلكوا أجمعين وسئل مجاهد هل بقي من قوم لوط أحد فقال نعم خرج منهم واحد الى مكة فبقي حجره معلقا بين السماء والارض اربعين يوما حتى خرج من مكة وصار في أثناء الطريق فسقط عليه حجره فهلك في الحال وقد عذب الله قوم لوط بعذاب لم يعذب به أحدا من الامم لاجل ارتكابهم الفاحشة العظيمة قال السدي توفي لوط في زمن ابراهيم عليه السلام انتهى على سبيل الاختصار

﴿ذكر قصة يعقوب وما وقع له مع أولاده من جهة يوسف﴾ قال الله تعالى نحن نقص عليك الآية قال وهب بن منبه لما خرج يعقوب من أرض كنعان هاربا من

أخيه العيص أتى عند خالته وتزوج بابنتها فجاء من راحيل وهى الصغيرة ولدان يوسف وبنيامين ولما وضعت راحيل يوسف كان يعقوب غائبا نحو الشام فنزل عليه جبرائيل وقال يا يعقوب ان الله تعالى وهبك ولدا لم يرزق مثله لاحد من الناس وقد أعطاه الله شطرا من الحسن ففرح بذلك ولما وصل من السفر ونظر الى يوسف فكان لا يمل من النظر اليه فذبح ألف رأس من الغنم قربانا لاجل يوسف شكر الله تعالى وفرقها على الفقراء والمساكين فلما كبر يوسف وصار له من العمر ست سنين ماتت أمه راحيل قال السدى ان الله تعالى قسم الحسن عشرة أجزاء فأعطى الناس جزأ واحدا وخص يوسف بتسعة الاجزاء الباقية وقيل ان يوسف نظر الى وجهه يوما فى المرآة فأعجبه حسنه فقال فى سره لو كنت مملوكا ما قدر أحد على ثمنى فسلط الله عليه اخوته فباعوه ببخس ثمن قيل البخس الذى كان فى حق يوسف كان سبعة عشر درهما دراهم معدودة وهذا من آفة العجب قال السدى لما كبر يوسف وصار له من العمر اثنتا عشرة سنة رأى فى منامه أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين فقص رؤياه على أبيه وقال كما قال الله خبرا عنه يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين قال يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا الآية قال فلما بلغ اخوة يوسف ذلك حسدوه على هذه الرؤيا وقالوا لاشك ان يوسف يصيره ولانا فان الشمس أبونا والقمر امنا والكواكب نحن قال السدى لما سمع اخوة يوسف هذه الرؤيا شابت لها رؤسهم مما حصل عندهم وكان يعقوب يميل الى يوسف من دون اخوته قال فأخذوا فى تدبير الحيلة فى هلاك يوسف فاجتمع رأيهم ان يدخلوا على أبيهم ويستأذنوا فى أخذ يوسف معهم الى الصيد وقالوا ان هو أبى عن ارساله معنا نقتله بين يديه ولا نوقره قال فدخلوا على ابيهم فى غير الوقت المعهود لزيارته وجلسوا بجانبه من غير اكرام له فقال لهم مالى اراكم مذعورين فقالوا له ان قلوبنا مشغولة لان ذئبا عظيما هجم البارحة على أغنامنا وقتل منها غنما عظيمة ونحن الآن نريد ان نخرج اليه عصبة فارسل أخانا يوسف معنا نرتع ونلعب وانا له لحافظون فقال لهم يعقوب انى ليحزننى ان تذهبوا به وأخاف ان يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون وقالوا كيف يأكله الذئب وفينا أخو شمعون الذى اذا صاح صيحة تضع لها الحوامل وفينا أخوه يهوذا الذى اذا غضب فن ضبه يشق الاسد نصفين فلما سمع يعقوب كلامهم قال لابنه يوسف اذا كان غدا امض مع اخوتك الى الصيد فقد أذنت لك بذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما انما قال يعقوب لاولاده وأخاف ان يأكله الذئب لانه رأى فى منامه كأن يوسف على رأس جبل وحوله ذئاب قد أحدقوا به ليقتلوه واذا بذئب منهم

قد جاه وخلصه منهم وكان الارض قد انشقت ودخل فيها يوسف ولم يخرج منها الا
بعد ثلاثة أيام اه مارأى يعقوب فى المنام قال فلما دخل ميعاد يوسف الى الخروج
للصيد لبس يوسف ثياب السفر وشد فى وسطه منطقة من الذهب وخرج مع اخوته
وأخذوا معهم كثيرا من الماء والزاد وركبوا خيولهم ويوسف صحبتهم ثم ان يعقوب خرج
معهم الى الصحراء ومشى اربعين خطوة وودعهم وقبل يوسف بين عينيه وضمه الى
صدره ثم رجع يعقوب الى منزله وندم على ارساله يوسف مع اخوته فلما بعدوا عن أرض
كنعان وثب اخوة يوسف على يوسف فمسكوه من أطواقه ولطموه على وجهه وعروه
من ثيابه فصار عريان فقال دعوا القميص على ليكون لى كفنا وهموا بقتله فترامى
يوسف على أخيه يهوذا وكان أكبر اخوته فقال لهم يهوذا لا تقتلوا يوسف وارجعوا واحق
أبيكم فلم يلتفتوا الى كلامه وقالوا لابد من قتله فقال يوسف اسقونى شربة من الماء
قبل ان تقتلونى فامتنعوا من سقايته فتلطف يهوذا بهم وأشار عليهم بأن يرموه فى
الجب فأجمعوا على ان يجعلوه فى الجب فكتفوا يديه ورجليه وأدلوه فى الجب فلما أنزلوه
الى الجب بكت ملائكة السماء رحمة ليوسف ثم عمد أحد اخوته الى الحبل فقطعه
بسكين قبل ان يصل يوسف الى قعر الجب فأدركه جبرائيل فتلقاه ووضعه على صخرة
قد رفعها الله له من الجب قال وهب بن منبه ان هذا الجب كان بأرض الاردن وقيل
كان بين مدائن مصر ومدائن ارض كنعان وهو على قارعة الطريق قال السدى ان
الذى حفر هذا الجب هو سام بن نوح وكان ماؤه مالحا فلما نزل يوسف عذب ماؤه وقصده
بعض الافاعى فصاح بها جبرائيل فرجعت وطرشت وكل حية طرشى فهى من نسل
تلك الحية قال قتادة وجاء جبرائيل بقميص من الجنة فألبسه و بطعام وشراب
فأطعمه وصار الجب روضة مغدقة واتسع حتى صار مد البصر وقال جبريل لا تخف قد
اتاك الفرج ثم بعد ليلة جاء اليه اخوه يهوذا ونادى يا يوسف هل انت من جملة الاحياء
ام من جملة الاموات فاجابه يوسف أنا من جملة الاحياء من فضل ربى فلما علم اخوته انه
حى عمدوا الى صخرة عظيمة وأرادوا ان يلقوها عليه قال لهم يهوذا ان أنتم فعلتم ذلك
أخبرت أبيكم بفعلكم فتركوه وانصرفوا قال السدى كان عمر يوسف لما التقى فى
الجب أربع عشرة سنة ولما رجعوا الى أبيهم عمدوا الى شاة وذبحوها ولطخوا قميص
يوسف بدمها وذلك قوله عز وجل وجاؤا على قميصه بدم كذب ثم انهم اصطادوا ذئبا
ولطخوا فمه بالدم وأوثقوه بحبل وأتوا به الى أبيهم فوجدوه جالسا على قارعة الطريق
فى انتظارهم لاجل يوسف فلما وصلوا اليه صرخوا وبكوا وقالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق
وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين فلما سمع
يعقوب ذلك غشى عليه فلما أفاق قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله

المستعان على ما تصفون ثم احضر بين يديه ذلك الذئب الموثق والقميص فقال تالله ما اشفق هذا الذئب الذى أكل ولدى ولم يمزق قميصه فأمر باطلاق الذئب فاطلقوه فقال له ادن منى فدنا منه فقال ايها الذئب لم فجعتنى بابنى واورثتنى حزنا طويلا ثم قال يعقوب الهى أنطق لى هذا الذئب فانطقه الله فقال يانبى الله والذى اصطفاك نبيا ما اكلت له لحما ولا مزقت له جلدا ومالى به علم وانما انا ذئب غريب أتيت من ارض مصر فى طلب اخ لى فقدته منذ ايام فلما رآنى اولادك اصطادونى ولطخوا فى بالدم وأوثقونى وجاؤا بى اليك وقد حرم الله علينا لحوم الانبياء فقال له يعقوب وهل يوسف فى قيد الحياة فقال له ما أنا بنمام ولا على الغيب بمطلع فعند ذلك أطلقه ودخل يعقوب الى خلوته وجعل يبكى وينتحب حتى ابيضت عيناه من كثرة البكاء فصار مثلا كما قيل

احزان قلبى وبكائى حكيا ❊ أحزان يعقوب على يوسف

قال وكان يعقوب يجلس على قارعة الطريق ويبكى ويشكو الى من يمر به من المسافرين فاوحى الله اليه لئن عدت تشكو الى واحد من المخلوقين لامحونك من ديوان الانبياء وعند ذلك قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله ودخل الى بيت الاحزان ولزم الصبر قال ابن عباس رضى الله عنهما كان سبب بلاء يعقوب بهذه الفرقة من ولده أنه ذبح يوما شاة وشوى من لحمها ففاحت منها رائحة فجاء اليهم سائل وكان جائعا فطلب منهم شيأ من ذلك اللحم الذى شووه فلم يطعموه منه شيأ وتغافلوا عنه فرجع من عندهم مكسور الخاطر فلم تمض الاسبعة أيام حتى ابتلاه الله بفرقة ولده يوسف الذى كان أعز أولاده كما قيل فى المعنى

احرص على كسر القلوب فانها ❊ مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

قال السدى لما أقام يوسف فى الجب ثلاثة أيام ففى اليوم الرابع جاءت من أرض مدين سيارة يريدون مصر فحادوا عن الطريق ونزلوا بالقرب من الجب الذى فيه يوسف فذهب بعض السيارة ليستقى من ذلك الجب فلما أدلى دلوه تعلق يوسف بالحبل فنظر صاحب الحبل فى الجب فرأى يوسف فقال يابشرى هذا غلام وفرح به وأسره ليبيعه فذلك قوله تعالى وأسروه بضاعة ثم ان يهوذا أخا يوسف جاء الى الجب ومعه طعام الى يوسف فنادى من أعلى الجب يايوسف فلم يجبه فعلم أن السيارة أخذته فتبعهم فوجدهم فى أثناء الطريق ومعهم يوسف وقيل وكان مالك بن دعر قد أرسل جماعة ليأتوه بالماء فالتقطوه من الجب فوصل معهم يهوذا واخوته الى مالك وقالوا له هذا عبد لنا أبق منا فلما سمع ذلك يوسف سكت خوفا فقال مالك أنا أشتريه منكم فاشتراه منهم بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين قيل ان الدراهم كانت سبعة عشر درهما وقيل كانت اثنين وعشرين درهما ثم ان يهوذا شرط على الذى

اشتراه انه لا يبيت به فى تلك الارض وقال له استوثق منه فانه هارب سارق ثم سارت القافلة نحو مصر فاركب يوسف على ناقة فلما مر يوسف بقبر أمه راحيل نزل من أعلى الناقة ومضى الى قبر أمه فزاره قال فاستفقد وا يوسف فلم يجدوه على ظهر الناقة فصاح مالك فى القافلة يا يوسف فلم يجده فذهب فى طلبه فوجده عند قبر أمه فلطمه مالك أشد لطمة وقال لقد حذرنا منك مولاك الذى باعك فلم نصدق ولكن ان عدت وفعلت مثل ذلك تكون هالكا قال فلما دخل مالك بن دعر الى مصر ألبس يوسف أثوابا فاخرة فاجتمعت الناس وازدحموا عليه لما رأوا من حسنه وجماله فعرضه للبيع فاشتراه قطفير عزيز مصر يعنى مدبر ملك مصر وكان الملك يومئذ بمصر الريان بن الوليد قيل لما اشتهر يوسف للبيع تزايد الناس فى ثمنه فدفعوا له أولا زنته فضة وزنته حريرا قال قتادة وكان وزن يوسف ذلك الوقت أربعمائة رطل فلما اشتراه قطفير أخذه ومضى به الى منزله فقال كما أخبر الله عز وجل وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكساه عشرين حلة من الملون وألبسه تاجا مرصعا بأنواع الجواهر وكان قطفير لا يصبر عن رؤيته ساعة واحدة قال وهب بن منبه أقام يوسف فى دار قطفير عزيز مصر سبع سنين حتى بلغ مبلغ الرجال فشغفت به زليخا امرأة العزيز قطفير وراودته عن نفسه قال السدى ان قطفير كان عنينا لا يأتى النساء وكانت زليخا ذات حسن وجمال فلما تزايد بها الشغف بيوسف صبرت حتى أن يوسف دخل عليها وهى فى قصرها فقامت وأغلقت أبواب القصر وقالت هيت لك أى هلم لما أدعوك اليه فقال يوسف معاذ الله أى أعوذ بالله مما تدعيننى اليه ان زوجك سيدى وقد أحسن مثواى فلا أخونه فى أهله قال الله عز وجل ولقد همت به أى هم فعل وهم بها أى هم ترك لولا أن رأى برهان ربه قال بعض المفسرين ان يوسف لما هم بزليخا تمثل له أبوه يعقوب وهو عاض على أصبعه وفى رواية أنه رأى جبرائيل فنهاه عن ذلك وقال له ان فعلت ذلك محوت اسمك من ديوان الانبياء فعند ذلك خرج هاربا فوجد الابواب مغلقة فلما رجع همت به زليخا ثانيا وهم بها فأوحى الله الى جبرائيل أن أدرك عبدى يوسف قبل أن يقع فى المعصية فهبط اليه جبرائيل وقال يا يوسف تعمل بعمل الخائنين وأنت مكتوب فى ديوان المتقين فقام وبادر الى الباب هاربا ووقع له مثل ذلك ثالثا فولى هاربا ونجاه الله كما قال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فلما ولى هاربا فى ثالث مرة أدركته زليخا عند الباب وتعلقت بقميصه فقدته من دبر ومنعته من الخروج فبينما هما كذلك واذا بقطفير قد دخل عليهما فرآهما واقفة ويوسف بجانبها فبادرته هى بالكلام فقالت ما جزاء من أراد بأهلك سوأ يعنى زنا ثم انها خافت على يوسف من قطفير أن يقتله فقالت الا أن

يسجن أو عذاب أليم أي يضرب بالسياط فلما سمع يوسف كلامها قال هي راودتني عن نفسي ففررت منها فأدركتني فقدت قميصي فلما رأى قطفير هذه الواقعة تفكر فيما اذا يصنع وصار ينظر الى زليخا مرة والى يوسف مرة وكان في القصر طفل صغير في المهد وعمره سبعة أيام وهو ابن داية زليخا فنادى بأعلى صوته أيها العزيز ان لك عندي فرجا فانظر ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر عرف أن هذا من خيانة زوجته قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم ثم التفت الى يوسف وقال له يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين قال الزمخشري كان قطفير رجلا حليما وكان قليل الغيرة على عياله وكان عنينا لا يقرب النساء فلاجل ذلك لم يشدد عليها في هذه الواقعة وأيضا كان شيخا شنيع المنظر وعمره نحو من مائة سنة فرأى زليخا معذورة لجمال يوسف وحسنه فكان لها عذر عنده وقد قيل في المعنى

تقول لي وهي غضبى من تدللها * وقد دعتني الى شيء فما كانا
كان ايرك من شمع رخاوته * فكلما حركته نحوها لانا

قال بعض الحكماء من أقام بأرض بغداد سنة كاملة وجد زيادة في علمه ومن أقام بأرض الموصل سنة كاملة وجد زيادة في عقله ومن أقام بأرض حلب سنة كاملة وجد في نفسه شحا ومن أقام بأرض دمشق سنة كاملة وجد من نفسه فطانة وشجاعة ومن أقام بمصر سنة كاملة وجد في طبعه قلة الغيرة وقيل في المعنى

ما مصر للامنزل مستحسن * فاستوطنوه مشرقا ومغربا
هذا وان كنتم على سفر به * فتيمموا أرضا صعيدا طيبا

قال السدي ولما اشتهرت زليخا امرأة العزيز بحب يوسف وشاع أمرها قال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن فحضر منهن جماعة كثيرة من نساء الوزراء والحجاب فأقعدتهن على المراتب الحسان وأعطت كل واحدة منهن سكينا وأترجة وصحفة فيها عسل وقالت لهن بحقي عليكن اذا أمرت عليكن الفتى العبراني يعني يوسف فالتطعمه كل واحدة منكن لقمة من الاترج والعسل فقلن لها سمعا وطاعة ثم ان زليخا قالت ليوسف اعلم أنك ان خالفتني في جميع ما قلته لك فما هذا شأن العبودية والآن أريد أن أزينك بأحسن الزينة وأخرجك على هذه النسوة اللاتي عندي ولا تخالفني فقال افعلي ما بدا لك فألبسته الحرير واللؤلؤ وتوجته بتاج من الذهب مرصع بالجواهر وقالت له اخرج عليهن فخرج وهو مشرق بالنور أحسن من الولدان والحور فلما رأته

النساء أكبرنه وقطعن أيديهن من الدهشة والنظر وقلن حاش لله ماهذا بشرا ان
هذا الا ملك كريم فقالت لهن زليخا فذلكن الذى لمتننى فيه وقد قيل فى المعنى

لما تبدى على العشاق مبتسما ❋ وحارت الناس طرا فى معانيه
فقلت قول زليخا فى عواذلها ❋ فذلكن الذى لمتننى فيه

فلما اندهشت النسوة قطعن أيديهن بالسكاكين وهن يحسبن انهن يقطعن الاترج
وهن لا يشعرن بألمهن فلما رجعت النسوة الى بيوتهن صرن لا يصبرن عن رؤية يوسف
ولا ساعة واحدة وهن متفكرات بيوسف وهن يقلن يوسف يوسف وأزواجهن
يضربونهن بالسياط فلا يبالين به قال وهب بن منبه كانت النسوة اللاتى افتتن
بيوسف أربعين امرأة فماتت منهن تسعة نسوة وجدا بيوسف قال لما خرج يوسف على
النسوة قلن له أطع مولاتك فيما تقول لك فقالت زليخا ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن
وليكونن من الصاغرين فلما رأى يوسف ان زليخا لا ترجع عنه قال رب السجن أحب
الى مما يدعوننى اليه والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين
فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن الآية فلما شاع أمر زليخا فى المدينة خشى
العزيز على نفسه من كلام الناس فامر بسجن يوسف فسجن قال السدى لما
توجهوا بيوسف الى السجن قيدوه وأركبوه حمارا ونودى عليه فى الاسواق هذا جزاء
من يخون سيده ويوسف يقول السجن أحب الى مما يدعوننى اليه فلما حبس يوسف
كانت زليخا لا تهجع ولا تصبر ولا تنام ليلا ولا نهارا ولا تأكل ولا تشرب حتى نحل
جسمها وصارت مثل العود البالى فلما طال الامر على زليخا أخذت فى أسباب التسلى
فكانت تقول لنفسها اذا كان هذا شابا صغيرا فزع من المعصية وخاف من ربه ان
يعصيه واختار السجن فكيف وأنا امرأة كبيرة لا أخشى من المعصية فكانت تتسلى
بعض التسلى بمثل ذلك وأما يوسف فانه لما سجن صار يتأنس بالمسجونين ويتحدث
معهم وكان جبرائيل يأتيه فى كل شهر يزوره ويبشره بأنه سيصير ملكا ثم جاء مرة
ومعه ياقوتة من يواقيت الجنة وقال له يا يوسف ابتلع هذه الياقوتة فابتلعها فكانت
علامة لتعبير الرؤيا قال السدى لما كان يوسف فى الجب كان جبرائيل يأتى اليه
فى كل يوم مرة ويؤانسه فى الكلام ولما كان فى السجن كان جبرائيل يأتى اليه فى كل
شهر مرة فقال يوسف الهى لقد كنت فى الجب فى راحة وأنا فى السجن فى تعب وبكاء
فأوحى الله اليه يا يوسف الجب كان باختيارى والسجن باختيارك حيث تقول رب
السجن أحب الى مما يدعوننى اليه قال السدى ان الملك الريان كان من العمالقة
وقد انفرد بملك مصر دون غيره وكان له عدو بأرض اليمن فبعث ذلك العدو الى ساقى
الملك الريان والى طباخه سما قاتلا وبعث صحبة السم مالا جزيلا وقال لهما ان أنتما

دستيا السم على الملك الريان ومات فلكما عندي مال كثير اضعاف ما أرسلت اليكما فأخذ الساقي والطباخ في أن يسما الملك رغبة فيما وعدهما به عدو الملك وأراد كل منهما ان يتلف صاحبه ليفوز بقتل الملك لاجل المال فجاء الساقي الى الملك الريان وقال له اياك من الطباخ فانه وضع لك السم في طعامك ثم جاء بعده الطباخ وقال له اياك من الساقي فانه وضع لك السم في الماء فعلم الملك انهما خائنان فقبض عليهما وعاقبهما فاقر له بصدق الحال وما صار فأمر بسجنهما فلما دخلا السجن كانا يجلسان بجانب يوسف ويتحدثان معه فقال له الساقي اني رأيت في المنام في هذه الليلة ثلاث طاسات من الذهب وفي كل طاسة عنقود من العنب وكأني أعصر من العنب خمرا وأسقيه الملك مرة بعد مرة ثم قال له الطباخ من بعد ذلك وأنا رأيت في منامي الليلة كأن لي ثلاث تنانير مملوءة بالنار واني خبزت خبزا ووضعته في طبق وحملته على رأسي والطير تأكل منه فكان الساقي صادقا في منامه وكان مؤمنا وكان الطباخ كاذبا في منامه وكان كافرا فسمع ذلك يوسف فقال لهما يوسف يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا ومعنى ربه أي سيده وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه فلما سمع الطباخ ذلك قال اني لم أر شيأ فقال يوسف قضي الأمر الذي فيه تستفتيان ثم بعد ثلاثة أيام أمر الملك باخراج الطباخ وصلبه فتناهشت الطيور من رأسه كما أخبر يوسف ثم بعد ذلك أمر باخراج الساقي فلما خرج خلع عليه وأعاده لما كان عليه قال لما خرج الساقي قال له يوسف اذكرني عند ربك وقل له ان في السجن غلاما محبوسا ظلما من غير ذنب فلما خرج الساقي نسي قول يوسف قال وهب بن منبه ان يوسف لبث في السجن ست سنين بعد حروف اذكرني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي يوسف لولا الكلمة التي قالها ما لبث في السجن بضع سنين قال لما لبث بضع سنين جاء اليه جبرائيل وقال له يا يوسف قد قرب الفرج من الله تعالى وذلك ان الملك الريان يرى مناما ولم يقدر احد من الناس على تفسيره ويكون ذلك سببا لخروجك من السجن ثم بعد أيام رأى الملك الريان في منامه كأن بحر النيل قد غار في الارض وطلع منه سبع بقرات سمان ثم طلع بعد ذلك سبع بقرات عجاف أي ناحلات ضعيفات أكلن تلك البقرات السمان ثم طلع من بعد ذلك سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات صفر ثم ان السنبلات الصفر التفت بالسنبلات الخضر فيبستها في الحال فانتبه من منامه مرعوبا وأمر باحضار المفسرين وقص عليهم رؤياه فلما سمعوا ذلك قالوا اضغاث احلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين فلما نام ثاني ليلة وأصبح نسي ما كان قد رآه فضاق صدره وأحضر المفسرين وقال لهم هل تذكرتم شيأ مما كنت قصصته عليكم بالامس من تلك الرؤيا فقالوا كلهم قد نسيناها وهذه الرؤيا أضغاث

أحلام فغضب الملك على المعبرين وأمر باسقاط ما كان لهم من الرواتب في ديوانه ثم ان الساقي تذكر ما قاله يوسف فجاء الى الملك وسجد بين يديه وقال هل يأذن لي الملك في تعبير هذه الرؤيا فقال الملك يا هذا قد عجز عن تعبير هذه الرؤيا المعبرون فكيف أنت تقدر على تعبيرها فقال الساقي ان في السجن غلاما من أولاد يعقوب فهو أعلم بتعبير هذه الرؤيا فأمره الملك بالتوجه الى يوسف فمضى الساقي الى السجن ودخل على يوسف وقبل رأسه واعتذر اليه وقال له والله يا سيدي قد نسيت هذه المدة ولم أذكرك الا في هذه اليوم وهو أن الملك رأى في منامه رؤيا قد عجز عن تفسيرها المعبرون ثم ان الملك نسي ما رآه من تلك الرؤيا فقال له يوسف ان الملك رأى ما هو كذا وكذا فذهب الساقي وأخبر الملك بما قاله يوسف فتعجب الملك من ذلك وأمر باحضاره وهو قوله تعالى ائتوني به استخلصه لنفسي الآية ثم ان الملك ارسل فرسا وخلعة وتاجا وأمر الوزراء والحجاب بأن يمضوا الى السجن ويمشوا بين يدي يوسف وأرادوا ان يخرجوه فأبى يوسف ان يخرج وقال لا أخرج حتى تظهر براءتي بين الناس ثم قال للوزراء والامراء ارجعوا الى الملك فاسألوه ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن بالسكاكين فلما رجع الرسول وأخبر الملك بما قاله يوسف أمر بالسؤال من امرأة العزيز قطفير والنسوة اللاتي قطعن أيديهن فقلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين فلما عرف الملك براءة يوسف زاد تعظيمه ثم ان يوسف لما أراد ان يخرج من السجن بكت أهل السجن قاطبة لفراقه فدعا لهم عندما خرج ثلاث دعوات مستجابات فقال اللهم عطف على المسجونين قلوب العباد اللهم ادفع عنهم شدة الحر والبرد وأتهم بالاخبار في كل يوم من سائر البلاد ثم كتب على باب السجن هذا قبر الاحياء ثم ان يوسف اغتسل ولبس الثياب التي أهديت له من الملك الريان وركب ومشت بين يديه الوزراء والامراء والحجاب وسار في موكب عظيم حتى وصل الى قصر الملك فدخل عليه وسلم بالعربية عليه فقال الملك ما هذا اللسان فقال هذا لسان عمي اسمعيل بن ابراهيم خليل الله قال وهب بن منبه كان الملك الريان يتكلم بسبعة ألسن فكان كلما تكلم بلسان أجابه يوسف به ثم ان الملك اجلس يوسف بجانبه وقال له من أنت قال أنا يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الله ونحن من أرض كنعان فقال من أدخلك السجن قال زليخا امرأة العزيز لاجل اني لم أطاوعها على الزنا فأعجب الملك كلامه وحسن وجهه وكان ليوسف لما خرج من السجن نحو ثلاثين سنة ثم ان الملك قال ليوسف قد رأيت في المنام رؤيا ونسيتها فقال له يوسف أيها الملك لقد رأيت سبع بقرات سمان طلعت من البحر ثم طلع بعدها سبع بقرات عجاف فافترسن

تلك البقرات السمان ومزقن جلودهن ورأيت سبع سنبلات خضر مثمرات وسبع سنبلات صفر يابسات غير مثمرات التففن على تلك السنبلات الخضر وصارت أصولهن فى الماء فهذا ما رأيته ثم انتبهت من منامك فقال الملك انها لهى الرؤيا التى رأيتها بعينها فمن أخبرك بذلك فقال أخبرنى بها جبرائيل رسول رب العالمين فقال له الملك وما ترى فى هذه الرؤيا أيها الصديق فقال له يوسف ستأتيكم سبع سنين مخصبة ثم يأتيكم من بعدها سبع سنين مجدبة فقال له الملك وما التدبير فى ذلك فقال يوسف ازرع وازرعا كثيرا فى السنين المخصبة ثم احصدوه وذروه فى سنبله وقصبه وكذلك جميع الحبوب وابنوا لها مخازن كبارا فيكون القصب علفا للدواب والحب قوتا للناس قال الملك ومن يتولى هذا التدبير كله قال يوسف للملك اجعلنى على خزائن الارض اى أرض مصر انى حفيظ عليم ثم ان الملك عزل قطفير وكان شيخا كبيرا وولى يوسف عوضا عنه وعاش قطفير بعد عزله شهرا ومات فلما تولى يوسف على مصر عدل فى الاحكام وخضع له الجميع من الخاص والعام فكان يركب فى كل سبعة أيام مرة وفى خدمته الامراء والوزراء والحجاب وكان يركب معه من العسكر نحو الالف غير المشاة وقد قال الله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض اى أرض مصر وقد قيل فى المعنى

وراء مضيق الخوف متسع الامن ❊ وأول مفروح خلاص من الحزن
فلا تيأسن فالله ملك يوسفا ❊ خزائنه بعد الخروج من السجن

قال السدى لما جلس يوسف على سرير الملك فوض اليه الملك الريان أمر الديار المصرية شرقا وغربا فلما تم أمر يوسف فى الحكم أوحى الله اليه بأن يجعل ذلك الطفل الذى شهد له وهو فى المهد بالبراءة وزيرا ولا يضيع شهادته له فاتخذه وزيرا وألبسه خلعة وأركبه فرسا ونودى عليه فى الاسواق هذا جزاء من شهد بالحق ثم ان يوسف الصديق جد واجتهد فى أمر الزرع بزيادة العادة وبنى يوسف المخازن وسماها الاهرامات وخزن بها الغلات وآثار تلك المخازن باقية الى الآن فى جهات الفيوم وغيرها من البلاد واستمر على خزن الغلال فى قصبه وسنبله سبع سنين وهى السنين المخصبة فلما مضت ودخلت السنين المجدبة والعياذ بالله وقع الغلاء والقحط واشتد البلاء بالناس قال فلما دخلت السنين المجدبة أول من جاع الملك الريان فانتبه من منامه نصف الليل وهو يصيح الجوع فأتاه الطباخ بالمائدة فقال له الملك الريان من أعلمك بأنى جائع حتى جئتنى بطعام من غير ان يعلمك احد بى فقال أعلمنى بذلك يوسف فلما أكل وفرغ جاع فى الحال وذلك حكمة من الله تعالى اذا وقع القحط والغلاء فان النفس دائما تأكل ولا تشبع قال فمس يوسف الصديق بيده بطن الملك الريان

أذهب الله تعالى عنه الجوع قال وأما أهل مصر فكانوا يأكلون ولا يشبعون فباعهم يوسف الصديق القمح في أول سنة بالذهب والفضة والنحاس حتى لم يبق شئ من ذلك ثم في السنة الثانية باعهم القمح بالجواهر والحلي ثم باعهم في السنة الثالثة بالمواشي والدواب حتى لم يبق لاحد شئ ثم باعهم في السنة الرابعة بالعبيد والجواري حتى لم يبق شئ وفي السنة الخامسة بالضياع والاملاك حتى لم يبق لاحد شئ ثم باعهم في السنة السادسة بالاولاد والنساء حتى لم يبق شئ ثم باعهم في السنة السابعة بالنفوس جميعا حتى لم يبق في مصر من كبير وصغير من رجل أو امرأة الا وصار في رق يوسف فعند ذلك اجتمع يوسف بالملك الريان وقال له في أشهدك أني اعتقت جميع ما سار الي بالرق من أهل مصر ورددت عليهم أموالهم وضياعهم وأملاكهم جميعا قال السدي ان يوسف الصديق كان لا يشبع بطنه في تلك الايام وكان يقول أخاف ان شبعت أنس الجائع وكان يأمر طباخه ان يؤخر غداءه الى نصف النهار وقال الكسائي لما كان أواخر السنة السابعة من سنين القحط فرغ القمح من عند يوسف الصديق والغلال فكان الناس اذا نظروا الى وجهه يشبعون برؤية وجهه فكانوا يقصدونه بكرة وعشية لرؤيته فتغنيهم عن الزاد الى بقية العام السابع حتى أدرك الزرع فاكتفوا عنه قال السدي لما وقع القحط بمصر جاءت زليخا الى يوسف ومعها خادم يقودها فانها عميت وطرشت وافتقرت وذهب جمالها فلما أقبلت على يوسف عرفها فقال لها أأنت زليخا قالت نعم قال لها فأين حسنك وجمالك قالت قد ذهب ذلك كله ولم يبق منه شئ فقال لها يوسف كيف حال محبتك لي فقالت باقية لم تتغير ولم أحد اطعم العمى والفقر ألما من كثرة الشغف بك وقيل ان زليخا وقفت ليوسف وهو سائر في موكبه فنادته سبحان من جعل العبيد ملوكا بطاعتهم وجعل الملوك عبيدا بمعصيتهم فقال يوسف لغلمانه انطلقوا بهذه العجوز الى الدار فانطلقوا بها فقال لها ما تريدين مني واذا بجبرائيل عليه السلام يقول يا يوسف ان الله تعالى يأمرك أن تتزوج بزليخا قال له يوسف كيف أتزوج بها وهي عجوز عمياء فقال له جبرائيل ان الله تعالى يرد عليها بصرها وجمالها فعند ذلك تزوج بها يوسف وأسلمت على يده ورد الله لها حسنها وجمالها وبصرها فكانت أحسن ما كانت عليه فوجدها بكرا ثم ان زليخا قعدت مع يوسف الصديق أربعين سنة ورزق منها بولدين وهما افرايم ومنشا قال ولما وصل الغلاء والقحط الى أرض كنعان قال يعقوب لاولاده اذهبوا الى مصر واشتروا الغلال من صاحب مصر فتجهزوا للسير وأخذوا معهم بضائع يتجرون بها مثل عسل وزيت وصابون وغير ذلك فلما دخلوا الى مصر ودخلوا الى دار العزيز نظروا الى القصر الذي فيه يوسف فرأوه وعلى رأسه ألف غلام وبأيديهم أعمدة الذهب وكان

يوسف اذا جلس في موكبه يضع على وجهه برقعا مكللا بأنواع الجواهر فلما وقفوا
بين يديه عرفهم وهم له منكرون قال يوسف للترجمان سلهم من أين هؤلاء فقالوا له
من أرض كنعان أولاد يعقوب فقال يوسف قل لهم كم أنتم فقالوا اثنا عشر ولدا وقد
ذهب واحد منا ولم نعلم له أثرا فقال يوسف لحاجبه ارفعهم الى دار الضيافة فاقاموا بها
ثلاثة أيام لم يأذن لهم بالانصراف ولم يبعهم شيأ فقال لهم يهوذا قد أعاقنا الملك ومن
خلفنا أكباد جائعة وعيال ضائعة فدخل الحاجب على يوسف وأخبره بما قال يهوذا
فقال يوسف قل لهم يأتوني بأخيهم من أبيهم وكتاب من أبيهم يشهد لهم بأنهم أولاده
والا فلا كيل لهم عندي ولا يقربون قال السدى ان يوسف أوفى لهم الكيل
وأعطاهم الثمن الذى أخذه منهم ثمن الغلال ووضعه في رحالهم ثم قال لهم دعوا بعضكم
يكون عندي رهينة حتى تأتوني بأخ لكم من أبيكم فلما سمعوا ذلك قالوا من يقعد منا
رهينة فأقرعوا بينهم فأصابت القرعة أخاهم شمعون فتركوه عند العزيز ورجعوا الى
بلادهم فلما وصلوا الى أبيهم قالوا يا أبانا انا قد قدمنا على ملك مصر فأكرمنا وأوفى لنا
الكيل وأخبروه برهن أخيهم شمعون عند الملك حتى نأتيه بأخ لنا من أبينا فارسله
معنا فقال لهم يعقوب هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل قال ولما
فتحوا متاعهم وجدوا اثمان الغلال التى أعطوها ليوسف رجعت اليهم فقالوا يا أبانا
ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا فارسل معنا أخانا بنيامين فقال لهم أبوهم لن أرسله معكم
حتى تؤتوني موثقا من الله لتأتنني به فلما آتوه موثقهم فعند ذلك قال يعقوب والله على
ما نقول وكيل والموثق اليمين قال السدى لما أرادوا أن يتوجهوا الى مصر قال لهم
يعقوب يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة قال قتادة ان يعقوب
خشى على أولاده من العين لانهم كانوا من ذوى الحسن والجمال ملاح الهيآت فامرهم
أن يدخلوا متفرقين قال فلما دخلوا مصر من حيث أمرهم أبوهم اجتمعوا فدخلوا
على يوسف وهو جالس على سريره في قصره وقالوا أيها العزيز هذا الطفل الذى
امرتنا ان نأتيك به فقال لقد أحسنتم وأصبتم ثم انه أمر بالموائد فحضرت فأجلس كل
اثنين من أم على مائدة فبقى بنيامين وحيدا فبكى فقال له الملك لاى شئ تبكى فقال لو
كان أخى يوسف حيا لجلست معه فقال له الملك عند ذلك اذ كنت وحيدا فأنا أحق
بك وأنزلك عندي في هذا القصر وآكل معك فلما انصرفوا وبقى بنيامين عند الملك
قال له لا تخف وكشف يوسف البرقع عن وجهه وقال له أنا أخوك فلا تبتئس
أى لا تخف فعند ذلك تعانقا وتباكيا ثم قال له سأحتال على أخذك من اخوتك ثم ان
يوسف أوفى لاخوته الكيل وجعل سقايته في رحل أخيه بنيامين كما أخبر الله تعالى
في القرآن العظيم قال كعب الاحبار ان السقاية كانت مشربة من ذهب مرصعة

بالجواهر والمواقيت وقيل انها من الزمرد الاخضر فلما قصدوا أن يرحلوا ابلادهم أشاع الملك ذهاب السقاية واتهمهم بها فقال لهم الحاجب ألم يحسن الملك اليكم ألم يكرمكم قالوا بلى قال وكيف تأخذون سقايته وقد فقدت من حين دخلتم عليه ولا يمكن أن يسرقها أحد غيركم قالوا تالله ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين فقال لهم الحاجب فما جزاءه من أخذها منكم ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد فى رحله أن يقيم عند المسروق منه سنة كاملة فى الاسر وكان ذلك جائزا فى شريعة يعقوب فقال الحاجب لابد أن نفتش الرحال فأتوا بها الى يوسف فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ففتشها فلم يجد بها شيأ فلم يبق الا وعاء بنيامين الصغير فقال يوسف هذا غلام صغير وما أظنه يسرق ولا يأخذ شيئا قالت اخوته والله لا نترك رحله بلا تفتيش حتى يطيب خاطرك علينا فلما فتشوه وجدوا فى رحله السقاية فنكس يوسف رأسه واظهر الحياء فأقبل أولاد يعقوب على أخيهم بنيامين ووبخوه بالكلام وقالوا يا ابن راحيل لا يزال لنا منك البلاء والعناء ثم قالوا ليوسف ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم قال السدى اختلف جماعة من العلماء فى سرقة يوسف التى عيره بها اخوته فقالوا انه أخذ يوما بيضة من بيت عمته وأعطاها لسائل كان واقفا على بابها وقال قتادة ان يوسف كان قد أخذ صنما من الذهب كان لجده ابى أمه وألقاه فى بئر انتهى قال فلما ظهرت السقاية أحضرها يوسف بين يديه وضربها بقضيب كان معه ثم ادنى اذنيه منها فقال انها تخبرنى بخبر عجيب بانكم كنتم اثنى عشر ولد ليعقوب وانكم انطلقتم باخيكم فبعتموه بثمن بخس فلما سمع بنيامين قام ودعا للملك وقال ايها الملك استخبر الصواع هل يوسف حى ام لا فضربه وأصغى باذنه وقال انه حى يرزق وسوف يظهر ثم قال الملك امضوا الى ابيكم واتركوا اخاكم عندى سنة كما هو شرعكم فقالوا أيها الملك ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده قال كبيرهم يعنى شمعون ألم تعلموا ان أباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله لتأتننى به فكيف نلقى وجه ابينا بغير أخينا وقد اخترت ان اقيم بمصر حتى يحكم الله برد اخى وهو خير الحاكمين ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين فلما رجعوا الى ابيهم يعقوب وأخبروه بما جرى لابنه بنيامين بكى وقال بل سولت لكم أنفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم ان يعقوب دخل الى بيت الاحزان وجدد حزنه على يوسف واخيه قال السدى قد الهم الله يعقوب بتسمية ابنه يوسف واسم يوسف مشتق من الاسف لما سبق فى علمه من الازل بما جرى ليعقوب فلم يزل يعقوب يبكى حتى نشفت دموعه وجرى الدم من عينيه وابيضت

عيناه من كثرة البكاء وقيل في المعنى

لابد للاحباب من فرقة * وكل محبوب واصحابه
فمن يمت يفقد من نفسه * ومن يعش يرزء باحبابه

قال السدي كان زمن الفرقة بينه وبين ابنه يوسف سبعين سنة وفي هذه المدة لم يسله ساعة فقال له اولاده تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين قال قتادة بينما يعقوب جالس ببيت الاحزان اذ هبط عليه جبرائيل وقال له ان الله يقرئك السلام ويقول لك ان ابنك حي يرزق وقد صار عزيز مصر فان شئت ناديه بصوتك في مكان محرابك فان الريح تحمل صوتك اليه ويروى ان ملك الموت استأذن ربه في زيارة يعقوب فاذن له فزاره فقال له يعقوب ياملك الموت بالله عليك هل قبضت روح يوسف فقال لا والذي اصطفاك بالحق نبيا ماقبضت روحه وهو حي يرزق وقد قرب الفرج فعند ذلك طابت نفس يعقوب وسكن مابه قال وكان سبب بلاء يعقوب انه ذبح بقرة ولها عجل مرضع بين يديها فلم يرحمها ولم يرحمه فجعل يصيح في كل يوم على أمه ثم ان يعقوب كتب كتابا مضمونه من يعقوب نبي الله ابن اسحق الذبيح ابن ابراهيم خليل الله أما بعد فانا أهل بيت موكل بنا البلاء أما أبي اسحق فوضعت السكين على حلقه وأما جدي ابراهيم فوضع في المنجنيق وألقي في النار وأما أنا فكان لي ولد يسمى يوسف وكان أحب أولادي الي فذهب مع اخوته وأتوا بقميصه ملطخا بالدم وقالوا ان الذئب أكله فبكيت عليه من منذ ثلاث وخمسين سنة حتى ابيضت عيناي وأما ابني بنيامين فقلت انك وجدت سقايتك في رحله وحزنه عندك فنحن من أهل بيت لانسرق ولانلوذ بمن يسرق فارحم ترحم واردد علي ولدي فان فعلت ذلك فالله يجزيك خيرا وان لم تفعل ذلك دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك وقال يعقوب خذوا الكتاب واذهبوا الى عزيز مصر عسى الله ان يأتيني بهم جميعا فلما ذهبوا بالكتاب وأتوا به الى يوسف أخذه يوسف ودخل بيته وقبله وقرأه وبكى وقال لاولاده هذا كتاب جدكم ثم ان يوسف خرج وجلس على سرير ملكه وأحضر اولاد يعقوب بين يديه وقال لهم قد عفوت عن أخيكم بنيامين فما قصدكم غير ذلك قالوا أوف لنا الكيل وتصدق علينا فقد مسنا وأهلنا الضر انا نراك من المحسنين فعند ذلك رفع البرقع عن وجهه وقال لهم هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون قالوا أئنك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد منّ الله علينا وجمع بيننا ثم انه قصد ان يؤكد المعرفة بذكر المنام السابق وما فعلوه فذكرها قال السدي كان على خد يوسف خال أسود وفي وجهه شامة بيضاء تتلألأ بالنور فعند ذلك تحققوا انه يوسف ثم انه سألهم عن أبيه فقالوا له

قد

قد ابيضت عيناه ونحل جسده ثم ان يوسف أعطاهم قيصه الذي كان أتاه به جبرائيل وهو في الجب وكان من الجنة فقال اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين فقال يهوذا أنا أذهب بالقميص وافرحه به يوسف كما أني أعطيته القميص الملطخ بالدم وقد أحزنته عليه ثم ان يهوذا توجه من أرض مصر الى كنعان في سبعة أيام وارسل معه مائتي جمل محملة من الزاد والقماش وكان وصول يهوذا يوم الجمعة وكان يهوذا ايحث السير قال كعب الاحبار ان ريح الصبا استأذنت ربها بأن تأتي الى يعقوب بريح يوسف قبل ان تأتيه البشرى بالقميص فقال يعقوب لمن حوله اني لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون أي تستهزؤن قال مجاهد في تفسير هذه الآية فمن يومئذ ريح الصبا اذا هبت على عليل يجد لها راحة واذا هبت على محزون تنفس عنه الكرب قال السدي فلما جاء يهوذا بالقميص الى يعقوب وألقاه على وجهه فارتد بصيرا وعادت اليه الشبوبية وذهب عنه الحزن والبكاء وعادت اليه القوة والنشاط بعد ما قاسى الشدائد وأنشد في المعنى

جاء البشير مبشرا بقدومه ❀ فلئت من قول البشير سرورا
والله لو قنع البشير بمهجتي ❀ لوهبتها ورأيت ذاك يسيرا
فكأنني يعقوب من فرح به ❀ اذ عاد من شم القميص بصيرا

فعند ذلك قال يعقوب ألم أقل لكم اني اعلم من الله مالا تعلمون فقال له أولاده يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين وقال لهم يعقوب سوف أستغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم قال قتادة ان يعقوب أخر الدعاء لاولاده الى ليلة الجمعة الى وقت السحر لان الدعاء فيه لا يرد ثم ان يعقوب عليه السلام أخذ أولاده وعياله وتوجه الى مصر فلما وصل نزل بمدينة بلبيس وكانت مدينة كبيرة عامرة وقد ذكرها الله في التوراة وسماها أرض حاشان فلما بلغ يوسف قدوم أبيه خرج اليه هو والملك الريان وخرجت امامهما العساكر والوزراء والامراء وكان عسكره نحوا ربعمائة الف انسان فلما بقي بين يوسف ويعقوب مقدار فرسخ كشف الله عن بصره فرأى يوسف في وسط العسكر كالاسد الضاري ثم تلاقى يوسف مع ابيه على التل المعروف بالعكرشا بعد ان نزلا عن المطية وكذلك الملك الريان نزل عن فرسه فترجلت العساكر كلهم اجمعون فتعانق يوسف مع ابيه وبكيا حتى غشي عليهما لما أفاقا قال له يوسف يا ابت كيف بكيت على واذهبت نفسك ألم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى ولكنني كنت اخشى ان تسلب من دينك مما قاسيت فيحال بيني وبينك وقيل لما تلاقيا قال له يعقوب يا يوسف على أي دين أنت قال يا ابت على دين ابراهيم عليه السلام ففرح يعقوب بذلك قال وهب ابن منبه لما دخل يعقوب الى مصر كان معه من اولاده واولاد اولاده اثنان وسبعون

انسانا من رجال ونساء فلا زالوا فى مصر ينمون ويتناسلون الى أيام موسى عليه السلام فلما خرج موسى من مصر فارا من فرعون كان معه من طائفة بنى اسرائيل ستمائة الف وخمسمائة وسبعة وسبعون رجلا غير النساء والاطفال فكان جملتهم قاطبة الف الف ومائة الف انسان قال السدى لما دخل يعقوب الى مصر مشى العسكر بين يديه فرسخا حتى وصل الى داره فلما وصل الى القصر ودخل رفع يوسف ابويه اى اباه وخالته وكانت أخت أمه لها عليه تربية فسميت أمه ولاجل ذلك رفعهما على سريره وأمر العسكر ان يسجدوا لهما وكان ذلك عادة أهل مصر فى التحية قال يوسف لابيه يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا قال فأوحى الله الى يعقوب لم قلت أخاف ان يأكله الذئب ولم تفوض الامر الى فلذلك فرقت بينكما ولما اجتمع يوسف بأبيه أقاموا فى مصر فى أرغد عيش اربعة وعشرين سنة فبينما هم على ذلك اذ هبط جبرائيل على يعقوب وقال له يا يعقوب قد اشتاقت اليك أرواح آبائك وقد قرب الوقت بانقضاء أجلك فكره يعقوب ان يخبر يوسف بذلك بل قال يابنى اريد ان أزور قبور آبائى ببيت المقدس فاذن له فى ذلك فخرج من مصر وخرج معه ابنه يوسف لوداعه فى العسكر ورجع هو والعسكر وأرباب الدولة قال السدى لما أراد يعقوب أن يخرج من مصر جمع أولاده بين يديه وقال لهم يابنى ماتعبدون قالوا لانعبد الا الله قال العزيزى أقام يوسف بمصر بعد موت أبيه ثلاثا وعشرين سنة فلما دنا أجله أتاه ملك الموت وهو يريد ان يركب على فرسه فلما وضع رجله فى الركاب قال له ملك الموت أخرج رجلك من الركاب فهذا وقت الانقلاب فلما أيقن يوسف بالموت قال لاخوته لاتقيموا من بعدى فى أرض مصر فانها دار الفراعنة ومسكن الجبابرة قال السدى لما توفى يوسف جعلوه فى حوض من رخام أبيض ودفنوه فى احد جانبى النيل فى الفيوم فانخسف ذلك الجانب دون الآخر فلما رأوا ذلك جعلوا ذلك الحوض فى وسط النيل بين عمودين من الصوان وجعلوا الحوض فى سلسلة من حديد وسمروها بسكك من حديد فى تلك الاعمدة فلما صنعوا ذلك انخسف الجانبان من النيل جميعا قال العزيزى توفى يوسف وله من العمر مائة سنة وقد ماتت قبل زليخا بمدة يسيرة ودفنت بمصر ولم يعلم مكان قبرها فكان كما يقال

محبتى لاتنقضى ❊ بسلوة تبطلها ❊ كأنها دائرة ❊ أولها آخرها

قال السدى ما كان فيهم نبى سوى يوسف عليه السلام ومنهم من قال كلهم أنبياء وهم الاسباط الذين ذكرهم الله فى القرآن العظيم قال السدى ان الملك الريان صاحب مصر توفى فى زمن يوسف ويقال انه أسلم على يد يعقوب وكان اسمه الريان بن الوليد بن ارسلادس وكان حسن السيرة عادلا فى الرعية وكان خراج مصر فى زمانه

الف

ألف ألف دينار ولما وقع الغلاء في أيامه أسقط عن المزارعين بأرض مصر خراج ثلاث سنين وكان من جملة فراعنة مصر انتهى قال الكسائي ان يوسف هو أول من أظهر علم الهندسة ولم يكن الناس يعرفون ذلك وهو أول من قاس النيل بمصر ووضع له مقياسا محكما وهو الذي حفر خليج المنتهى بالفيوم ومن العجائب ان الخليج لا ينقطع جريانه على الدوام ولو انقطع ماء النيل عنه وهو أول من خص بتعبير الرؤيا وأول من خزن القمح في سنبله وأول من أظهر القراطيس أي الورق البلدي قال ابن لهيعة في اخبار مصر ان يوسف عليه السلام هو الذي بنا مدينة الفيوم ودبرها بالوحي من جبرائيل وكانت أرضها مغايض الماء فدبرها حتى أخرج عنها الماء وجعل بها عشر قناطر وعمل عليها أبوابا من الحديد وبنى بها من جهة الشمال الى جهة الجنوب حائطا طوله مائتا ذراع بذراع العمل وأحكمه ليرد الماء اذا زاد النيل اثنى عشر ذراعا وكان على خليج المنتهى عدة طواحين تدور بالماء قال العزيزي وكان انتهاء العمل منها في سبعين يوما فتعجب الملك من ذلك وركب هو ووزراؤه ورأوا ما صنعه يوسف فتعجبوا من ذلك وقالوا هذه الطواحين كانت تعمل في ألف يوم فسميت من ذلك اليوم الفيوم وكانت محكمة على ثلاثمائة وستين قرية منها على مسيرة يوم من مصر وكان في الفيوم الف منبر من ذهب برسم الوزراء والحجاب يجلسون عليها في المواكب وقد سماها الله في القرآن بالمقام الكريم قال أقام يوسف مدفونا بحر النيل في خليج المنتهى نحوا من خمسمائة سنة حتى ظهر موسى عليه السلام قال السدى لما خرج موسى من مصر ومعه بنو اسرائيل أوحى الله اليه بأن يحمل معه جثة يوسف قال موسى يارب ومن يدري اين جثة يوسف فأوحى الله اليه ان عجوزا كبيرة قد ذهب بصرها تسمى سارح وهي بنت آشر بن يعقوب فهي تعرف مكان جثة يوسف فمضى لها موسى وسألها عن جثة يوسف قالت لا أدلك على مكان جثة يوسف حتى تحملني معك الى بيت المقدس وتدعو لي بأن الله يرد على سمعي وبصري فقال لها موسى أفعل ذلك ان شاء الله تعالى فدعا لها فرد الله عليها ما سألت فدلته على المكان الذي فيه جثة يوسف فأخذها من خليج المنتهى وكانت في وسط الماء فحملها معه في تابوت من خشب وتوجه بها الى بيت المقدس ودفن يوسف عند ابراهيم الخليل عليه السلام ثم ان موسى حمل معه تلك العجوز وصارت كما شرطت قال السدى فمن حين نقلت جثة يوسف من الفيوم تناقصت البركة منها في زرعها وغلالها ومواشيها قال الكسائي كان بين مولد موسى ووفاة يوسف زيادة عن خمسمائة سنة وكان مولد يوسف بارض كنعان ومولد موسى بمصر تمت قصة يوسف عليه السلام

ذكر قصة أيوب الصابر عليه السلام قال الله تعالى واذكر عبدنا ايوب الآية

قال كعب الاحبار كان أيوب من الروم وهو من ولد العيص بن اسحق بن ابراهيم
عليه السلام ولم يجئ من نسل العيص سوى أيوب وكانت زوجة ايوب تسمى رحمة
وهي بنت افرايم بن يوسف عليه السلام قال العزيزى كان أيوب نبيا في زمن
يعقوب وقد بعث الى اهل حوران من نواحي دمشق قال السدى كان أيوب في سعة
من المال وكان لا يفتر عن قرا الاضياف ويأوي الغرباء وكان يتعاطى المتجر والزرع
وله عدة اولاد وعيال كثيرة قال وهب بن منبه كان لايوب عبادات يقصر عنها
العابدون فحسده ابليس اللعين على تلك العبادات وكان ابليس في تلك الايام
لا يمتنع من الصعود الى السماء وكان يتحدث مع الملائكة وهم يثنون على ايوب خيرا
لكثرة عبادته وجوده وقراه الاضياف قال ابليس اللعين او كان ايوب فقيرا
ما عبد الله فلو سلطني الله على ماله لترك العبادة فاوحى الله الى ابليس انى قد سلطتك
على ماله فجمع ابليس جنده ومضى الى زرعه ومواشيه فلم يشعر ايوب الا وقد ثارت
نار عظيمة من تحت الارض فاحرقت جميع زرعه وهبت على مواشيه فاحرقتها عن
آخرها ثم ان ابليس اتى الى ايوب وهو قائم يصلي في محرابه فقال له ان الذى تصلى له
قد أحرق جميع زرعك وأهلك جميع مواشيك فقال ايوب الحمد لله الذى اعطاني
واخذ مني ما كان وهبني فرجع ابليس خائبا ثم صعد الى السماء فقالت له الملائكة
كيف رأيت صبر أيوب قال هو على ثقة من ربه فلو سلطني الله على أولاده لما كان يصبر
فاوحى الله اليه قد سلطتك على اولاده فمضى ابليس وحرك الدار على اولاده وعياله
فسقطت الدار عليهم فهلكوا جميعا فاتى ابليس الى ايوب وهو قائم يصلي في المحراب
على صورة دايتهم فناحت بين يديه وبكت وذهبت فقال ايوب ما الخبر فقالت قد
سقطت الدار على اولادك فهلكوا جميعا فقال ايوب الحمد لله الذى اعطى واخذ ثم
جاء ابليس في صورة خادمهم فقال له لو رأيت اولادك وقد سالت دماؤهم وتشققت
بطونهم وامعاؤهم فلا زال يقول وينوح حتى رق قلب ايوب وبكى وقال يا ليتني لم
اخلق فابتهج ابليس بهذه الكلمة ثم ان ايوب استغفر الله من ذلك وصبر واحتسب
ثم ان ابليس صعد الى السماء فقالت له الملائكة كيف رأيت ايوب قال هو على ثقة من
ربه ثم قال ابليس فلو سلطني الله على جسده لما صبر على ذلك فاوحى الله اليه انى قد
سلطتك على جسده فرجع ابليس وأتى الى ايوب فوجده قائما يصلي فدنا منه ونفخ
في انفه نفخة فاشتعل منها دماغه وقدمه وما بينهما وحصل له الم شديد بين اللحم والجلد
وكان ايوب متزوجا بثلاث نسوة فلما رأينه على تلك الحالة ذهبت اثنتان وبقيت رحمة
عنده فاتى ابليس الى اهل تلك القرية التى فيها ايوب فقال لهم أخرجوا ايوب عنكم
والا يعديكم في اجسامكم من دائه فقال أهل القرية لرحمة أخرجي ايوب عنا والا قتلناه

فحملته رحمة على أكتافها وأتت به الى خربة هنالك ففرشت تحته التراب فنام عليه قال وهب بن منبه نام أيوب على التراب مطروحا سبع سنين ولم يقرب اليه أحد سوى زوجته رحمة فكانت تذهب الى أهل القرية وتعمل لهم أشغالهم وتأتي الى أيوب بما يحصل لها من نوالهم من الخبز والطعام فجاء ابليس الى أهل تلك القرية وقال لهم لاتدعوا رحمة تدخل عليكم فتعديكم من حال زوجها فقال أهل القرية يا رحمة ابعدي بزوجك عنا والا قتلناك بالحجارة فحملته على أكتافها وذهبت به الى مكان بعيد عن القرية وفرشت تحته الرماد ووضعته عليه وجعلت تحت رأسه حجرا وقالت له يا أيوب اطلب لك العافية من الله فقال يا رحمة خولنا الله في نعمائه فنصبر على بلائه فكانت رحمة تذهب وتقف على الابواب فيطردونها ويقولون لها اذهبي عنا لاتعدينا من داء زوجك فلما بلغ بها الجهد وأضر بأيوب الجوع عمدت الى ضفيرة من شعرها فقطعتها وباعتها برغيف وأتت به الى أيوب فقال لها أيوب من أين لك هذا الرغيف فأخبرته بما كان من شعرها فلما سمع أيوب بكى بكاء شديدا وصبر (ومما) يحكى من موافاة النساء قال أبو الفرج الاصفهاني ان رجلا من العرب يقال له هدبة ابن حشوم أمر بقتله معاوية بن أبي سفيان فلما تحقق الاعرابي ذلك أرسل خلف زوجته تحت الليل فأتت اليه وهي تختال في ثوب خز والمسك يفوح منها وقدرنت الا خلاخيلها وكانت ذات حسن وجمال فلما اجتمعا جلسا يتحدثان ثم انهما تباكيا ثم نام معها وكان بينهما ما كان فلما أصبح الصباح أخرجوه من السجن ومضوا به الى القتل فالتفت الى زوجته وكانت ابنة عمه فتأمل اليها وأنشأ يقول

أقلي من التعنيف وارعي لمن رعي ❊ ولاتجزعي مما أصاب فأوجعا
ولاتنكحي ان فرق الدهر بيننا ❊ أغم القفا والرأس ليس بأنزعا

قال فلما سمعت زوجته ذلك مالت الى جدار الحائط وأخذت سكينا وقطعت بها أنفها ثم التفتت اليه وقالت له هل بقي بعد ذلك من الحسن شئ يوجب النكاح فمشى في قيوده وقال الآن طاب الموت فقتل وقال الثعلبي بينما أمشي في شوارع البصرة واذا أنا بامرأة من أجمل النساء وجها وأظرفهن شكلا وهي تقبل شيخا هرما شنيع الوجه والخلقة وهي تحادثه وتلاعبه وتضحك في وجهه وتفلي قميصه من القمل فلما رأيت ذلك دنوت منها وقلت لها يا هذه من يكون هذا الشيخ الشنيع منك قالت زوجي فقلت لها وكيف تصبرين على شناعته وقبح وجهه مع وجود حسنك وجمالك ان هذا لعجيب قالت يا هذا أتعجب من صنع الله تعالى فلعل هذا الشيخ رزق مثلي فشكر ورزقت أنا مثله فصبرت والصبور والشكور في الجنة أفلا أرضى بما رضي الله تعالى من هذا الامر فتركتها وانصرفت عنها وقد أعجزني جوابها ومما رواه معاذ بن جبل

رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو خرج من أحدكم قيح أو دم فسحته امرأته بلسانها ولم يرض عنها جاءت يوم القيامة فى تابوت من نار ويهوى بها الى قعر جهنم قال وهب بن منبه ثم ان ابليس اللعين تصوّر لرحمة زوجة أيوب فى صورة طبيب فقال لها أنت زوجة أيوب المبتلى قالت نعم قال أنا أداويه من هذه العلة بشرط انه اذا ذبح لا يسمى وان يشرب الخمر فيشفى فلما رجعت الى أيوب أخبرته بذلك فقال لها ويلك هذا ابليس اللعين فغضب أيوب على رحمة وحلف يمينا عظيما انه اذا شفى من هذه العلة ليجلدنها مائة جلدة حيث انها لم تقل لابليس ان الله يشفيه ثم ان أيوب بكى وقال الهى أنا لم أكن قط بين أمرين الا وقد طلبت رضاك فيهما دون رضائى وما شبعت من الطعام قط خوفا ان أنسى فبأى ذنب أخذتنى به فأوحى الله تعالى اليه يا أيوب هل صبرك على البلاء بتوفيقى أم بتوفيقك وأوحى الله اليه ثانيا يا أيوب لولا أنى جعلت تحت كل شعرة فى جسدك صبرا لما كنت تطيق بعض ما فى جسدك من الالم فعند ذلك قال رب انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين قال الله تعالى فاستجبنا له ونجيناه من الغم وقال تعالى فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر قال السدى لما قال أيوب رب انى مسنى الضر علم الله تعالى انه قد جزع لاجل الله تعالى فجاء اليه جبرائيل عليه السلام برمانة من الجنة وقيل بسفرجلة وقابل أيوب فقال له أيوب من أنت أيها العبد الصالح الذى أنست بك من بعد ما نفرت عنى الاصحاب والاحباب فدنا منه جبرائيل وناوله تلك الرمانة فلما أكلها ونزلت فى جوفه ذهب عنه الالم الذى فى جسده جميعه فقال له جبرائيل يا أيوب قم فقال وكيف أقوم ولم يبق لى حيل ولا قوة فأخذ جبرائيل بيده ومشى به نحو اثنتى عشرة خطوة وقال له اركض برجلك اليسرى فركض بها فظهرت له عين ماء حار ثم قال له اركض برجلك اليمنى فظهرت له هناك عين ماء بارد فقال له جبرائيل اغتسل فى الحار واشرب من البارد فلما شرب واغتسل عاد اليه حسنه وجماله وصار جسده كالفضة النقية ثم أتاه جبرائيل بحلة من الجنة وألبسه اياها وتوجه بتاج من الجنة فصار أيوب يزهو كالشمس المضيئة فعند ذلك صلى أيوب ركعتين شكرا لله تعالى على نعمه ورضائه وقد قيل فى المعنى

ماضاق بالمرء أمر فاستعد له ❊ عبادة الله الا جاءه الفرج
وما ألم بباب الله ذو تعب ❊ الا تزحزح عنه الهم والحرج

قال وهب بن منبه لما اغتسل أيوب من تلك العين تناثر عنه الالم وصار فراشا من ذهب وطار فى الآفاق فصار نعمة بعد ان كان بلاء قال السدى ان اليوم الذى اغتسل فيه أيوب وشفى كان يوم النيروز فلذلك تجد الاقباط تتراشش بالماء يوم

النيروز قال وكانت رحمة غائبة في طلب القوت لايوب فتعرض لها ابليس في الطريق وقال لها يارحمة الى متى هذا التعب والجهد العظيم في حق من لايخلص من البلاء والمرض وقد أوعدك اذاعوفي ليجلدنك مائة جلدة فلم تلتفت رحمة الى كلامه وأقبلت نحو أيوب فجعلت تطوف عليه في الفضاء فلم تجده فأخذت تنادي وتقول ياأيوب هل أكلتك السباع أم بلعتك الارض ثم ان أيوب نادى رحمة فقال لها ياجارية ماتطلبين قالت أريد الصابر قال وكان أيوب لابس الحلل وعلى رأسه التاج وعنده عين ماء وهو عند روضة في خير وعافية فاشتبه على رحمة حاله لانه كان في بلاء وعناء فلم تعرفه فقال لها أيوب هل لك في أيوب علامة تعرفينها فتأملته فقالت انك تشبه أيوب فضحك في وجهها وقال أنا أيوب وقد عافاني ربي فنزل جبرائيل وأشار الى داره فعمرت وأحيا الله تعالى له أولاده ورد عليه مواشيه وزروعه ونسى أيوب ما كان قاساه من البلاء والمحنة في السبع سنين وهو صابر وقد قيل في المعنى

كن راضيا حكم الاله ❊ عز وجل بلا وجل
وارض القضاء فانه ❊ حتم أجل وله اجل

قال السدى لما عوفي ايوب من بلائه بقي متحيرا في يمينه الذي حلفه وتوعد رحمة بالمائة جلدة فضاق صدره لذلك فأتاه جبرائيل وقال له ياأيوب خذ مائة عود من أصول السنبل واجمعها حزمة واضرب بها ضربة واحدة لرحمة فتخلص من اليمين ففعل ذلك أيوب وخلص من يمينه قال السدى واستمر أيوب في نعمة حتى مات وله من العمر ثلاث وسبعون سنة وقيل مائة سنة والله أعلم ولما مات دفن بحوران وكانت أم أيوب بنت لوط عليه السلام ولما مات أيوب سارت أولاده على سيره من العبادة والطاعة وكان أكبرهم حوميل وبعده مقبل ورشد ورشيد وبشير وكان في زمانهم ملك يقال له لام بن دعام وهو من ملوك الشام

❊ذكر قصة ذى الكفل❊ قال كعب الاحبار لما قبض الله تعالى أيوب عليه السلام تغلب على أولاده الملك لام بن دعام فأرسل هذا الملك الى اولاد ايوب ليزوجوه بأختهم بنت ايوب فأرسلوا اليه وقالوا ليس في ديننا ان نزوجك وأنت على الكفر فان احببت فادخل في ديننا فنزوجك اياها فلما سمع ذلك الملك هددهم وعزم على قتالهم فبلغ ذلك اولاد ايوب فنهم من اشار بقتاله ومنهم من اشار بمداراته بالمواعيد فعند ذلك قال حوميل بن ايوب لابد من قتاله وحربه فلما جمع الملك جنوده وبرز للقتال برز اولاد ايوب بمن معهم من المؤمنين والتقى الجيشان واقتتلا قتالا شديدا فوقعت الهزيمة في جيش حوميل بن ايوب واحتوى لام على جميع اموالهم واملاكهم وأسر من قومهم ناسا كثيرا وفيهم بشير بن ايوب فهم الملك

بصلبه ثم أمهله وامر بحبسه يريد الفدية فأراد اخوه حوميل ان يرسل له الفدية فرأى
في منامه قائلا يقول يا حوميل لا ترسل الفدية ولا تخف على اخيك وان هذا الملك
سيؤمن وتكون عاقبته الى خير فقص الرؤيا على من كان عنده ورجع عن اعطائه
الفدية فبلغ الملك لام هذا الكلام فغضب غضبا شديدا فأمران يتخذ خندقا ويجعل
فيه النار ليحرق بشير بن ايوب فعند ذلك أحضر الجنود النار واوقدوها واحتملوا
بشيرا وألقوه فيها فلم تحرقه النار فتعجب الملك لام من ذلك وقال ان هذا السحر عظيم
فقال له بشير ايها الملك لسنا بساحرين وقد كان لنا جد يقال له ابراهيم الخليل فعل به
النمروذ كذلك فلم تحرقه النار وجعلها الله عليه بردا وسلاما وكذلك يفعل الله بأولاده
فعند ذلك رق قلب الملك وعلم الحق فأسلم وآمن واجتمعوا على الاسلام فزوجوه
بأختهم وسمى الملك بشيرا ذا الكفل لانه لما أراد الملك الفدية تكفل بشير بايصال
الفدية اليه من اخوته ثم ان حوميل أرسل أخاه ذا الكفل رسولا الى جميع أهل
الشام باذن الله تعالى وكان الملك لام بين يديه يقاتل الكفار فلم يزالوا على ذلك حتى
مات حوميل ثم مات بشير ذو الكفل ثم مات بعدهم الملك لام بن دعام فتغلب على
أهل الشام العمالقة الى أن بعث الله شعيبا انتهى على سبيل الاختصار

﴿ذكر قصة نبي الله شعيب عليه السلام﴾ قال كعب الاحبار ان اسماء ملوك
مدين منهم أبوجاد وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت وهم قوم من العمالقة وقال
ابن عباس رضي الله عنه معنى أبي جاد أبي آدم خالف الطاعة ظاهرا بأكل الشجرة
ومعنى هوز اول من نزل الى الارض ومعنى حطى حطت عنه ذنوبه بالتوبة ومعنى
كلمن اكل من الشجرة ومن عليه ربه بالمغفرة ومعنى سعفص عصى آدم ربه فأخرجه
من النعمة الى النكد ومعنى قرشت اقر بالذنب وسلم من العقوبة وقال قتادة هي
اسماء ملوك اصحاب الايكة قال كعب الاحبار ان مدين بن ابراهيم عاش عمرا طويلا
وكان له امراة من العمالقة فولدت له اربعة بنين فتزوجوا وتوالدوا فصار منهم خلق
كثير فدعا مدين بكبراء نسله وجمعهم عنده وقال لهم انكم كثرتم والرأي عندي ان
تبنوا لكم مدينة كبيرة حصينة حتى لا تخافوا على انفسكم من العمالقة قال فبنوا مدينة
وحصونها وسموها باسم جدهم مدين وجعلوا فيها محلات وجعلوا لكل قبيلة محلا
فرغبت العمالقة في مجاورتهم فلم تسعهم فخرجت العمالقة من مدين ونزلوا بالايكة وهي
قرية قريبة من مدين فكان أهل مدين يعبدون الله وأهل الايكة يعبدون الاصنام
ولا يغير بعضهم على بعض وكان في المدينة رجل من عبادهم يقال له صنعون وهو والد
شعيب وكان تحت صنعون امرأة من العمالقة فولدت له ولدا وهو شعيب واسمه يبرون
لما كان غلاما وكان سبب تسميته شعيبا ان والده لما كبر سنه وضعف خاف على نفسه

من كثرة القوم فرجا أن يسعفه ولده فكان صنعون يقول اللهم بارك في شعبى اى ولدى فغلب عليه اسم شعيب فقيل له شعيب وسقط عنه الاسم الاول ثم توفى أبوه صنعون فقام شعيب مقام أبيه ووفاق بالزهد والعبادة أهل زمانه من أهل مدين واشتهر بذلك قال وكان أهل مدين أصحاب تجارات يشترون الحنطة والشعير وغير ذلك من الحبوب ويخزنونها عندهم ويتربصون بها الاجل الغلاء فهم أول المحتكرين وكان لهم مكيالان مكيال واف لاجل الشراء ومكيال ناقص لاجل البيع وميزانان أيضا كذلك فمكثوا على ذلك مدة وشعيب لا يعاشرهم ولا يداخلهم وكان له غنم ورثها عن أبيه يأكل من لبنها حلالا طيبا فبينما هو جالس على باب داره يذكر الله اذ أقبل عليه رجل غريب فسلم عليه وقال ياشعيب أنت رجل صالح وانى اشتريت من رجل مائة كيل من الطعام بمائة دينار فأخذتها واكتلتها فنقصت عشرين كيلا والتمس من شعيب أن يساعده عليهم فعند ذلك توجه شعيب معه الى القوم فسألهم عن قضية المشترى فقالوا ألم تعلم ياشعيب ان ذلك سنتنا نأخذ بالوافر ونعطى بالناقص فقال شعيب ليس هذا من سنة الله فاتقوا الله وأعطوا الرجل حقه فلما رأوه على غير سنتهم سبوه وكذبوه وجفوه

﴿مبعث شعيب عليه السلام﴾ فنزل عليه جبرائيل فى الحال فقال له السلام عليك فقال له وعليك السلام من أنت فأخبره جبرائيل ان الله اطلع على سريرته ويأمره ان يكون رسولا الى أهل مدين وأصحاب الايكة وغيرهم ممن يعبد الاصنام ويأمرهم بطاعة الله ويحذرهم بأسه ونقمه وينهاهم عن عبادة الاصنام وبخس المكيال والميزان فتوجه شعيب الى ما أمره الله به حتى أتى الى القوم فقال ياقوم اعبدوا الله وحده واتركوا عبادة الاصنام فان الله أرسلنى اليكم لانهاكم عن معصيته وأحذركم نقمه وانهاكم عن بخس المكيال والميزان وذلك قوله تعالى ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان فقالوا ياشعيب لم نكن نترك ما يعبد آباؤنا أو ان نفعل فى أموالنا ما نشاء وليس معك حجة وقد عرفناك وعرفنا أباك ولو شئنا الاخرجناك ولكنا لانفعل ذلك حتى نجتمع نحن وبنو اسرائيل ونشكو لهم سوء فعلك قال فانصرف عنهم بعد كلام كثير ثم عاد اليهم فى اليوم الثانى وقد اجتمعوا ومعهم ملكهم أبو جاد فوقف عليهم وخطب ونهاهم عن عبادة الاصنام وبخس المكيال والميزان فقال له قومه ما نفقه كثيرا مما تقول ثم عاد اليهم فقالوا انا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز قال فأخذ القوم بالاستهزاء فقال اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا انى معكم رقيب قال وأقبل عليه سادات قومه من أهل

مدين والايكة وقالوا ياشعيب انك رجل ترجع الى حسب ونسب والى عفاف عرفناك به فان كنت تريد الرياسة والاموال شاركناك بها واترك ذكر آلهتنا الا بخير فقال لا أريد منكم شيأ من ذلك وانما اريد ان انصحكم وان لا تعبدوا مالا ينفعكم ولا يضركم وان تعطوا كل ذى حق حقه فعند ذلك احتمله القوم جميعا وجاؤا به الى أبي جاد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت واجتمع الناس ليسمعوا ما يجرى بينهم فأمرهم شعيب ونهاهم وحذرهم فذكر لهم ما نزل بقوم نوح من الغرق و بقوم هود من الريح و بقوم صالح من الدمدمة و بقوم ابراهيم من الزلازل والبعوض و بقوم لوط من الانقلاب وارسال الحجارة عليهم فقال كلمن ياشعيب ان كان الامر كما تقول فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين قال الكسائي لما انصرف شعيب أتاه وزير من وزراء الملوك وآمن به سرا وكتب عنده شعرا قاله حين أسلم

شعيب بن صنعون أتى برسالة ❊ وخص بها من دون رهط أبي عمرو
بحق أتاهم صادقا فغدوا به ❊ وجاؤا عليه بالعظيم من الكفر
فلما رأيت القوم صدوا وأعرضوا ❊ عن الحق والانذار ضاق بهم صدرى
فجئت شعيبا تابعا ومصدقا ❊ لارجو ثواب الله فى آخر العمر

ثم بعد ذلك قالوا كلهم ياشعيب ألك حجة فيما تقول قال نعم قالوا ان نطقت الاصنام بصدق ماتقول تكن قد جئت بالحق ورضى القوم بذلك لانهم ظنوا ان اصنامهم لا تنطق بمثل ما يريد شعيب فتقدم شعيب الى الاصنام فقال من ربكم ومن أنا فتكلمى باذن الله تعالى فأنطقها الذى انطق كل شئ فقالت الاصنام ربنا الله و رب كل شئ وخالقنا وخالق كل شئ وأنت ياشعيب رسول الله ونبيه وتنكست عن سررها ولم يبق منها صنم جالس الا تنكس فلم يصدقوه فأرسل الله على قوم شعيب ريحا كادت تنسفهم نسفا فبادروا مسرعين الى منازلهم من شدة الريح وآمن بشعيب فى ذلك اليوم خلق كثير رجال ونساء فأرسل الملك يهدد من آمن فقال شعيب لا تخافوا فأمر الملك أبو جاد اعوانه ان يترصدوا شعيبا ومن آمن به و يقتلوهم فعند ذلك قال شعيب ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين واذا بريح قد هاجت عليهم فيها حر وكرب لا طاقة لهم بها فرمى القوم أنفسهم فى الآبار والسراديب ودام عليهم مدة وهم لا يزدادون الا عتوا ونفورا وشعيب يحذرهم فيقولون هذا من فعل آلهتكم فاصبروا فارسل الله عليهم الذباب الازرق يلدغهم كلدغ العقارب وربما قتل أولادهم وشغلهم الله بأنفسهم عن اذى شعيب ومن آمن به وهم لا يؤمنون فهبت عليهم ريح السموم فكانوا ينتقلون من مكان الى مكان ليجدوا لهم فرجا من الكرب وشعيب يناديهم الى اين تهربون فليس لكم الا التوبة فيقولون ياشعيب نحن نكفر

بك و بربك فزدنا مما نحن فيه واذا بسحابة سوداء قد اظلتهم فنصبوا لهم ظلة واستظلوا بها جميعا فاظلمت الارض عليهم حتى صاروا لا يبصر بعضهم بعضا واشتد عليهم الحز فاوحى الله الى شعيب ان اخرج أنت وقومك واعتزلهم وانظر كيف يحل عذابي بهم ثم زمت السحابة بوجهها وحرها وضربت القوم بعضهم في بعض وأضرمت فأحرقت جلودهم وأكبادهم وجميع ما كان على وجه الارض والمؤمنون ينظرون اليهم ولم يصل شئ من العذاب الى المؤمنين فذلك قوله تعالى ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة يعني صيحة جبرائيل فأصبحوا في ديارهم جاثمين فأقبلت أخت الملك كلمن وكانت قد آمنت بشعيب فأبصرت أهلها فوجدتهم قد نضجت جلودهم وجاء شعيب فقسم أموالهم على قومه المؤمنين وتزوج بامرأة من المؤمنين ورزقه الله رزقا حسنا ولم يزل مقيما بأرض مدين حتى كف بصره وجاء موسى فتزوج بابنته انتهى على سبيل الاختصار

﴿ قصة موسى بن عمران عليه السلام ﴾ قال وهب بن منبه لما أمات الله الريان بن الوليد ملك مصر وكان مكرما عند بني اسرائيل وكانوا يعبدون الله علانية فملك بعده ابنه سنجاب قال وكان بمصر رجل يقال له مصعب يرعى الغنم وكان له من العمر مائة وسبعون سنة ولم يرزق ولدا فرأى بقرة وضعت عجلا فسدها فانطق الله البقرة فقالت يا مصعب سيولد لك ولد ذكر ويكون من أركان جهنم فواقع زوجته فحملت بفرعون ومات مصعب قبل ولادة زوجته فلما ولدت من بعده أتت بالوليد بن مصعب فلما كبر وبلغ سلمته أمه الى النجارين فتعلم صنعة النجارة وأتقنها ثم ولع بالقمار ولم يكن له صبر عنه فعاتبته أمه بذلك فقال يا أمي كفي عني فاني عون نفسي فلزمه هذا اللقب فلم يكن يعرف الا بعون فلا زال يقامر و يغلب حتى لم يبق عليه ثوب فتستر بخرقة لا تواريه فاستحى من الناس فهرب على وجهه فقيل فرعون وغاب مدة ورجع فرأى لزوم هذا الاسم له فقالت له أمه هل تريد أن تشتغل بالنجارة قال لها لا أرضى الا بما تريده نفسي فوجد معه درهما فاشترى به بطيخا وجلس على قارعة الطريق ليبيعه واذا بعريف الطريق طلب منه درهما فقال فرعون يا هذا ليس معي الا شئ قيمته درهم فقال أمر الملك أن يؤخذ من كل بائع درهم فغضب فرعون وخلا رحله ومضى وجعل يدور بأرض مصر ينقب ويسرق فيهرب مرة ويحبس مرة فاتفق ان رجلا من العمالقة ركض به فرسه فلم يقدر أن يضبطه فوثب فرعون الى الفرس وضبطه بلجامه وأوقفه فقال العملقي يا فرعون أراك قويا لو أقمت عندي لاتخذتك سائسا فرضي فرعون وأقام عند العملقي مدة يخدمه حتى مات العملقي ولم يخلف أحدا من الورثة فاحتوى فرعون على جميع ماله وحمله الى أمه ولم يزل فرعون ينفق من ذلك المال

حتى نفد منه فوقع في قلب فرعون أن يقعد على باب مقابر مصر و يطالب أرباب الجنائز بشئ و يظهر أنه بأمر الملك فلم يزل كذلك مدة حتى بسط له بساطا وجعل له خادما وكان الناس يعطونه فجمع من ذلك مالا عظيما حتى مات للملك بنت فتعلق بجنازتها فرعون فاخبروا الملك بذلك فاستدعاه فحضر ودعا للملك وقص عليه قصته فهم الملك بقتله فافدى نفسه بمال جزيل فطابت نفس الملك بالمال وأراد أن يقره على عمله فنهته أرباب دولته وقالوا له هذا أمر قبيح فعله وذكره بين الملوك مذمة فقال فرعون للملك انى قوى على أن يكون أمر الحرس في يدى وكان الملك كثير الاعداء فخلع الملك عليه وجعله أمينا على الحرس فاتخذ فرعون قبة في وسط البلد وجعل له أعوانا للحرس شداد البأس قال فرأى الملك في منامه أن عقربا اسود له شعاع قد ملأ المدينة لدغ الملك فأفاق الملك من منامه مرعوبا فركب بالليل وقصد وزيرا من وزرائه ليخبره بما رأى فرآه فرعون فأخذه الى القبة فقص الملك لفرعون ما رأى فعند ذلك أخذ فرعون سيفا وقتل الملك سرا وركب فرعون وقصد قصر الملك فجلس على السرير ووضع التاج على رأسه وفتح الخزائن واستدعى بالوزراء وأصلحهم بالمال ودانواله فأول من دخل عليه وسجد بين يديه هامان وكان غلاما لسنجاب قال كعب الاحبار أول من سجد بين يديه ابليس اللعين وأول من سماه الها ورباثم سجد هامان والوزراء والاعوان والكهنة ثم بعث فرعون الى اسباط بنى اسرائيل فدعاهم الى الطاعة فأقبلوا وسجدوا بين يديه وقصدوا بالسجود سر الله المعبود قال فجاء ابليس على الصورة التى سجد بها لفرعون فقال أيها الملك أنا أتخذ لك صنما تنفرد به ولقومك أصناما فقال افعل مابدا لك وأمر فرعون باتخاذ الاصنام و بعبادتها وكان بنو اسرائيل يعبدون الله سرا

قصة آسية بنت مزاحم

قال كعب الاحبار ان آسية كان أبوها مزاحم قد تزوج بأمها في الليلة التى اقترن سعد الكواكب بالزهرة فحملت امرأة مزاحم بآسية فرأى مزاحم في منامه كأن شجرة خضراء خرجت من ظهره واذا بغراب قد انقض عليها وقال أنا صاحب هذه الشجرة فانتبه مزاحم وقص ذلك على بعض صلحاء المعبرين فقال ترزق جارية حسناء صديقة وتكون عند رجل كافر وترزق الشهادة فلما ولدت آسية وصار لها من العمر عشرون سنة واذا هى بطائر مثل الحمامة وفي فمه درة فرمى بها في حجر آسية وقال يا آسية خذى هذه الخرزة فاذا اخضرت فهو أوان تزويجك واذا احمرت فهو وقت الشهادة ثم طار الطائر فأخذت الخرزة وربطتها على عضدها وأخذت في العبادة واشتهر أمرها بالخيرات فوصفت لفرعون فأحب أن يتزوجها فخطبها من أبيها فاغتم أبوها لذلك وقال ان ابنتى صغيرة فكذبه فرعون فقال مزاحم اجعل لها

مهرا فأبى فرعون فتلطفوا بفرعون الى أن أرسل اليها خلعة ومهرا فتلطفوا بها لاجل مداراة فرعون وقال لها أنت على دينك وهو على دينه وكان قد أمهرها عشرة آلاف أوقية من الذهب ومثلها من الفضة وبنى لها قبة عظيمة وجعل لها جواري كثيرة وأمر بذبح البقر والغنم فلما صارت عند فرعون دخل عليها وهم بها فلم يقدر على ذلك وكان هذا حاله معها فرضي بالنظر منها فقط

ذكر الآيات التي رآها فرعون قال فبينما هو نائم في قبة آسية اذ سمع هاتفا يقول ويلك يا فرعون قد قرب زوال ملكك ويكون على يد فتى من بني اسرائيل قال فرعون أما سمعت يا آسية قالت نعم (آية أخرى) بينما هو ذات يوم نائم على سريره واذا بشاب قد دخل عليه من غير حجاب وتحت الشاب أسد عظيم وبيده عصا وهو يضرب بها رأس فرعون وهو يقول انظر نفسك وأين من أنت وأخذه برجله ورماه في البحر فلما أفاق استدعى بالمعبرين وقص عليهم القصة فقالوا أجلنا فأجلهم فلما خرجوا قال بعضهم لبعض هذه الرؤيا تدل على هلاكه فلما جاؤه خافوا منه فقالوا له أضغاث أحلام (آية أخرى) فلما كانت الليلة الثالثة رأى ذلك الشاب قد أتاه وتلك العصا بيده فضرب بها رأسه وقال له ويلك يا فرعون ما أقل حياءك من الله السموات والارض ثم رأى بعد ذلك ان آسية صار لها جناحان فطارت بهما بين السماء والارض ودخلت في السماء وهو ينظر اليها ورأى الارض قد انفجرت فادخلته فيها فانتبه مرعوبا فجمع الكهنة وقص عليهم رؤياه فقالوا ان هذه الرؤيا تدل على مولود يولد ويسلب ملكك ويزعم انه رسول اله السماء والارض ويكون هلاكك وهلاك قومك على يديه

حديث قتل الاطفال فاستشار فرعون وزراءه وقومه فاشاروا أن يجعل على الحبالى حرسا فكل من حملت تحمل الى داره ويكون ولادتها هناك فان كان ذكرا قتله وان كانت انثى تركها ففعل ذلك حتى قتل اثنى عشر ألف طفل فضجت الملائكة الى ربها وقالوا الهنا وخالقنا أنت الفعال لما تريد فأوحى اليهم ان لهذا الامر اجلا ممدودا فبشرهم بموسى وحمل أمه به وكان فرعون أمر وزراءه وأرباب دولته أن لا يفارقوه لان الكهنة قالت له ان هذا المولود يكون من أقرب الناس اليك وكان عمران من جملة أرباب دولته الممنوعين عن مفارقته أيضا فبينما عمران جالس على كرسيه اذ رأى زوجته وقد حملها ملك وجاء بها الى جانب عمران فواقعها وفرعون نائم لم يشعر فحملت تلك الليلة بموسى عليه السلام ثم اغتسلا من حوض في دار فرعون واحتملها الملك وذهب بها الى مكانها وكل ذلك تحت الليل ولم يعلم بذلك أحد من الناس وكان فرعون عين نساء يطوفون في البلدة فكانوا يطوفون على النساء جميعا الا امرأة عمران لم يدخلوا عليها لعلمهم ان عمران لا يفارق فرعون فلما تم لحمله تسعة أشهر

أخذها الطلق في نصف الليل ولم يكن عندها أحد الا أخته فوضعته ووجهه بالنور يتلألأ ففرحت به وهي مكروبة خائفة عليه فتنكست الاصنام على رؤسها وأصبح فرعون مغموما مهموما فجد في طلب المولود واتفق ان الوزير هامان وقع في قلبه ان الولادة في بيت عمران فأخذ معه الاعوان ودخل الى دار عمران فجعل هامان يفتش الدار حتى لم يترك شيأ ونظر الى التنور فرآه يفور نارا ورأى العجين بجانبه فلم يشك بذلك وخرج وكانت أم موسى غائبة في حاجة لها خارج الدار فلما رجعت رأت هامان وهو راجع فأخذها الرعب على موسى فدخلت الى الدار ونظرت الى التنور فوجدته يفور بالنار وكانت لما خرجت وضعت موسى في التنور وجعلت عليه آلة الوقود حتى لا يراه أحد عند دخوله فجعل الله عليه النار بردا وسلاما فنظرت أم موسى في التنور فوجدت ابنها سالما فأخرجته وأرضعته ولما بلغ عمره تسعين يوما أوحى الله الى أمه اذا خفت عليه ضعيه في تابوت وألقيه في اليم ولا تخافي انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فأقبلت امه الى نجار بمصر يقال له سونام وقالت اصنع لي تابوتا طوله كذا وعرضه كذا وأحكمه لئلا يدخل اليه الماء ولا يخرج منه فصنعه وأتقنه وسلمه الى أم موسى فعند ذلك أرضعت موسى وكحلته ودهنته ووضعته في التابوت وهي باكية حزينة وكان أبوه قد مات وعمره أربعون يوما وأخذت التابوت ورمته في بحر النيل نصف الليل فأمر الله الملائكة بحفظه هذا وفرعون مشدد الطلب في أمر النساء والاطفال ولم يكن له هجوع قيل انه بقي التابوت في الماء أربعين يوما وقيل ثلاثة ايام وقيل يوما واحدا وهو الاصح

﴿ذكر دخول التابوت لدار فرعون﴾ قال وكان لفرعون بنت برصاء وعجزت الاطباء عن مداواتها فقال الطبيب ايها الملك ليس لها دواء الا الاغتسال كل يوم بماء النيل فاتخذ خليجا من النيل الى داره واتفق ان ذلك التابوت قذفته الامواج باذن الله حتى أدخلته الى دار فرعون فبادرت البنت وأخذت التابوت وفتحته فاذا فيه موسى فأخرجته بيدها فحين لمسته برئت من علتها وأقبلت بالتابوت الى آسية وذكرت لها قصته وكيف دخل وكيف شفيت به فاخرجته آسية وقبلته وهي لا تعلم انه ابن عمها فمضت به الى فرعون وقصت له قصته وكيف شفيت به البنت فقال يا آسية أخاف ان يكون هذا المولود عدوي ولابد من قتله فقالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وامهل به فهو عندك فمتى تبين انه عدوا قتله ﴿قصة رضاعه﴾ ثم انهم عرضوا عليه المراضع فلم يقبل ثم ان امه قالت لاخته كلثم اخرجي وخذي خبر اخيك فخرجت الى آسية لتأخذ خبره واذا هو في حجر آسية فقالت كلثم أنا ادلكم على من يكفله لكم وذهبت الى امها واخبرتها بذلك فقامت من ساعتها

ودخلت على فرعون وموسى بين يديه فعرفتها آسية انها امراة عمها فقالت لها اعرضي عليه لبنك فلما اخذته امه ووجد رائحتها ارتضع منها فقال فرعون ارى لك لبنا غزيرا فهل لك من ولد قالت وهل ترك الملك لاحد ولدا فظن ان ولدها قتل مع من قتل ولم يعلم انها امراة عمران فقالت لها آسية احب ان تكوني عندي فأقامت عندها سنتين حتى استغنى عن الرضاع فلما همت امه على الانصراف امرت لها آسية بحمل من الذهب والثياب الفاخرة وذهبت غنية مستبشرة

(عجائب موسى صلى الله عليه وسلم) فلما صار لموسى ثلاث سنين اقعده فرعون في حجره فمد موسى يده الى لحية فرعون ومعط منها خصلة فاغتاظ فرعون غيظا شديدا وقال هذا عدوي وهم بقتله فقالت له آسية ليس للصغار عقل ولا معرفة وانا آتيك بدليل وامرت باحضار طشت وجعلت فيه تمرة وجمرة وقدمته الى موسى فمد يده الى التمرة فحول جبرائيل يده الى الجمرة فرفعها الى فيه فأحرقت لسانه وأخذ بالبكاء الشديد فسكن غيظ فرعون (آية أخرى) فلما تم لموسى سبع سنين كان قاعدا مع فرعون على سريره فقرصه فرعون فنزل موسى عن السرير غضبان وضرب برجله قوائم السرير فكسر منه قائمتين فسقط فرعون فانهشم أنفه وسال الدم على وجهه فهم بقتله فقالت آسية ألا يسرك أن يكون لك ولد بهذه القوة يدفع عنك أعداءك فسكن غضبه (آية أخرى) فلما صار لموسى من العمر اثنا عشر سنة قعد يوما على المائدة وعليها جمل مشوي فقال موسى له قم باذن الله فقام قائما على المائدة ففزع فرعون من ذلك ودخل على آسية فأخبرها بذلك فقالت ألا يسرك أن يكون لك ولد يأتي بمثل هذه العجائب فسكن غضب فرعون (آية أخرى) فلما أتى على موسى ثلاث وعشرون سنة خرج يوما وتوضأ ووقف يصلي فقال رجل من خواص الملك يا موسى لمن تصلي قال لسيدي ومولاي فقال الرجل تعني أباك فرعون قال على فرعون لعنة الله وعليك معه وكان ذلك دأب موسى بأمر فرعون وكل من أتى ليخبر فرعون بما يشتمه به موسى سلط الله عليه فرعون قبل الاخبار فمنهم من يقتله ومنهم من يقطع يده ومنهم من يحرقه بالنار (آية أخرى) لما علم أهل مصر انه من أراد ان يوشي للملك بما يفعل موسى يتسلط عليه ويضره قبل أن يوشي امتنعوا من أن يخبروا فرعون بشئ من فعل موسى الا بالجميل قال فلما صار لموسى أربعون سنة وبلغ أشده وكان موسى يذكر لبني اسرائيل ما عليه فرعون من الضلالة وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويبغض أهل الكفر (حديث القبطي) وكان طباخا لفرعون فاشترى حطبا فربه فتى من بني اسرائيل ممن كان يجالس موسى فجذبه القبطي ليحمل الحطب فامتنع واستنصر بموسى فقال موسى خل سبيله فأبى القبطي فوكزه موسى في صدره فمات فندم موسى على قتل

القبطي خوفا من الله فقال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له فلما أصبح في اليوم الثاني صار موسى خائفا من فرعون لان فرعون علم بذلك الامر فبينما موسى خائف يترقب واذا الذي استنصره بالامس يستصرخه على قبطي آخر ابن أخي المقتول وكان هذا القبطي يطالب الاسرائيلي بدم عمه ويريد أن يأخذه الى فرعون فطلب الاسرائيلي من موسى أن يعينه على القبطي فقال موسى للاسرائيلي انك لغوي مبين أغويتني بالامس حتى قتلت رجلا وتريد اليوم أن تغويني لاقتل آخر ففزع الفتى من كلامه وعلم ان موسى ندم على مافعل بالامس وعلم القبطي ان الاسرائيلي لم يقتل عمه وانما قتله موسى فأطلق القبطي الاسرائيلي وجاء الى فرعون وأخبره ان موسى قتل عمه فأرسل فرعون في طلب موسى وأذن لاولياء المقتول أن يقتلوا موسى حيث وجدوه وكان رجل يسمى حزقيل مؤمنا من آل فرعون لما سمع ذلك أتى موسى وقال له ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فخرج موسى خائفا الى نحو أرض مدين حافيا بغير زاد متوكلا على الله تعالى

(قصة موسى لما كان بأرض مدين) فلما وصل موسى الى مدين في اليوم السادس وجد رعاة الغنم على بئر يسقون غنمهم واذا بامرأتين تذودان وهو قوله تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان فقال موسى ماخطبكما قالتا لانسقي حتى يصدر الرعاء وباقي الماء لمواشينا وأبونا شيخ كبير نبي هؤلاء القوم وهم يحسدونه على ما آتاه الله وكان الرعاة اذا فرغوا من السقي يضعون حجرا كبيرا على راس البئر لئلا يقدر أحد على فتحه خوفا على أخذ شئ من الماء فصبر موسى حتى وضعوا الحجر وانصرفوا فقال موسى للمرأتين قربا اغنامكما الى الحوض ثم تقدم ورفع الصخرة عن رأس البئر بيده ولا يقدر على رفعها الا جم غفير أي رجال كثيرة وذلك مع ضعفه وجوعه فسقى لهما ثم تولى الى الظل تحت شجرة كانت هنالك فقال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير فتمنى موسى في ذلك الوقت قرصا من خبز الشعير فلما أتت المرأتان الى أبيهما وهو نبي الله شعيب فقال لهما انكما جئتما بسرعة وكان موسى قد سقى لهما فقصتا عليه خبر موسى فقال شعيب لاحداهما وكانت شديدة الحياء اذهبي فأتيني به فأقبلت الى موسى وقالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا فقام موسى معها فكانت تمر بين يديه فكشف الريح عن ساقيها فقال لها موسى تأخري الى خلفي ودليني على الطريق فتأخرت فكانت تقول له عن يمينك عن يسارك قدامك حتى دخل مدين الى بيت شعيب فأذن له شعيب بالدخول فدخل فسلم عليه وجلس بين يديه فسأله شعيب ما الذي جاء بك الى أرض مدين فقص عليه موسى كما قال تعالى فلما جاءه وقص عليه القصص قال لاتخف نجوت من القوم الظالمين فدعا

شعيب بالطعام فاكل وحمد الله تعالى فقالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين فكان من قوته رفع الحجر عن البئر وكان لا يرفعها الا جمع من الرجال وكان من أمانته تأخير المرأة عنه لئلا ينظرها فقال شعيب يا موسى انى أريد أن انكحك احدى ابنتى هاتين على ان تأجرنى ثمانى حجج فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك فرضى موسى وقال ذلك بينى وبينك ايما الاجلين قضيت من الثمانى أو العشر فلا عدوان على أى لا سلطان على فرضى شعيب قال فجمع شعيب المؤمنين من أهل مدين وزوجه ابنته صفورا بحضرتهم ثم أدخله عليها فلما أراد موسى الانصراف مع الغنم قال له شعيب ادخل الى هذا البيت وخذ عصا فدخل موسى ونظر الى عصى معلقة فأخذ من جملتها عصا حمراء قال شعيب أرنى هذه العصا التى أخذتها يا موسى فلما لمسها شعيب قال ضعها مكانها وخذ غيرها وأرنى ما أخذت ففعل موسى ذلك مرارا فكان كلما وضعها وأخذ غيرها فلا يخرج بيده الا تلك العصا فقال شعيب يا موسى خذها فهى من أشجار الجنة أهداها الله لآدم يا موسى وانى لموصيك بها فاحفظها وان أهل مدين يحسدونى فيدلونك على مكان لا ماء فيه ولا مرعى فاعلم ذلك فخرج موسى بغنم شعيب وكانت أربعمائة شاة فما زالت تزيد مع موسى حتى صارت أربعين ألفا وكان لا يجسر أحد من الرعاة أن يسقى قبل موسى قال فلما بلغ موسى الثمانى حجج قال له شعيب مهما جاء من الغنم ذكور فى السنة التاسعة فهى لك وفى السنة العاشرة اناث فهى لك فأتت الاغنام فى التاسعة بذكور خلص وفى العاشرة باناث خلص فسبحان الرزاق العليم فأخذ الجميع موسى

خروج موسى من أرض مدين فلما عزم موسى على الانصراف بكى شعيب وقال يا موسى كنت مباركا على فكيف تخرج بابنتى وقد كبرت وضعف بصرى وكثر حسادى وغنمى شاردة بغير راع فقال موسى طالت غيبتى عن أمى وأخى وخالتى وقد تركتهم فى بلد فرعون فقال شعيب أكره أن امنعك عن أملك وهذه ابنتى معك نعم الصاحب لك فكن بها شفيقا ونعم الرفيق أنت وهى واوصاها كذلك وودعاهما قال فسار موسى بأهله وولده وغنمه يريد أرض مصر فلما قرب الى وادى طوى بقرب الطور وكان آخر النهار وقد هبت الرياح وسكب المطر وعظم البرد فأنزل موسى أهله وضرب الخيمة على جانب الوادى وكانت امرأته حاملا فأخذها الطلق فى الحال فجمع موسى حطبا وأخرج زنادا ونمرها فلم تور شيأ واجتهد فلم يحصل شرر فرمى بها وخرج من الخيمة متحيرا فى أمر النار فاغتم لذلك فنظر على بعد فاذا هو بنار تلوح فتوجه فى طلبها فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة يعنى من عند الشجرة ولم تكن نارا بل نورا فنودى يا موسى انى أنا ربك فاخلع

نعليك انك بالوادي المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى الى قوله تعالى وما تلك بيمينك ياموسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى وهذه المآرب كان يعلق عليها كساءه ويستظل بها ويقاتل بها السباع ويعلق عليها زوادته قال الله تعالى القها ياموسى فالقاها فاذا هي حية تسعى فلما رآها ولى مدبرا ولم يتعقب فلما هرب قال له جبرائيل أتهرب من ربك ياموسى وهو يكلمك فرجع موسى الى موضعه والحية بحالها قال الله تعالى خذها ولا تخف فادخل يده في كمه ليأخذها بكمه لانه خائف ان تلدغه فقال جبرائيل ان أذن الله في لسعها لك لا يغني كمك فاخرج يده فاخذها فاذا هي عصا قال الله تعالى واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء فمد يده الى تحت ابطه فخرجت بيضاء من غير برص آية أخرى مع العصا فآنس موسى وذهب عنه الخوف وقال ياموسى انا اخترتك لرسالتي لابعثك الى عبد من عبيدي بطر نعمتي وتسمى باسمي وعبد غيري قال موسى رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي الآية قال الله تعالى لقد أوتيت سؤلك ياموسى (قيل) لما اشتد بابنة شعيب الطلق سمع بذلك سكان الوادي من الجن فاجتمعوا اليها وأوقدوا عندها النار وقبلوها حتى وضعت وانصرفوا عنها فلما رجع موسى حمد الله وشكره وتوجه الى مصر قال سخر الله لابنة شعيب راعيا من أرض مدين فعرفها فحملها الى أرض شعيب فلم تزل عنده حتى فرغ موسى من أمر فرعون فبلغ ذلك شعيبا فرد الى موسى زوجته

﴿ذكر دخول موسى الى مصر﴾

فأوحى الله الى هارون أخي موسى بقدوم موسى وهو يومئذ وزير فرعون وكان فرعون لا يفارقه ليلا ولا نهارا فأوحى الله اليه في المنام ان أخاك موسى قدم من أرض مدين رسولا وأنت شريكه في الرسالة الى فرعون فانتبه هارون خائفا وظن انه من الشيطان وعاد الى منامه فعاد اليه القائل كذلك ثلاث مرات ثم قال له قم الى أخيك وكانت الابواب مغلقة فاحتمله الملك الى قارعة الطريق وقال له امض ياهارون واستقبل أخاك فكان الريح يلقي الى موسى كلام هارون والى هارون كلام موسى حتى اجتمعا فبشره موسى أخاه هارون بالرسالة ثم أقبلا يريدان أمهما فقال هارون اني أخاف أن يعلم بنا أحد فقال موسى لا تخف قد قال الله تعالى انني معكما أسمع وأرى فلما وصلا الى باب أمهما قرعا الباب ودخلا ليلا فلما رأت أمهما أنهما اجتمعا عندها غشي عليها فلما أفاقت قص موسى عليها قصته جميعها وانه رسول الله الى فرعون وقومه فسجدت لله شكرا فبات موسى تلك الليلة عند أمه فلما كانت الليلة الثانية أخذ

موسى عصاه ومضى فما كان يضرب بها بابا الاوفتح حتى فتح كذا وكذا بابا حتى صار فى
قبة فرعون فالتقاه نائما وأخوه عند رأسه جالس على كرسى فلما رآه هارون قام اليه
وقال ياموسى أفى مثل هذا الوقت وفى مثل هذا المحل يكون الكلام اذهب فكل
مقام له مقال فذهب موسى هذا وفرعون نائم لا يشعر فلما أصبح الصباح اتى موسى الى
فرعون فمن القوم من عرفه ومنهم من لم يعرفه فاخبر الناس فرعون بقدوم موسى
فقالوا رجل طويل أسمر كث اللحية عليه جبة صوف وفى رجليه نعل مخصوف وفى يده
عصا حمراء فعند ذلك اصفر وجه فرعون وارتعدت قوائمه وخاف خوفا شديدا فأمر
هامان أن يحبس موسى وقال فرعون لاخيه هارون لاى شئ لم تعلمنى عن مجىء موسى
فقال أيها الملك خفت ان أشوش عليك بخبره والآن هو فى حبسك فاحضره بين
يديك واسأله فيما جاء

﴿مخاطبة موسى لفرعون﴾

قال فزين فرعون قصره وكشف عن جواهر سريره واستدعى بكبراء قومه وأوقف
هارون عن يمينه وهامان عن شماله على العادة وأحضر موسى فكانت تقول بنو
اسرائيل لاشك بأن يقتل فرعون موسى فلما حضر موسى قال له فرعون تجاهلا من
أنت قال موسى انا عبد الله ورسوله وكليمه قال فرعون ياموسى انك عبد فرعون وابن
عبده وابن أمته قال موسى ان الله أعز من أن يكون له ند لا اله الا هو وقال فرعون الى
من أرسلك ربك قال موسى اليك والى أهل مصر قال فرعون فيم أرسلت قال ليقولوا
لا اله الا الله وحده لا شريك له وانى موسى عبده ورسوله وهذا أخى هارون معى رسولا
اليكم انزل ياأخى و بلغ رسالة ربك فنزل هارون عن كرسيه وقال يافرعون انا رسولا
ربك اليك لتؤمنوا بالله وحده ولا تشركوا به شيأ فبهت فرعون وتحير لما قال هارون
ذلك لانه كان عنده بمنزلة عظيمة فعند ذلك غضب وقال لوزيره انزع ما كان على
هارون ومن لباسه فجردوه عن أثوابه فبقى عريان ولم يبق عليه شئ غير لباس عورته
فنزع موسى مدرعته وألبسها لاخيه هارون فقال فرعون لوزيره هامان خذهما اليك
واذكرهما نعمتى وتربيتى وماصنعته معهما من الجميل فجاء بهما الى منزله وأكرمهما
فصار يعظهما هامان و يتطلف بهما ليدخلهما فى طاعة فرعون وهما يعظانه ليدخلاه
فى طاعة الله فلم يقدر أحد من الفريقين على اطاعة صاحبه قال فاحضرهما فرعون
بعد ذلك وقال ياموسى ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين الآية الى
قوله تعالى وجعلنى من المرسلين اليك وقال موسى يافرعون جعلت بنى اسرائيل
عبيدا لك تذبح أبناءهم وتستحيى نساءهم فجلس فرعون وكان متكئا فغضب وقال
فأت بآية ان كنت من الصادقين فاضطربت العصا فى كف موسى فألقاها فاذا هى
ثعبان مبين فلما رآها فرعون ومن حوله فروا هاربين فكان لهم ضجة عظيمة

فكان أول من هرب فرعون وتبعه القوم فقال ان هذا السحر عظيم فارسل فرعون فاحضر السحرة ووعدهم بمال جزيل ان كانوا هم الغالبين فجمعوا حبالا وعصيا فجعلوا بين كل حبلين عصا وبين كل عصاوين حبلا واجتمع الناس من المدينة والمدائن اللاتى حولها فكانوا خلقا عظيما وكان ذلك اليوم يوم الزينة فاحضروا موسى وهارون فكانت الحبال والعصى يمشى بعضها فى بعض وجاؤا بسحر عظيم فامتلا الوادى من الحيات فصارت تركب بعضها بعضا فأوجس فى نفسه خيفة موسى فأوحى الله اليه لاتخف انك أنت الاعلى فالق مافى يمينك تلقف ماصنعوا فالقى موسى عصاه فصارت حية لها سبعة رؤس فابتلعت جميع تلك الحبال والعصى وجميع زينة القوم فوقع الخوف بين القوم فوقف فرعون ووزراؤه على تل عال لينظر آخر ماتفعل الحية فاخذت الحية نحو القوم فولوا هاربين فقال كبير السحرة وكان مكفوف البصر هل تجدون العصا منفوخة أم لا فقالوا على حالها لم تتغير فقال لو كان فيها سحر لانتفخت ولكنه صادق بانه رسول الله فآمنوا وقالوا آمنا برب موسى وهارون ثم خروا سجدا لله رب العالمين فامر فرعون بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وأمر بصلبهم أجمعين فقالوا يافرعون نرضى بعذاب الدنيا فانه ينقضى ولانرضى بعذاب الآخرة فانه لاينقضى وكانوا سبعين رجلا

ذكر الآيات التسع قال الله تعالى وأرسلنا عليهم الطوفان فدام عليهم ثمانية أيام بلياليها فكانوا لايرون فيها شمسا ولاقمرا حتى امتلأت الدور والاسواق ماء فاخذت الارض فى الخراب فجاء القوم الى فرعون فقال لهم انصرفوا انا أكشفها عنكم فدعا فرعون بموسى وسأله أن يدعو برفع الطوفان فدعا موسى الله تعالى فرفع الله الطوفان وكان موسى قد دعا الله برفعه رجاء أن يؤمن فرعون فلما لم يؤمن أرسل الله عليهم الجراد فاكل أشجارهم وزروعهم ودام عليهم ثمانية أيام ففزعوا الى فرعون فاوعدهم بصرفه عنهم فدعا فرعون بموسى وقال ان صرفت الجراد نؤمن بك فدعا موسى ربه رجاء ايمانهم فارسل الله على الجراد ريحا باردة فهلك الجراد عن آخره فلم يؤمنوا فارسل الله عليهم القمل فاكل جميع مافى بيوتهم وجميع ماعلى الارض ووقع فى ثيابهم فقرضها وقرض أبدانهم وشعورهم فضجوا الى فرعون فضرفهم ثم دعا بموسى ووعده بالايمان فدعا موسى ربه فصرفه عنهم فلم يؤمنوا فارسل الله عليهم الضفادع فكانت أشد بلاء لانها كانت تقع فى طعامهم وقدورهم وبين ثيابهم وفرشهم وكان لها رائحة كريهة فبقوا على ذلك ثمانية أيام فرجعوا الى فرعون وفرعون رجع الى موسى فدعا موسى ربه فى كشف ذلك فصرفه الله عنهم وأرسل اليهم مطرا فجرفها الى البحر فلم يؤمنوا فاوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك النيل فضربه موسى

فصار دما عبيطا فاشتد بهم العطش حتى أشرفوا على الهلاك فكان يمضى الفرعونى والاسرائيلى الى النيل الى موضع واحد فيغرف الفرعونى منه فيكون دما و يغرف الاسرائيلى ماء فلم يؤمنوا فضمن فرعون لموسى ايمانهم فدعا الله فكشفه عنهم فلم يؤمنوا فكان ذلك أربعين يوما بين كل آيتين ثمانية أيام ثم ان موسى قال يارب انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا الآية فكان الدعاء من موسى والتأمين من هارون فأوحى الله اليهما انى قد استجبت دعوتكما فاستقيما على رسالتى فطمس على كثير منهم فاصبح بعض من الرجال والنساء والصبيان حجارة وكذلك أسواقهم وما كان فيها فذلك قوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فى التفسير كان أول الآيات العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والبحر حين صار يبسا ثم أخرج عمر خريطة فيها دنانير ودراهم وجواهر وحنطة وشعير وأرز وحمص وعدس وماش ولوبية وقد مسخ جميعه وقت الطمس

﴿حديث قتل الماشطة وقتل آسية رحمة الله عليهما ورضوانه﴾ قال وكان لبنت فرعون ماشطة فكان يوضع تحتها البنت فرعون كرسى من الذهب والمشط من الذهب تمشطها به اذ وقع المشط من يدها يوما فقالت تعس من كفر بالله فغضبت البنت وأخبرت فرعون فغضب وأحضر الماشطة فاستخبرها فقالت وحق الحق أنا مؤمنة باله موسى فعند ذلك أمر بالقاء الماشطة الى الارض و بتسمير يديها ورجليها بمسامير فى الارض وأتى باولاد الماشطة فقال فرعون ان آمنت بى أطلقتك والاذبحت أولادك على صدرك فابت فذبح أولادها على صدرها وهى تقول الحمد لله ثم بعد ذلك وضعها فى صندوق من حديد محمى بنار فماتت فى ذلك الصندوق وكان معدا لمن آمن بالله فيحميه و يضع فيه من آمن بالله الى أن يموت فرأت آسية الملائكة تنزل من السماء وتتباشر بقدوم المشطة على ربها وبايديهم الكرامات لها فقامت آسية من وقتها وساعتها وقالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله وكان فرعون مغموما على قتل الماشطة فلم يشعر الاو آسية عنده حاسرة عن وجهها وهى كالولهانة فقالت له ياملعون الى كم أصبر وأنت تقتل أولياء الله حتى وصلت الى الماشطة ولم ترع حقها ياملعون الى كم تأكل رزق الله وتكفر به ولا تشكره والى كم ترى من الآيات ولم تعتبر فصاح فرعون فاجتمع اليه وزراؤه وحجابه فقال انظروا الى فعل موسى وهارون كيف فعل بنا وبقومنا و باهلنا وأفسدهم علينا بسحره ولم أبال بسحره ولكن صعب على حال آسية لكرامتها عندى ولا أدرى كيف وصل اليها سحر موسى فسألها فرعون أن ترجع الى أمها ليذهب ما بها من الجنون فابت فجعلوا يتلطفون بها فجاءت أمها

ونصحتها فأبت وهي توحد الله وتشهد أن موسى رسوله فقالت الوزراء لفرعون ان لم تقتلها أفسدت عليك جميع قومك فأمر فرعون فصنع بها مثل ما صنع بالماشطة فنزل في الحال جبرائيل فبشرها بالجنة وناولها كأسا فشربت منه وبشرها بأنها تكون زوجة محمد صلى الله عليه وسلم في الجنة فماتت من غير تألم رضي الله عنها وأرضاها

﴿حديث غرق فرعون في البحر﴾ روي أن الله تعالى أهبط جبرائيل على صورة آدمي حسن اللباس فدخل على فرعون فقال له فرعون من أنت فقال عبد من عبيد الملك جئتك مستفتيا على عبد من عبيدي ملكته من نعمتي وأحسنت اليه كثيرا فاستكبر علي وبغى وجحد وتسمى باسمي وادعى في جميع ما أنعمت عليه انه له وأني لست المنعم عليه قال فرعون بئس ذلك العبد من عبد قال له جبرائيل فما جزاؤه عندك قال جزاؤه أن يغرق في هذا البحر قال له جبرائيل أسألك ان تكتب لي بخطك ذلك فكتب له فأخذه جبرائيل وخرج الى موسى فأخبره بذلك وقال يا موسى ان الله يأمرك أن ترحل عن موضعك فنادى موسى في بني اسرائيل وأمرهم بالرحيل فارتحلوا وهم يومئذ ستمائة ألف فلما سمع فرعون بارتحال موسى وقومه نادى في جنوده فاجتمعوا وكانوا لا يحصون لكثرتهم ولحقوا موسى لانهم اعتقدوا انه هرب فلحقوه فأدركوه فقال بنو اسرائيل يا موسى ادركنا فرعون بجنوده فقال موسى كلا ان معي ربي سيهدين فأوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فكان كل فرق كالطود العظيم وصار فيه اثنا عشر طريقا للاسباط الاثني عشر وجعلوا يسيرون ويرى بعضهم بعضا وموسى بين أيديهم وهارون من ورائهم حتى دخلوا البحر جميعهم فأقبل فرعون وهامان عن يمينه ووزراؤه وجنوده خلفه فنظر الى البحر والى تلك الطرق فوجدها يابسة فحدثته نفسه في الدخول وعدمه وهم بالدخول فأبت فرسه من الدخول واذا بجبرائيل عليه السلام راكب رمكة فدخل في أثره فرس فرعون طمعا في الرمكة قال فدخلوا أجمعون فرعون وقومه حتى لم يبق منهم أحد على الساحل فانطبق عليهم الماء واذا بجبرائيل عليه السلام ومعه الصحيفة التي كتبها فرعون فأعطاها له فلما قرأها علم أنه هالك قال فلما استيقن فرعون بالهلاك قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل الى قوله آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية يعني أنجى الله جثته وأخرجها الى البر لان بني اسرائيل كانوا في شك من غرقه فعلمت بنو اسرائيل انه غرق وغرقت قومه أجمعون وأورثهم الله أرضهم وديارهم ﴿ثم أن الله تعالى أوحى الى موسى أن يسير الى الارض المقدسة فان فيها قوما يعبدون الاصنام وهي أرض فيها مواضع الانبياء فأمر موسى قومه بالمسير معه اليها فقالوا يا موسى ان الله

بعثك وآخر جلت الينا ليخيبنا من فرعون والآن تحملنا ما هو أشق علينا من فرعون ومعنا النساء والصبيان والزمنى والمشايخ وتلك البلاد مفاوز وليس معنا زاد وبها الحر الشديد فاوحى الله الى موسى انى مظلهم بالغمام ومنزل عليهم المن والسلوى وجعلت نعالهم لا تبلى وثيابهم كذلك وأمرت الحجارة أن تتفجر لهم بالماء فعند ذلك طابت نفوسهم وساروا مع موسى فوجدوا جميع ذلك من قدرة الله تعالى فاختار موسى اثني عشر رجلا فقال اريد أن تتوجهوا الى اريحاء مدينة الجبارين لتأتوني بخبرها وخبر أهلها واذا جئتم فاكتموا خبرها عن بني اسرائيل فخرجوا ومعهم يوشع بن نون وكالب بن يوقنا وساروا حتى أشرفوا عليها فرآهم رجل من الجبارين فساقهم حتى أدخلهم الى أريحاء فاجتمع عليهم أهلها فوجدوهم عظيمي الجثث طوالا وكانت بنوا اسرائيل بالنسبة اليهم صغار الجثة ضعفاء فهموا بقتلهم فقال بعضهم لا تقتلوهم واجعلوهم لنا عبيدا فلما جاء الليل هربوا فوصلوا الى واد يقال له وادى العنقود فأخذوا منه رمانة وعنقودا من العنب فلما وصلوا الى بني اسرائيل أشاعوا ما صار لهم وما رأوه من عظم خلقتهم فوقع الخوف في قلوب بني اسرائيل فقالوا يا موسى ان مملكة فرعون كانت علينا أخف مما نحن فيه من دخول مدينة الجبارين وانا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فقال موسى يا قوم لا ترتدوا على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين فابوا عن المسير معه الى أريحاء الا القليل منهم فقال موسى رب اني لا أملك الا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين فاوحى الله اليه لما سميتهم فاسقين فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض فلا تأس على القوم الفاسقين قال فكان كلما خرج واحد من الفاسقين عن أصحابه يتيه في الارض فلا يهتدى أن يلقى أصحابه فيهلك فلا زالوا كذلك حتى انقرضوا عن آخرهم في أربعين سنة فسار موسى بمن معه من المؤمنين حتى وصلوا الى أريحاء فغلب موسى على المدينة وأهلها فهرب من كان بها الى بلاد أخرى وتفرقوا وأهلكهم الله تعالى

﴿ حديث قارون وبغيه ﴾ كان قارون ابن عم موسى وكان رجلا فقيرا عابدا صالحا فجاء الى أخت موسى وقال لها من أين لموسى الذي ينفقه من الذهب فقالت ان الله علمنا صنعة الكيمياء فعلمتها لقارون فاخذ قارون يعمل الكيمياء فاخذ في اللباس الفاخر والخيل المسومة والبناء الرفيع وجمع مالا عظيما قال الله تعالى وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة معناه ان مفاتيح كنوزه كانت تحمل على أربعين بغلا فعند ذلك ترك العبادة واشتغل بها عن عبادة ربه حتى كانت الناس تقول يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون فيقول نفر من المؤمنين ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وكان موسى ينصح قارون فيقول قارون كل هذا من الحسد حتى ان قارون قال

لامرأة جميلة في الحسن فقيرة جائعة ان أنت اتهمت موسى وقلت انه دعاني الى أن يفعل بي القبيح فلم أطاوعه أعطيتك مالا كثيرا وأتزوج بك فانصرفت المرأة في تلك الليلة وقد ألقى الله في قلبها التوبة فلما أصبحت أتت الى جمع من بني اسرائيل وفيهم قارون فقالت يا بني اسرائيل هذا مالقي الاخيار من الاشرار في الاسرار اعلموا ان قارون دعاني الى نفسه بالامس وقال لي كذا وكذا وان أكذب على موسى بما هو كذا وكذا وان موسى كان ينهاني عن فساد كنت فيه وأنا الآن تائبة الى الله تعالى فلما سمع بنو اسرائيل ماقالت المرأة قاموا من جانبه ووبخوه ولاموه وتركوه فبلغ ذلك موسى فغضب وقال يارب عليك به فاوحى الله الى موسى اني قد أمرت الارض بالطاعة لك وسلطتك عليه فاقبل موسى ودخل على قارون وقال له ياعدو الله تريد أن تفضحني ياأرض خذيه فغاصت داره في الارض ذراعا فسقط قارون عن كرسيه فغاصت قوائمه في الارض الى ركبتيه فاستغاث بموسى فقال موسى ياعدو الله تبني مثل هذه الدور والقصور وتأكل في أواني الذهب والفضة وأنا أنهاك فلم تنته ياأرض خذيه فاخذته شيأ وهو يستغيث بموسى فقال موسى ألم تتعظ بهلاك فرعون وغيره من الامم الماضية ياأرض خذيه فاخذته الارض هو وداره وقال الله عز وجل فخسفنا به وبداره الارض فكان عبرة لمن اعتبر *(قصة موسى والخضر عليهما السلام)* قال كعب الاحبار أعطى الله عز وجل التوراة لموسى وآتاه من العلم كثيرا فقال يارب هل آتيت أحدا من عبادك مثل ما آتيتني فاوحى الله اليه أن لي عبدا آتيته من العلم مالم يأتك فقال يارب أسألك أن تجمعني به فاخذ موسى فتاه يوشع بن نون وقد حمل معه خبزا من شعير وحوتا مشويا ثم سارا على الساحل اياما فلم يرياه فقال يارب أرشدنا اليه فاوحى الله اليه ياموسى اذا رأيت الحوت الذي معك قد صار حيا فذلك موضعه فسار موسى ومعه فتاه واذا هو بقبة عظيمة وفيها قوم يركعون ويسجدون فسلم موسى عليهم فردوا عليه السلام فسألهم من تكونوا وعن الخضر فقالوا نحن ملائكة نعبد الله في هذه القبة من حين خلق هذا البحر فسر فان الله يرشدك فسار موسى حتى وصل الى صخرة فجلس موسى عندها فنام وكان الحوت في زنبيل فاذا بالحوت قد سقط في البحر ويوشع ينظر اليه فانتبه موسى ونسي يوشع أن يخبره بقضية الحوت فعلا يمشيان حتى بلغا نهرا ينصب في البحر فقعد بجانبه موسى وقال ليوشع آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا فاخرج يوشع الخبز وأخبره بذهاب الحوت عند الصخرة فقال موسى ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا حتى آتيا الى الصخرة فنظر يمنة ويسرة فاذا هو بالخضر يصلي في جزيرة من جزائر البحر فقال موسى لفتاه ارجع أنت لبني اسرائيل وكن مع هارون حتى ارجع ومشى موسى حتى وصل الى الخضر فوقف ينتظر فراغه من الصلاة فاحس به الخضر

فالتفت من صلاته وقال السلام عليك ياموسى بن عمران فقال موسى وعليك السلام أيها العبد الصالح من أين عرفتني فقال الخضر عرفني بك من عرفك بي فقال له الخضر ياموسى سل عما بدا لك فقال موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا الا انى أعمل على الباطن وانت تعمل على الظاهر قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك امرا قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا فسارا على جانب البحر واذا الطائر قد أقبل فغمس منقاره في البحر ثم اخرجه فسحه على جناحه وطار نحو المشرق حتى غاب ثم طار نحو المغرب حتى غاب ثم رجع فصاح فقال الخضر لموسى أتدري ما قال هذا الطائر قال لا قال انه يقول ما اوتوا من العلم الا بمقدار ما أخذت بمنقاري من هذا البحر فعجب موسى من علمه ثم خرجا على الساحل يمشيان فبلغا الى مقبرة فجعلا ينظران الى جماجم الموتى وعظامهم فقال الخضر ياموسى هذه جمجمة فلان الملوك وهذه جمجمة أخيه وعد لموسى سبع جماجم اخوة فنطقوا كلهم عن أسمائهم وأفعالهم فتعجب موسى وخرجا من القرية ومشيا على الساحل فاذا هم بسفينة قد رفع أهلها شراعها وهم يسيرون في وسط البحر فلوح الخضر اليهم فاقبلوا اليه وقالوا اما حاجتك قال أريد موضع كذا وكذا وأحب أن تحملونا الى هناك فقربوا السفينة ودخلا عندهم فساروا حتى صاروا في لجة البحر فعمد الخضر الى لوح من ألواح السفينة فكسره وسد موضعه بخرقة كانت معه قال له موسى أخرقتها لتغرق أهلها ليس هذا جزاء أهلها فانهم حملونا بلا أجرة قال الخضر ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا فسكت موسى وقال لا تؤاخذني بما نسيت الآية ثم ساروا قليلا فاستقبلتهم سفينة فقالوا ان الملك يريد سفينتكم فقالوا فيها عيب فدخلوها فوجدوها معيبة وهو الموضع الذى كسره الخضر فتركوها فخرج الخضر وموسى من السفينة وجعلا يمشيان فلقيا غلمانا يلعبون وفيهم غلام أحسن ما يكون فأخرجه الخضر من بينهم وعمد الى صخرة فضرب بها رأس ذلك الغلام فقتله فعظم ذلك على موسى فقال أيها الصالح أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا قال الخضر يا ابن عمران ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا ثم سارا حتى أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه الخضر بأن جمع الطين والحجارة وسواه فضجر موسى فقال أيها العبد الصالح استطعمت أهل هذه القرية فلم يطعموك قال يا ابن عمران هذا فراق بيني وبينك وانى منبئك أما السفينة فكانت لعشرة أنفس خمسة ضعاف مرضى وخمسة صحاح وكان الاصحاء يعملون للمرضى وكان ذلك الملك يأخذ السفن السالمة غصبا فأعبتها لئلا يأخذها

الملك وأما الغلام فكان يقطع الطريق وكان أبواه ينفران منه ويدعوان عليه فقتلته لانى لو تركته لكان فعله يوجب لابويه الكفر ولم يرد الله ذلك لهما وأراد أن يرزقهما خيرا منه وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين وكان تحته كنز لهما ولوسقط الحائط لتبين الكنز وذهب المال فاراد الله أن يبقيه لهما ببركة والدهما فذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا انتهى ✽ ولما توفى موسى صلى الله عليه وسلم أرسل الله اليه ملك الموت فجاءه وهو يقرأ فى التوراة بين أهله فقال السلام عليك ياموسى فقال وعليك السلام من أنت قال أنا ملك الموت جئت لقبض روحك فادن منى حتى أشم رائحتك فدنا منه فقال تنفس فتنفس فقبضها ومضى ملك الموت صلى الله عليه وسلم

✽ ذكر نبى الله يوشع عليه السلام ✽ ثم ان يوشع أخذ بعد موسى فى الجهاد ففتح الله على يديه من المدن نحو ثلاثين مدينة من مدن الشام ثم جمع بنى اسرائيل وقال لهم اعلموا رحمكم الله ان مدينة أريحاء فتحها موسى صلى الله عليه وسلم ونفى الجبارين منها والآن قد عادوا اليها وأنا سائر اليهم فخذوا أهبتكم فان الله ينصركم عليهم فسار يوشع باصحابه حتى نزل بساحة أريحاء وتقابلوا وتقاتلوا مع الجبارين فقتل من الطائفتين خلق كثير وانهزمت الجبابرة عند العصر من يوم الجمعة وكان فى عهد موسى ان يوم السبت للعبادة فقال يوشع ان فترنا عنهم هذه الساعة فيكون يوم السبت هملا فيقوى عدونا هذا اليوم فدعا الله وقال اللهم أطل علينا بقية هذا اليوم انك على كل شئ قدير اللهم انك تعلم ضعف بنى اسرائيل فانصرنا ياخير الناصرين فارسل الله ملكا الى يوشع انى حبست لكم الشمس ونصرتكم فمازال يوشع يجاهد ويجالد والشمس محبوسة بقدرة الله حتى دخل يوشع مدينة أريحاء وأبادهم وغنم أموالهم ثم سار من أريحاء الى بلاد كنعان فقتل من ملوكها نحو ثلاثين ملكا وفتح ثلاثين حصنا

✽ حديث الياس عليه السلام ✽ قال كعب الاحبار لما ولد الياس طلع منه نور ساطع أضاء منه المشرق والمغرب فقالت بنو اسرائيل سلوا عن امتداد هذا النور فتتبعوه فوجدوه مولودا ولد من ولد هارون عليه السلام فقالت بنو اسرائيل هذا الذى بشرونا به وان الله يهلك الجبابرة على يديه ولما بلغ الياس من العمر سبع سنين حفظ التوراة وقال يوما من الايام يابنى اسرائيل أريكم من نفسى عجبا فصاح صيحة عظيمة فارتعبت قلوبهم فلما سكن الرعب عنهم أرادوا قتله فهرب منهم الى الجبال فكان يدور مع السباع والوحوش حتى استكمل عمره أربعين سنة فهبط جبرائيل عليه السلام على الياس فقال له من أنت قال أنا جبرائيل قال عماذا جئت قال مبشرك بالنبوة وأن الله جعلك رسولا الى الملوك الجبابرة الذين يعبدون الاصنام فقال الياس كيف أصنع وأنا وحدى وهم عندهم الجموع والسلاح فقال جبرائيل ان

النصر للك والقوة لله وان الله أمر الوحوش والنار باطاعتك وأعطاك قوة ثلاثين نبيا فامض الى قومك قال وكان قومه فى سبعين قرية كل قرية أكبر من مدينة وفى كل قرية جبار يسوسهم فنزل الياس الى قرية فجاء الى جانب قصر جبارها وأخذ يتلو التوراة بصوت حسن فسمعه الجبار وزوجته فجاءت زوجة الجبار اليه فقالت من أنت وما تريد فقال انى رسول الله اليكم فقالت وما حجتك فقال ما تريدين قالت ادع هذه النار لتأتيك فدعا النار فأتته فاخبرت المرأة زوجها فآمنا به ثم مضى عنهم وجاء الى أهل القرية فبلغهم رسالة ربه فضربوه وأهانوه وأوثقوه وأخذوه الى ملكهم الاكبر فحمى له القدور وقال له ان لم تنته والا أحرقتك فصاح الياس صيحته المعروفة فارتعبت منها القلوب وخمدت النار فتحير الناس وقالوا يا الياس قد عرفنا حالك فاصبر الى غد فلما أصبح جاء الياس اليهم ووعظهم وحذرهم عذاب الله تعالى وبلغ رسالة ربه فقالوا يا الياس هلا بعث معك ربك جنودا فقال ويلكم ومن يقدر على أمر الله ومخالفته ثم خرج من بينهم الى نحو الملك جاب الذى آمن به وأخبره ثم ان الملك عاميل جمع أكابر مملكته وعلماء قومه وقال ما تقولون فى أمر الياس فقالوا الامان فقال قولوا ولكم الامان فقالوا انا رأينا فى التوراة صفة هذا الرجل وانه يبعث نبيا وتسخر له النار والاسود وانه لا يسمع صوته أحد الا ذل وقال بعض علمائهم كذبوا بل هو كذاب فقال الملك عاميل مهلا حتى ننظر ثم انصرفوا ثم ان الياس عليه السلام عاد الى الملك جاب فأخبره بذلك فقال له الملك جاب يا الياس انى معك فى غرور فان الذين أطاعوك فى ذل واهانة والذين لم يطيعوك فى عز ونعمة فانصرف عنى فلا حاجة لى فيك فقالت زوجته يا جاب ان كنت قد ارتديت عن دينك فلا أرتد أنا عن دينى ولحقت بالياس فكانت تعبد الله فى عريش عند بيت الملك عاميل ثم أسلمت بنت الملك عاميل ولحقت بالياس أيضا فأراد الملك عاميل قتلها فانشغل عنها بموت ولده وكان يحبه حبا شديدا فجاء الياس اليه وقال له يا عاميل ان كان الذى تعبده له قدرة فقل له يرد روح ابنك اليه فمضى الملك عاميل الى صنمه وسجد له وتضرع وسأله أن يرد روحه فلم يجبه بشئ فدعا بالياس وقال ان كان ربك يرد روح ابنى فأومن بربك وبك فدعا الياس ربه فقام الولد باذن الله حيا سالما فعند ذلك قال الملك عاميل أشهد أن لا اله الا الله وأن الياس رسول الله ثم خلع نفسه من الملك ولبس المسوح وتبع الياس فى دينه فلم يزل الياس يبلغ رسالة ربه فلم يؤمنوا ومات الملك عاميل وولده وابنته وزوجة جاب فعند ذلك دعا الياس على قومه بالقحط فقحطوا فلا زالوا يقتاتون بما عندهم من القوت حتى أكلوا دوابهم والعظام فلحقوا على الكلاب حتى الفار ومن مات منهم أكلوه فعند ذلك ضجت الملائكة

الى ربها فى حال عباده المؤمنين والطيور والوحوش فأتوا الى الياس وقالوا يانبي الله ان الله تعالى قد جعل أرزاق عباده اليك أفلا ترحمهم قال فانهم عصونى وغضب عليهم الله فان آمنوا والا هلكوا فأوحى الله اليه ياالياس احلم ففزع الياس من ذلك وقال الهى مالى علم انى أعصيك وأنت أرحم الراحمين فأوحى الله اليه أن سر اليهم فان آمنوا كان فرجهم على يديك وان كفروا كنت ارأف بهم منك فانطلق الياس حتى دخل الى قرية فرأى عجوزا فقال هل تقدرين على طعام فقالت ماذقت خبزا من مدة طويلة ولى ولد قد أشرف على الموت وانه على دين الياس فقال وما اسمه قالت اسمه اليسع فجاء اليه الياس فوجده ميتا من الجوع فأحياه الله بدعوة الياس فقام وقال أشهد أن لا اله الا الله وأن الياس رسول الله وقد جعلنى الله وزيرا لك فخرج الياس فاجتمعت اليه الناس وطلبوا أن يدعو ربه حتى يفرج عنهم فدعا الله ففرج عنهم فلم يؤمنوا فدعا عليهم فأوحى الله اليه ياالياس قد بلغت رسالة ربك وفعلت ما أمرت به فاستخلف الآن اليسع وارجع عن ديار قومك وانك عندى لمن المقربين فأقبل الياس على اليسع وقال أنت خليفتى فأوحى الله الى اليسع انك نبى وأرسلتك الى بنى اسرائيل وقويتك وأيدتك ثم ان الياس لما خرج عن قومه فاذا هو بفرس تلتهب نورا فقالت أنا هدية الله اليك فاركب فاستوى على ظهرها وجاءه جبرائيل عليه السلام فقال ياالياس أنت تسير مع الملائكة فى الارض فسر حيث شئت فقد كساك الله صفة الملائكة وقطع عنك لذة المطعم والمشرب وجعلك آدميا سماويا أرضيا

﴿ذكر قصة اليسع عليه السلام﴾

قال وهب بن منبه هو اليسع بن أخطوب بعثه الله تعالى الى بنى اسرائيل بعد الياس قال السدى هو ابن عم الياس فلما رفع الله الياس استخلف بعده اليسع قال الواقدى ان فى أيام اليسع بنيت مدينة طرسوس وملطية واستمر اليسع يقضى بين الناس بالحق حتى توفى ودفن بفلسطين فلما مات اليسع استمر بنو اسرائيل عشر سنين بغير نبى فعند ذلك أقام فيهم كاهن يقال له عالى بن أسباط بن هارون وكان رجلا صالحا فدبر أمور بنى اسرائيل أحسن ما يكون واستمر على ذلك نحو أربعين سنة وفى أيامه ولد شمعون من أنبياء بنى اسرائيل وولد أيضا داود أبو سليمان عليهما السلام وكان بين وفاة عالى الكاهن ووفاة موسى عليه السلام أربعمائة وسبعة وثمانون سنة انتهى والله أعلم

﴿ذكر قصة شمعون عليه السلام﴾

قال الله تعالى ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى الآية والمراد من قوله تعالى من بعد موسى هو شمعون وكان من ذرية هارون عليه السلام وكان أنبياء بنى اسرائيل بمنزلة القضاة يحكمون بين الناس بالحق فلما مات الاسباط ولم يبق منهم سوى

أم شمعون فكان بنو اسرائيل يدعون الله تعالى أن يبعث فيهم نبيا من الاسباط فلما حملت به وكانت عجوزا عقيما من ذرية الاسباط تعجب بنو اسرائيل من شانها وقالوا لم تحمل هذه العجوز الا بنبى من نسل الاسباط فحبسوها فى بيت حتى تضع ما فى بطنها فجعلت هى أيضا تدعو الله تعالى أن يكون حملها ولدا ذكرا فولدت شمعون وكان اسمه أولا شمويل فلما كبر تعلم التوراة فكفله على الصغر عالى الكاهن المتقدم ذكره فلما بلغ أشده وجاوز أربعين سنة أتى اليه جبرائيل ففزع منه وقال لعالى الكاهن سمعت فى البيت صوتا وليس فيه غيرنا فقال له عالى يا شمعون قم وتوضأ فهذا جبريل عليه السلام فقام شمعون وتوضأ وجلس فظهر له جبرائيل فقال له اذهب الى بنى اسرائيل وبلغهم رسالة ربك فان الله تعالى قد بعثك اليهم نبيا فلبث فيهم نحوا من أربعين سنة يقضى بين بنى اسرائيل بالحق وكان يعرف بابن العجوز ثم ان بنى اسرائيل قالوا يا شمعون ادع الله بأن يقيم علينا ملكا حتى يكون لنا قوة ويستخلص لنا تابوت السكينة من أيدى العمالقة فلما دعا الله تعالى بعث الى بنى اسرائيل طالوت وهو قوله تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا الآية انتهى

﴿ذكر قصة الخضر عليه السلام﴾ قال السدى اختلف جماعة من العلماء فى أمر الخضر عليه السلام قال ابن عباس انه من ولد شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح عليهم السلام وقال ابن اسحق انه من ولد العيص بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام وقال النقاش انه ابن فرعون صاحب موسى ولم يصحح الطبرى ذلك وأبطله وقال آخر هو اليسع صاحب الياس ولم يصح ذلك وقال آخر هو أرمياء ولم يصح ذلك وقال الاستاذ الحافظ أبو القاسم عبد الله بن الحسن الخثعمى فى كتاب التعريف ان الخضر عليه السلام ابن ملك يقال له عاميل وهو من ولد العيص بن اسحق وأمه بنت ملك يقال له فارس وكان اسمها الها وانها ولدته فى مغارة وانه وجد هناك شاة ترضعه فى كل يوم فأخذه الراعى ورباه حتى كبر وشب وصار ماهرا جيد الخط قارئا للصحف التى أنزلت على ابراهيم عليه السلام وقال ابن اسحق ان ابا الخضر عاميل طلب كاتبا جيد الخط ليكتب له الصحف التى أنزلت على ابراهيم وشيث فقدم عليه جماعة من الكتاب وابنه الخضر وهو لا يعرفه فلما عرضوا خطوطهم على الملك استحسن خط ولده الخضر ووقع فى قلبه محبته واستحسن شكله وعبارته فى الكلام ثم انه بحث عن حقيقة نسبه فتبين انه ابنه فقام اليه واعتنقه وضمه الى صدره ثم انه نزل له عن الملك وولاه على رعيته وضاع عن نفسه واستمر فى ملك أبيه وهو يقضى بين الناس بالحق الى ان فر من الملك لاسباب يطول شرحها واستمر سائحا فى الارض الى ان وجد عين الحياة فشرب منها كما سيجىء الكلام على ذلك فهو حى الى ان يخرج الدجال ويقتله ثم

يحييه الله تعالى بحضرة الدجال بعد مائة طعه وقال البخاري وطائفة من أهل الحديث منهم الشيخ أبو بكر بن العربي ان الخضر قد مات قبل انقضاء المائة من عمره والصواب مارواه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الهواتف بسند يرفعه الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما مات النبي صلى الله عليه وسلم سمع هاتفا يقول السلام عليكم أهل البيت ان في الله خلفا من كل هالك وعوضا من كل فائت وعزاء من كل مصيبة فعليكم بالصبر فاصبروا فكانوا يسمعون صوته ولا يرون شخصه فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الخضر عليه السلام فهو دليل على حياته وأما سبب تسميته بالخضر ففي ذلك عدة أقاويل قال وهب بن منبه كان اسم الخضر ايليا وكنيته أبو العباس وانما سمي بالخضر لانه جلس على فروة بيضاء فصارت خضراء وقيل ان الفروة هي الارض وقال الخطابي انما سمي الخضر خضر الاشراق وجهه وقال مجاهد كان اذا صلى اخضر مكان سجوده وقال آخر كان اسمه خضرون والله أعلم وما مر من نبوته قاله جمهور من العلماء بأنه كان نبيا وقال بعضهم كان نبيا ورسولا يوحى اليه وقال جماعة من العلماء انه كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا وهو قوله تعالى وجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما وقول الخضر لموسى وما فعلته عن أمري يدل على انه كان رسولا يوحى اليه والصحيح انه نبي لا رسول كما رجحه العلماء وقد مرت قصته في ذلك عند قصة موسى عليه السلام وأما قول من قال انه باق الى اليوم قال عمرو بن دينار ان الخضر والياس في قيد الحياة مادام القرآن موجودا في الارض فاذا رفع القرآن يموتان أي الخضر والياس قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الخضر والياس يجتمعان كل سنة على جبل عرفات مع الحجاج في مسجد الخيف في منى وذكر ان كل واحد منهما يحلق رأس صاحبه هناك ويأخذ كل منهما شعر صاحبه ويمضيان ويقولان عند تفرقهما الدعاء المشهور وروى عن بعض الصالحين انه رأى الخضر عليه السلام وذكر صفته انه أشهل العينين ضخم الجسد طويل القامة أبيض اللحية أحمر الوجه زاهي النظر فصيح اللسان يتكلم باللغة العربية انتهى ما أوردناه من أخبار الخضر على سبيل الاختصار

﴿ذكر حرب طالوت مع جالوت﴾ قال وهب بن منبه ان الله تعالى أنزل على شمعون عصا من الجنة وقال له ان الملك الذي أبعثه الى بني اسرائيل يكون طوله على طول هذه العصا قال عكرمة ان الملك طالوت كان أصله سقاء يسقي الماء من بحر النيل على حمار له فتسرب ذلك الحمار منه فخرج في طلبه فمر على باب شمعون النبي فدخل عليه وقال له يانبي الله ادع لي بان يرد الله على حماري فقال شمعون نعم ثم رأى فيه امارات تدل على ما أوحى الله اليه في أمر الملك الذي يرسله الى بني اسرائيل فاخرج تلك العصا المتقدم

ذكرها فقاسها على السقاء فجاءت طوله سواء وكان طالوت طويلا جدا ولذلك سمي طالوت فقال له شمعون ان الله تعالى قد أمرني بان أجعل ملكا على بني اسرائيل وقد ملكتك عليهم فلما خرج الى بني اسرائيل قال لهم قد ملكت عليكم هذا الرجل فاطيعوه فغضب بنو اسرائيل وقالوا كيف تولى علينا مثل هذا وفينا من هو أحق بالملك منه لان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا وطالوت كان من سبط بنيامين فقال لهم شمعون ان الله قد اصطفاه عليكم فقال رجل من بني اسرائيل وكان من سبط بنيامين بن يعقوب عليه السلام هذا رجل فقير لا مال له وهو سقاء يحمل الماء الى بيوت بني اسرائيل فقال لهم شمعون ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت على يده كما أخبرني الله به وكان طالوت أحفظ الناس للتوراة ثم ان بني اسرائيل ملكوا عليهم طالوت ثم انه خرج الى قتال العمالقة وكانوا يسكنون بقرى حول فلسطين فلما خرج اليهم جاء بهم على تابوت السكينة لان العمالقة كانوا اسلبوه من بني اسرائيل قبل ذلك واستمر عندهم مدة طويلة حتى رده الله تعالى اليهم على يد طالوت قال السدي ان تابوت السكينة كان طوله ثلاثة اذرع في عرض ذراعين وهو من خشب الشمشاد ويقال ان فيه نعلي موسى وقطعة من عصاه وعمامة هارون وقطعة من المن الذي كان ينزل على بني اسرائيل وهم في التيه وكان هذا التابوت اذا قدموه أمامهم وقت الحرب ينتصرون على عدوهم فلما سلبه العمالقة منهم أقام عندهم نحوا من عشرين سنة فكان كل من دنا اليه يحترق فقال لهم رجل صالح مادام عندكم التابوت لن تفلحوا أبدا فأخرجوه من بينكم فقالوا له كيف العمل في اخراجه فعمدوا الى عجلة ووضعوا التابوت عليها ثم علقوا ذلك التابوت على ثورين وساقوهما من غير أحد معهما من الناس حتى اخرجوه من ارضهم وسار الثوران الى أرض بني اسرائيل فوقف الثوران هناك ومضى من كان معهما من العمالقة فلم تشعر بنو اسرائيل الا وتابوت السكينة عندهم فكبروا تكبيرا عظيما قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الملائكة أخذوا ذلك التابوت من على العجلة ورفعوه بين السماء والارض والناس ينظرون اليه حتى وضعوه في دار طالوت وهو قوله تحمله الملائكة فلما عاين بنو اسرائيل ذلك علموا أن الله تعالى قد اختار طالوت بأن يكون ملكا عليهم قال السدي ان تابوت السكينة مدفون في بحيرة طبرية الى أن يخرج عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام فيخرجه انتهى ذلك

﴿ذكر قصة النهر وتابوت السكينة﴾

قال قتادة لما أوحى الله الى نبيه شمعون المقدم ذكره بأن يأمر طالوت بالمسير الى قتال جالوت ملك العمالقة وكان جالوت في بيت المقدس فجمع طالوت الجنود من بني اسرائيل فكان عدتهم نحوا من ثمانين ألف مقاتل فخرج طالوت بالجنود حتى قارب

النهر وكانت وقت القائلة فشكوا من شدة الحر وقلة الماء فقال لهم نبيهم ان الله مبتليكم بنهر قال ابن كثير النهر هو نهر الشريعة ثم قال فمن شرب منه فليس مني أي من أهل ديني ولا طاعتي ثم استثنى بقوله الا من اغترف غرفة بيده مل‌ء كفه وقال البراء ابن عازب ان أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر كانوا نحوا من ثلثمائة انسان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه يوم وقعة بدر أنتم على عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر قال السدي فلما جاوز أصحاب طالوت النهر شربوا منه وسقوا دوابهم ولم يغترفوا منه كما أمرهم الله تعالى فقوي عليهم العطش واسودت شفاههم فقال الذين شربوا من النهر وخالفوا أمر الله تعالى لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده وانصرفوا عن طالوت وتجنبوا عن أمر القتال فلم يبق مع طالوت الا القليل من الجنود وكان معه رجل يقال له ايشا وهو أبو داود نبي الله وكان له ثلاثة عشر ولدا وكان داود أصغرهم فقال يوما لابيه ايشا يا أبتي اني لم أرم قط بقدحي شيأ الا صرعته في الحال فقال أبوه ابشر يا بني فان الله تعالى جعل رزقك في قدحك ثم قال لابيه مرة أخرى يا أبتاه اني دخلت بين الجبال فرأيت أسدا عظيما فخضع لي حتى ركبته ثم قبضت بيدي على منكبيه فتركته هنالك ميتا فقال له أبوه ابشر يا ولدي فان سعدك أقبل ثم قال لابيه مرة أخرى يا أبتاه اني اذا سبحت في الليل اسمع الجبال تسبح معي فقال له أبوه ابشر يا بني فهذا دليل نبوتك فلما تلاقى طالوت مع جالوت ارسل جالوت يقول لطالوت ان أبرزت لي من يقاتلني فان هو قتلني فله ملكك وان أنا قتلته فلي ملكك فشق ذلك على طالوت ونادى في جنوده من يبرز الى جالوت ويقتله أعطيه نصف ملكي وأزوجه بابنتي ولم يجبه أحد من أجناده وكان في صحبته شمعون النبي فقال له طالوت يا شمعون ادع الله تعالى ان يأتينا بمن يبرز لجالوت ويقتله فدعا شمعون الله تعالى ان يأتيه بمن يقتل جالوت فقال شمعون لايشا اني أريد ان تعرض علي أولادك فلما عرضهم عليه وكانوا اثني عشر ولدا وهم امثال الاسود فقال له شمعون هل بقي منهم احد فقال بقي لي ولد صغير يرعى الغنم واسمه داود وهو في الوادي عند الغنم فمضى اليه شمعون فلما رآه قال هو المطلوب ورأى فيه من العلامات ما يدل على ما أوحى الله اليه بانه هو الذي يقتل جالوت فقال له شمعون ان الله قد أمرني ان ابعثك الى جالوت ويكون قتله على يدك فقال داود السمع والطاعة ثم مضى مع شمعون فبينما هو يمشي في اثناء الطريق اذ مر بثلاثة احجار دعاه كل واحد منها ان يحمله وقالوا له انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ثم لما وصل الى طالوت بعثه مع الجنود الى جالوت وأركبه فرسا أدهم وألبسه درعا من الحديد وقلده سيفا وسارت صحبته الجنود الى جالوت فوقف مقابله وكان جالوت أشد الناس بأسا وقوة وكان يهزم

الجيوش الكثيرة وحده وكان له خودة من بولاد وزنها نحو ثلثمائة رطل بالمصري وكان له فرس ابلق عظيم الخلقة فلما برز اليه داود وكان صغير السن ألقى الله تعالى الرعب في قلب جالوت من داود فقال له جالوت يا هذا الصبي أنت مع صغر سنك تبارزني فقال داود نعم ابارزك ثم أخرج من المخلاة الاحجار ووضعها في المقلاع فقال له جالوت تبارزني بالحجر كما يبارز الكلب فقال داود نعم لانك أشر من الكلب فقال جالوت لاقسمن لحمك بين الكلاب ثم ان داود قال بسم الله اله ابراهيم واسحق وموسى و يعقوب ووضع الاحجار في المقلاع ورمى بها جالوت فوصلت مثل النار الى دماغ جالوط ففلقته وما كان عليه من الحديد حتى خرجت من قفاه فقتل جالوت فحينئذ مالت جنود طالوت على جنود جالوت بالضرب ونصرهم الله تعالى عليهم وكسروهم باذن الله تعالى ثم انه نزع خاتم جالوت من يده وجاء به الى طالوت ووضعه بين يديه ففرح طالوت بذلك وفرح بنو اسرائيل بهذه النصرة ومضوا الى أرضهم وهم سالمون وكان جالوت يسكن بيت المقدس وهو من العمالقة القديمة وداود لما بارز جالوت كان عمره يومئذ نحو عشرين سنة وكانت وقعة جالوت مع داود بالقرب من المرج الاصفر بأرض الشام انتهى على سبيل الاختصار

قصة وفاة طالوت وما جرى بينه و بين داود عليه السلام

قال السدي لما قتل جالوت ومضى أمره جاء داود الى طالوت وقال له أنجز لي وعدك من زواجي ابنتك فقال له طالوت أزوجك ولكن بصداق فقال داود انت شرطت صداقها قتل جالوت ومعها نصف مملكتك فقال طالوت اصدقها نصيبك من الملك فقال له بنو اسرائيل أنجز ما وعدته به فلما رأى طالوت ميل بني اسرائيل معه قال يا داود اني معطيك ما تريد ولكن بقي لنا اعداء من المشركين فانطلق اليهم وقاتلهم فاذا قتلت منهم مائتي انسان ازوجك ابنتي من غير صداق فمضى اليهم داود وتقاتل معهم فصار كلما قتل منهم رجلا نظم قلفته بخيط فاكمل من قلفهم نحو مائتي قلفة وأتى بها الى طالوت وألقاها بين يديه فقال له هذا ما شرطت فقال بنو اسرائيل أنجز له شرطه وما وعدته به فلما رأى طالوت قوة داود وميل الناس اليه خشي من سطوته فأراد قتل داود وكان من عادة الملوك يتوكؤن على عصا في طرفها زج من حديد فرأى داود جالسا في بيت فرماه طالوت بتلك العصا فخلا داود عنها فلم تصبه فأصابت الحائط فدخلت فيه فقال له داود عمدت الى قتلي فقال طالوت لا ولكن اختبرت ثباتك للطعان فعند ذلك قام داود وأخذ العصا وهزها نحو طالوت فقال طالوت بالحرمة التي بيني و بينك ان تكف عني فقال له داود ان الله كتب في التوراة ان جزاء السيئة بمثلها والبادي أظلم فقال طالوت أفلا تقول قول هابيل لئن بسطت

الى يدك لتقتلني ما انا باسط يدي اليك لاقتلك فقال داود اني عفوت عنك ثم ان
طالوت زوجه بنته ولا زال مدة يتفكر كيف يقتل داود فعزم على ان يصنع لداود
وليمة في داره و يغافله و يقتله وكانت ابنة طالوت علمت بما يحتال ابوها به على قتل
داود فارسلت الى داود وأعلمته بأن أباها عازم على قتله فأخذ داود حذره منه ثم ان
طالوت صنع الوليمة ولم يبق شيأ من أمر الوليمة فارسل الى داود ليحضر فلما حضر
داود بين يدي طالوت قام له وأكرمه وكان داود يشاش الطيفاء ارفا بصنوف الالحان
قال الثعلبي ان داود كان قبل بلوغ النبوة يوقع بالعود لطالوت لما تغلظ عليه
الاخلاط الرديئة فكان داود يعطي لكل خلط نغمة لمعرفته بذلك فلما أقبل الليل
انتهى امر الوليمة وانصرفت الناس وكانوا نحو أربعة آلاف انسان قال طالوت
لداود اصعد الى السرير ونم عليه وانصرف طالوت الى نسائه فعمد داود الى زق
خمر ووضعه على السرير مكانه وغطاه بأكسية النوم وذهب داود واختبأ في مكان
لينظر ما يصنع طالوت فلما انتصف الليل دخل طالوت خفية يتسلل الى ان جاء الى
السرير وظن ان داود عليه فرفع سيفه وضربه ضربة محكمة فقطع الكساء والزق
وسال الخمر فقال طالوت ما اكثر ما كان يشرب داود من الخمر فلما اصبح طالوت وعلم
انه لم يقتل داود اكثر من الحراس والحجاب وصار يحتجب عن الناس خوفا من داود ثم
ان داود دخل على طالوت ليلا وقد أعمى الله بصر الحراس فلما دخل داود وجد
طالوت ملقى على سريره وهو نائم فوضع داود سهما من سهامه عند رأس طالوت
وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن يساره ثم خرج داود وتركه فلما استيقظ
طالوت من منامه رأى السهام حوله فعرف ان ذلك من فعل داود ورأى عفوه بعد
الظفر فقال داود أحلم مني ثم ان طالوت خرج يوما الى الفضاء وحده واذا بداود مقابله
من غير ميعاد فأخذا يمشيان وكان طالوت فارسا وداود راجلا فخاف داود على نفسه
فدخل غارا واستتر فيه فلما أدرك طالوت الغار أعماه الله عن المكان الذي اختفى
فيه داود ورجع طالوت فقتل جماعة من المؤمنين من أصحاب داود ممن كانوا يحبونه
ثم ندم طالوت على قتلهم وتاب واراد ان يعلم هل قبلت توبته ام لا فجاء الى قبر
شمعون ونادى يانبي الله شمعون فاجابه من القبر باذن الله تعالى فقال طالوت اني
فعلت كذا وكذا في المؤمنين فهل من توبة فقال شمعون ياطالوت سر أنت واولادك
وكانوا عشرة وقاتل في سبيل الله حتى تقتلوا يتوب الله عليكم وتكونوا من الصالحين
فاخذ طالوت بالبكاء وتجهز هو واولاده ومضى الى الجهاد وقاتل هو واولاده فكان
يرى مصارع أولاده واحدا بعد واحد حتى قتلوا كلهم ثم نزل هو للجهاد فقتل ثم اتى
رجل الى داود وقال له ان طالوت قد قتل هو وأولاده فاستخلف على بني اسرائيل

كما سيأتي الكلام عليه في موضعه ان شاء الله تعالى انتهى على سبيل الاختصار
﴿ذكر قصة داود عليه السلام﴾ قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض الآية قال وهب بن منبه هو داود بن ايشا بن عوقد من ذرية ابراهيم الخليل عليه السلام قال ابن كثير لما قتل طالوت استخلف بعده داود وقد جمع الله له بين الملك والنبوة وكان قد مضى لداود من العمر نحو اربعين سنة وقد قال الله تعالى وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب فلما تم امره في الملك رحل الى بيت المقدس وكان عامة الفتوحات في ايامه فتح الشام وارض فلسطين ومدينة عمان وحلب ونصيبين وحماه وعنتاب والاردن وكانت هذه بايدي الجبارين قال السدي ان الله تعالى خص داود عليه السلام بالفضائل والكرمات والنبوة وأنزل عليه الزبور وخصه بالصوت الحسن وكان يقرأ الزبور بسبعين نغمة من الانغام فكان اذا سمعه المحموم يعرق والعليل يشفى وكان اذا اقرأ في الفضاء يجتمع اليه الانس والجن والوحوش والطير لسماع صوته وكان الريح يسكن عند صوته و يركض الماء الجاري أيضا عند صوته فحسده ابليس على ذلك فصنع آلات الالحان والطرب مثل العود ونحوه فاشتغل الناس بذلك عن صوت داود عليه السلام قال افلاطون من حزن فليسمع الالحان يزل حزنه فان الحزن خمود النفس واذا سمعت ما يطرب بها اشتعلت وأثارت قالت الرواة ان الفيل اذا اصطادوه يموت قهر المفارقة وطنه الا اذا اطربوه بالملاهي فانه يعيش ومن فضائل داود انه كان اذا سبح يسبح الطير معه والوحوش والجبال والشجر والحجر وكان يفهم تسبيحهم قال ابن عباس رضي الله عنهما ومما خص الله تعالى به داود السلسلة التي كان يعرف بها الحق والباطل قال السدي كانت هذه السلسلة موصولة بالمجرة وكانت معلقة بمحراب داود يتحاكم الناس عندها وكانت من عجائب الدنيا الهاقوة كقوة الحديد ولونها كلون النار مرصعة بالجواهر واليواقيت والزمرد فكان اذا حدث في الدنيا حادث تصلصل فيعلم بذلك الحادث وكان لا يمسها ذو علة الا برئ لوقته واذا مسها مشرك ذهب منه غل الشرك وكان المنكر لحق صاحبه اذا مد يده اليها لا يصل اليها واذا كان صادقا ومد يده اليها فيصل و يمسكها وكانت ترتفع عند الباطل وتتدلى عند الحق واذا قصد أحد شيأ منها ترتفع قال الثعلبي ان رجلا أودع جوهرة عند رجل آخر فلما جاء ليطلبها منه أنكرها فقال له صاحب الجوهرة نمضي أنا وأنت الى السلسلة وكان الذي استودع الجوهرة وضعها في عكازه وكان لا يفارقه من يده قال فمضى الرجلان الى السلسلة فوصلا اليها فقال صاحب العكاز لصاحب الجوهرة خذ اليك هذا العكاز لاحلف لك فأخذه فتقدم وقال اللهم انك تعلم ان هذه الجوهرة قد أعطيتها لصاحبها هذا ومد يده الى السلسلة فتناولها

ثم أخذ عكازه من صاحب الجوهرة فتعجب صاحب الجوهرة فلما أصبح الصباح وجدوا السلسلة قد ارتفعت وغيبها الله عن الناس الى الآن قال ابن عباس كان داود أشد ملوك الارض سلطانا فكان يحرس محرابه فى كل ليلة ثلاثون ألف انسان من شجعان بنى اسرائيل ومن معجزات داود عليه السلام أن الله تعالى ألان له الحديد حتى كان يفتله بيده مثل العجين فكان يصنع منه دروع الزرد وهو أول من اصطنع دروع الزرد وكانوا من قبله يستعملون دروع الصفائح فكان داود يصنع كل يوم اذا شاء درعا ويبيعه بستة آلاف درهم و ينفق ثمنه على عياله و يتصدق بالباقى ولا يدخر منه شيأ قال السدى كان داود يتنكر و يمشى فى الاسواق و يسأل الناس عن سيرة نفسه حتى لاقاه جبرائيل فسأله عن سير نفسه فقال له جبرائيل ان داود نعم العبد الا أنه يأكل من بيت المال فقال داود عند ذلك اللهم علمنى صنعة أنفق على نفسى منها فعلمه الله صنعة الزرد وألان له الحديد فكان يأكل من ذلك قال تعالى وألنا له الحديد وقال تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم الآية

﴿ذكر وقوع داود فى الخطيئة﴾ قال وهب بن منبه بينما داود يقرأ فى محرابه اذ دخل عليه طائر فى محرابه من الكوة وكان ذلك الطائر على صفة الحمامة ريشها من الذهب وجناحاها مكلل بأنواع الجواهر الملونة ومنقارها من الزمرد الاخضر ورجلاها من الياقوت الاحمر فلما رآها داود شغلته عن القراءة فتأملها فظن انها من الجنة فمد يده اليها ففرت من بين يديه الى جانبه فقام اليها ففرت الى الكوة وقيل كان سبب ذلك ان داود قال يارب ان جميع الانبياء ابتليتهم لتعظم لهم الاجور فهلا ابتليتنى لتعظم أجرى فأوحى الله اليه يا داود استعد للبلاء فى يوم كذا وكذا فلما كان الميعاد أتى اليه ابليس اللعين فى صفة الطائر المذكور قال فتقدم داود الى الطائر ففر الى الكوة الى بستان تحت قصر داود فنظر داود الى البستان لاجل الطائر واذا فى البستان امرأة جميلة ذات حسن فائق على أهل زمانها وهى تغتسل فلما نظر داود اليها خجلت وأسبلت شعرها فغطى سائر جسدها فوقع حبها فى قلبه وشغف بها وفى المعنى يقول القائل

نضت عنها القميص لصب ماء ﴾ فورد وجهها فرط الحياء
فقابلت الهواء وقد تردت ﴾ بمعتدل أرق من الهواء
ومدت معصما كالماء منها ﴾ الى ماء معد فى أناء
رأت عين الرقيب على تدان ﴾ فاسبلت الظلام على الضياء
وغاب الصبح منها تحت ليل ﴾ وظل الماء يقطر فوق ماء

قال فلما افتتن بها سأل عن أمرها فقيل انها متزوجة برجل من الجند وهو مسافر وله

ستة أشهر في الغزو فعند ذلك كتب الى أمير الجيش يقول قدم أوريا بن حنا أمام
الجيش وأعطه الراية بيده وكان أوريا زوج المرأة وكان المتقدم بالراية قليلا ما يسلم فلما
وصل الكتاب فعل أمير الجيش ما أمره داود فسلم الراية الى أوريا وتقدم فقتل
فكتب أمير الجيش يخبره بموت أوريا فعند ذلك خطب داود امرأته فتزوج بها فحملت
منه بولده سليمان عليهما السلام وكان اسم المرأة تشايع بنت صوري فأقام معها أياما
وكان لداود اذاك تسعة وتسعون امرأة وقد أكمل بأم سليمان المائة وهي تشايع
فعند ذلك أرسل الله ملكين بصفة رجلين فدخلا عليه من غير اذن ففزع منهما داود
فقالا له لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط وهو قوله
تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب الآية فقال داود قصا علي قصتكما قال
ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في
الخطاب قال له داود لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه فضحك المدعى عليه فقال
له داود تظلم وتضحك فارتفعا وهما يقولان قضى داود على نفسه فعلم داود انه وقع في
الخطيئة فخر ساجدا أربعين ليلة وهو يبكي ولا يرفع رأسه حياء من الله تعالى حتى
غرقت الارض من دموعه واكلت الارض جبهته فرفع رأسه وقام فلبس المسوح
وافترش الرماد تحت وجهه وعاد الى ما كان عليه فانقطع عنه الوحي وكان يقول في
سجوده سبحان خالق النور رب ان لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه والاصار حديثا في
الخلق الى يوم القيامة ولم يزل ساجدا وهو يبكي ويتضرع الى الله تعالى حتى انشعب
رأسه فجاء اليه جبرائيل وقال يا داود ان الله غفر خطيئتك فاذهب الى قبر أوريا بن
حنا واسأله بأن يحاللك فانطلق الى قبر أوريا وقال يا أوريا فقال من قبره لبيك يا داود
فقال داود اجعلني في حل مما كان مني اليك فقال أوريا وما كان منك فقال عرضتك
للقتل بسبب الزوجة فقال قد حاللتك من ذلك فاوحى الله اليه يا داود هلا قلت له
عرضتك للقتل حتى قتلت فتزوجت بزوجتك من بعدك فعاد اليه وقال له داود
يا أوريا فلباه من القبر ثانيا فقال داود يا أوريا عرضتك للقتل حتى تزوجت بزوجتك
من بعدك فلما سمع أوريا بذلك سكت فناداه مرارا فلم يجبه أوريا فبكى داود وحثى
التراب على رأسه فاوحى الله تعالى اليه يا داود اذا كان يوم القيامة أعطي أوريا الثواب
الجزيل حتى أرضيه وأستوهبك منه فقال داود الهي الآن طاب قلبي بغفرتك وكرمك
وذلك قوله تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن مآب فكان داود لا يرفع رأسه الى
السماء حياء من الله تعالى وكان لا يأكل خبز الشعير الا وهو ممزوج بدموع عينيه
ويذرفيه الملح وكان لا يأكله حتى يضنيه الجوع ويقول هذا أكل الخاطئين قال
عطاء الخرساني ان داود عليه السلام نقش خطيئته في كفه لئلا ينساها فكان كلما

نظرها يبكي قال وهب بن منبه لما وقع داود في الخطيئة اشتغل بالبكاء والندم عن النظر في أحوال الرعية من بني اسرائيل فعند ذلك اجتمعوا وجاؤا الى ابنه سليمان عليه السلام وقالوا له ان أباك كبر سنه واشتغل بخطيئته عن النظر في أحوال الرعية والحق أن تكون أنت متوليا على بني اسرائيل ودخلوا على داود وتكاموا معه في ذلك ولا زالوا به حتى خلع نفسه من الملك وولى ابنه سليمان ثم ان داود خرج من بني اسرائيل ولحق بالجبل فاجتمع أعيان بني اسرائيل وجاؤا الى سليمان وأشاروا عليه بقتل أبيه فلما بلغ داود أرسل يقول لابنه سليمان هل سمعت قط بابن قتل أباه قبلك ولكن ان جعل الله قتلي على يد بني اسرائيل فلا تحضر أنت قتلي فانه يصير ذلك سنة من بعدك فلما بلغ سليمان ذلك لم يوافق بني اسرائيل على قتل أبيه قال السدي لما تاب الله على داود وأراد أن يرجع الى ملكه ركب وحارب ابنه سليمان حتى هزمه عن المدينة وقتل في هذه الوقعة نحو العشرين ألفا من بني اسرائيل وهرب سليمان فلحقه قائد من قواد ابيه فلما ظفر بسليمان تركه للمجاهدة والغزوات هكذا نقله ابن كثير

﴿ذكر قصة داود وسليمان في الحرث﴾ قال الله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما كان الحرث زرعا وذلك أنه دخل على داود رجلان واحد صاحب زرع والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان هذا الرجل انفلتت غنمه ليلا فوقعت في حرثي فأكلته ولم يبق منه شئ فقال داود عليه السلام لخصمه أعطه الغنم التي أكلت الزرع في نظير زرعه وكان ابنه سليمان حاضرا فلما سمع ذلك قال لابيه انك لم تأت بشئ فيما قضيت به فقال له داود وكيف تقضي أنت بينهما فقال سليمان آمر صاحب الغنم بان يدفع الغنم الى صاحب الزرع سنة كاملة فيكون له نسلها ولبنها وأصوافها فاذا كان العام القابل وصار الزرع كهيئته يوم أكل فأسلم الزرع الى صاحبه والاغنام الى صاحبها فقال داود القضاء على ما قضيته أنت وحكم داود بما قاله ابنه سليمان ثم ان داود استخلف ابنه سليمان على بني اسرائيل وكان لسليمان يومئذ ثلاثة عشر سنة فشق ذلك على بني اسرائيل وقالوا كيف يستخلف علينا غلاما صغير السن وفينا من هو أعلم منه فلما بلغ داود ذلك جمع أعيان بني اسرائيل من أسباط اولاد يعقوب عليه السلام فلما اجتمعوا قال لهم كيف تقولون في أمر سليمان فليجئ كل منكم بعصا ويكتب اسمه عليها ويجئ سليمان بعصا ويكتب اسمه عليها ثم أدخلوا العصي كلها الى بيت واقفلوا بابه فمن أورقت عصاه فهو أحق بالخلافة فقالوا كلهم رضينا ذلك فادخلوا عصيهم كلها ووضعوها في بيت وقفلوه كما أراد وافلما أصبحوا وجدوا العصي كلها على حالها الا عصا سليمان فانها صارت مورقة فلما رأت بنو اسرائيل ذلك علموا أن سليمان هو الخليفة عليهم من بعد

أبيه داود واستمر على عبادة الله تعالى معتكفا حتى مات قال ابن كثير لما مات داود مشى في جنازته اربعون ألف راهب وعليهم البرانس السود ودفن في خارج باب بيت المقدس وقبره مشهور يزار عليه السلام انتهى على سبيل الاختصار

ذكر قصة نبي الله سليمان عليه السلام قال الله تعالى وورث سليمان داود قال الثعلبي كان لداود عليه السلام تسعة عشر ولدا وكان سليمان اصغر أولاده قال السدى كان سليمان أفقه من أبيه وأقضى منه في الحكم ولكن كان داود أشد تعبدا قال السدى والثعلبي لم يملك الدنيا كلها سوى اربعة مؤمنين وكافرين فأما المؤمنان فهما سليمان بن داود وذو القرنين وأما الكافران فهما النمروذ بن كنعان وشداد بن عاد قال الله تعالى حكاية عن سليمان قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فاجاب الله دعاءه وأعطاه (سؤال لطيف) قال بعض العلماء كيف طلب سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده والانبياء من شأنهم الزهد في الدنيا (الجواب) اعلم ان سليمان عليه السلام أعلم بذلك فقال أولا رب اغفر لي ثم طلب الملك بعد طلب المغفرة وهو قوله رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي قال السدى سبب طلب سليمان الدنيا ان جبرائيل عليه السلام جاء الى سليمان وقال له ان الله تعالى يأمرك ان تمضي الى مكان كذا وكذا فان هنالك امرأة ارملة ولها عند الله منزلة فامض اليها وارفع عنها حوائج الدنيا وجميع ماتحتاج اليه من اكل وكسوة وغير ذلك فقال سليمان لجبرائيل ان الله تعالى يعلم اني عبد فقير لا املك من الدنيا شيأ وكان سليمان يصنع القفف بيده ويبيعها ويأكل من ثمنها هو وعياله ولا يقرب بيت مال المسلمين فأوحى الله الى سليمان اطلب مني ماتريد فلما رأى الاذن من الله في الطلب فطلب وما قصر فطلب المغفرة والملك فاستجاب الله دعاءه وأعطاه الدنيا من مشرقها الى مغربها قال وهب بن منبه ان سليمان لم يطلب الدنيا لنفسه وانما طلب ان يكون أمورها اليه حتى يعدل بين الناس وينصف المظلوم من الظالم ويجود على الفقراء والمساكين فان الدنيا مع العبد الصالح في يده لا في قلبه فان كان بالعكس فتغوى النفس وقول سليمان لا ينبغي لاحد من بعدي لان الله الهمه العدل في الرعية فعلم ان غيره لا يقدر على مثل عمله وكان سليمان متواضعا يجالس الفقراء والمساكين ويأكل معهم ويحدثهم كأنه منهم وكان لا يشبع بطنه من خبز الشعير ولا يلبس الا الصوف مع سعة ملكه ولا ينفق الا من عمل يده قال وهب بن منبه ان الله تعالى سخر لسليمان الأنس والجن والوحوش والطيور والريح فكان الريح يحمل بساطه الى مسيرة شهر في غدوة من النهار وهو قوله تعالى غدوها شهر ورواحها شهر قال السدى كان طول بساط سليمان فرسخا وهو مركب على أخشاب قال مقاتل ان

الجان نسجت له البساط من حرير ملون وهو مرقوم بالذهب وكان يحمل عليه جنوده ودوابه وخيوله وسائر الانس والجن والوحش والطير وكان جيش سليمان ألف ألف انسان ويتبعها ألف ألف من الجان وغيرهم وكان هذا البساط يسير بين السماء والارض مثل السحاب ودونه الى الارض فان أراد يسيره بسرعة أمر الريح العاصف يحمل ذلك البساط فيسير كالبرق الى حيث شاء وكان البساط اذا سار لم يحرك انسانا ولا دابة ولا شجرة واذا امرت على الزرع في الارض لا يتحرك منه ورقة وكانت ريح الصبا واقفة بين يديه فاذا تكلم أحد من المشرق أو من المغرب تحمل الريح ذلك وتلقيه في أذن سليمان قال الزمخشري كان لسليمان كرسي من الذهب برسم الامراء والاعيان وحول ذلك الكرسي ثلاثة آلاف كرسي من الذهب والفضة قال السدي كان لسليمان ألف قصر مبنية من قوارير وفيها ثلاثمائة امرأة وألف سرية قال كعب الاحبار كان جيش سليمان اذا نزل في الفضاء يملأ مائة فرسخ فكان منها خمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وكان الطير يظله من حر الشمس وقت القائلة قال الثعلبي كان راتب مطبخ سليمان في كل يوم مائة ألف شاة وأربعين ألف بقرة خارجا عن الفواكه والحلاوات وغير ذلك ومع هذا كله لم يرجع عن أكل خبز الشعير بالملح الجريش وكانت الجن يغوصون له البحار ويستخرجون له منها الدرر الكبار ويجعلونها بين يديه وذلك قوله تعالى ومن الشياطين من يغوصون له الآية قال الثعلبي ان سليمان كان اذا جلس في موكبه تقف الغلمان الحسان على رأسه بأطباق من الذهب وهي مملوءة من المسك السحيق وفيها صحف من الياقوت الاحمر وفيها شئ من ماء الورد وفوقها طيور صغار مثل العصافير ترفرف بأجنحتها وتنزل في ماء الورد وتتمرغ في ذلك المسك وتطير وتنفض على الكبير والصغير من جيشه قال السدي لم يقع لاحد من ملوك الارض مثل ما وقع لسليمان وذلك ان الريح مركبه والبحار خزائنه والجن خدمه والملائكة حفظته والطير من الشمس تظله والوحوش تحرسه وكان آصف بن برخيا وزيره والاسم الاعظم مكتوبا على خاتمه وقيل ان سليمان تأمل ذلك وأعجب بنفسه فمال البساط من تحته في قوة سيره فهلك من جيشه نحو اثني عشر ألف انسان في ساعة واحدة فلما رأى سليمان ذلك ضرب البساط بقضيب كان في يده وقال اعتدل أيها البساط فأجابه البساط من تحته وقال له اعتدل أنت ياسليمان حتى اعتدل أنا فعلم ان البساط مأمور فخر سليمان ساجدا قال وهب بن منبه فلما اتسعت الدنيا عليه نسي الارملة التي تقدم ذكرها فلما تذكرها أضرب وتوجه اليها وهو ماش على قدميه فوقف على بابها فأذنت له بالدخول فدخل فوجد المرأة عمياء

وحولها ثلاث بنات فقالت ياسليمان يوصيك الله بي وتغفل عني هذه المدة الطويلة
فاعتذر لها سليمان من ذلك وقال لها منذ كم وأنت عازبة فقالت له منذ عشر سنين
ومعي ثلاث بنات ولم يكن لي ما يكفيهم من القوت فلما سمع سليمان ذلك حمل اليها
مائة رحل ما بين قماش ومال وغير ذلك وقال لها متى فرغ من عندك شئ فارسلي
اعلميني حتى ارسل اليك عوضه فان الله أمرني أن أكفيك هم الدنيا وأمر المعيشة
قال أبو عمر بن الجوني بينما سليمان سائر على بساطه بين السماء والارض اذ مر برجل
راع فلما رأى الراعي البساط وسليمان وجنوده ركوبا عليه قال لقد آتاك الله يا ابن
داود ملكا عظيما لم ينله أحد قبلك فالقت الريح كلام الراعي الى سليمان فاحضر
سليمان الراعي وقال له ان تسبيحة من مؤمن أفضل مما أوتي سليمان من هذا الملك كله
(ومن النكت) الغريبة ما نقله الشيخ عبد الرحمن بن سلام المقري في كتاب العقائد
ان سليمان لما رأى ان الله تعالى أوسع له الدنيا وصارت بيده قال الهي لو أذنت لي ان
اطعم جميع المخلوقات سنة كاملة فأوحى الله اليه انك لن تقدر على ذلك فقال الهي
أسبوعا فقال الله تعالى لن تقدر فقال الهي يوما واحدا فقال تعالى لن تقدر فقال الهي
ولو يوما واحدا فاذن الله تعالى له في ذلك فامر سليمان الجن والانس بأن يأتوا بجميع
ما في الارض من أبقار وأغنام ومن جميع ما يؤكل من اجناس الحيوان من طير
وغير ذلك فلما جمعوا ذلك اصطنعوا له القدور الراسيات ثم ذبح ذلك وطبخه وأمر
الريح ان تهب على الطعام لئلا يفسد ثم مد ذلك الطعام في البرية فكان طول
ذلك السماط مسيرة شهر وعرضه مثل ذلك ثم أوحى الله تعالى اليه ياسليمان بمن تبتدئ
من المخلوقات فقال سليمان ابتدئ بدواب البحر فامر الله حوتا من البحر المحيط ان
يأكل من ضيافة سليمان فرفع ذلك الحوت رأسه وقال ياسليمان سمعت انك فتحت
بابا للضيافة وقد جعلت عليك ضيافتي في هذا اليوم فقال سليمان دونك والطعام
فتقدم ذلك الحوت وأكل من أول السماط فلم يزل يأكل حتى اتى الى آخره في لحظة
ثم نادى أطعمني ياسليمان واشبعني فقال له سليمان اكلت الجميع وما شبعت فقال
الحوت هكذا يكون جواب أصحاب الضيافة للضيف اعلم ياسليمان ان لي في كل يوم
مثل ما صنعت ثلاث مرات وأنت كنت السبب في منع راتبي في هذا اليوم وقد
قصرت في حقي فعند ذلك خر سليمان ساجدا لله تعالى وقال سبحان المتكفل بارزاق
الخلائق من حيث لا يعلمون وقد قيل في المعنى

رزقي يأتي وخالق يكفله ❋ لا اقصد غيره ولا أسأله
ان كنت أظن انه من بشر ❋ لا قدره الله ولا يسره

(ومن النكت) اللطيفة ما ذكره ابن الجوزي في كتاب الاذكياء ان الهدهد

قال يوما لسليمان اريد ان تكون في ضيافتي يوم كذا وكذا فقال له سليمان انا وحدي قال لا بل انت وجنودك فلما جاء يوم الميعاد توجه سليمان هو وجنوده الى ضيافة الهدهد ونزل بجزيرة الهدهد فطار الهدهد الى الجو وغاب ساعة ثم أتى وفي فمه جرادة فخنقها ورمى بها في البحر وقال له يانبي الله تقدم وكل انت وجنودك ومن فاته اللحم فعليه بالمرقة فضحك عليه سليمان فصار كلما تذكر تلك الضيافة سليمان يضحك (ومن النكت) مثل ذلك القنبرة أضافت سليمان واتته ببعض جرادة فقيل في معناها

أتت سليمان يوم الحرب قبرة * تهدي اليه جرادا كان في فيها

وانشدت بلسان الحال قائلة * ان الهدايا على مقدار مهديها

لو كان يهدى الى الانسان قيمته * لكان قيمتك الدنيا وما فيها

* ذكر قصة تزويج سليمان ببلقيس * قال وهب بن منبه بينما سليمان عليه الصلاة والسلام جالس على سرير مملكته اذ وقع عليه ضوء الشمس وكان الطير يظله من حر الشمس فكان ذلك المكان الذي وقع منه البعض من نور الشمس مكان الهدهد لانه تفقد الطير فقال مالي لا ارى الهدهد ودعا بالعقاب وكان عريف الطير فقال له اين الهدهد فارتفع العقاب وسار يمينا و يسارا فلم يره فعاد وقال انه غائب وفي المعنى أنشد بعضهم

ومن عادة السادات ان يتفقدوا * أصاغرهم والمكرمات عوائد

سليمان ذو ملك تفقد طائرا * وكانت أقل الطائرات الهداهد

فعند ذلك قال سليمان يعني الهدهد لاعذبنه عذابا شديدا الآية قال بعض العلماء في معنى عذابه الشديد ما هو فقيل بان ينتف ريشه و يسلمه الى النمل في القيلولة أو يضعه مع غير جنسه أو يذبحه فلما اقبل الهدهد تلقاه العقاب وأخبره بما قاله سليمان فلما وصل اليه وقف بين يديه وخفض جناح الذل فلما رأى سليمان ذلك منه رق له ولم يعجل عليه وسأله عن سبب غيابه فقال الهدهد أحطت بما لم تحط به علما فقال له سليمان وما هذه الدعوى العريضة قال اني وجدت امرأة بأرض اليمن لم يكن في قصرك مثلها ولا تقع العيون على احسن منها واسمها بلقيس ولها عرش عظيم اى أكبر من عرشك وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله تعالى قال الطبري ان اسم بلقيس بلقمة وهي بنت هداد بن شرحبيل فلما بلغ سليمان سيرة بلقيس وانها تسجد للشمس من دون الله أخذ سليمان يدعوها للاسلام فقال للهدهد سننظر أصدقت ام كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون وكان نص كتاب سليمان انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا علي وائتوني مسلمين فأخذ الهدهد كتاب سليمان ومضى به

الى ارض سبا وهو قوله جئتك من سبا أي من نواحي اليمن فسار الهدهد والطيور حوله والبسه سليمان التاج على رأسه فحمل الكتاب في منقاره وصار يدعو من يؤمن رسول سليمان فلما وصل الى قصر بلقيس وكان وقت القائلة وجدها على سريرها نائمة وكان في قصرها ثلثمائة وستون كوة تشرق الشمس كل يوم من كوة فلا تعود اليها الا في سنة اخرى في مثل ذلك اليوم وكان لذلك القصر سبعة أبواب فلما أتى الهدهد بالكتاب دخل به من الكوة التي تقابل وجه بلقيس والقى الكتاب على صدرها ثم رجع الى تلك الكوة التي دخل منها لينظر ماذا تصنع فلما انتبهت من منامها وجدت الكتاب على صدرها فلما قرأته قبلته ووضعته على رأسها قال السدي لما القى الهدهد الكتاب على صدر بلقيس طار الشرك من قلبها ومالت الى الاسلام ثم انها أمرت باحضار قومها وقالت أيها الملأ اني ألقي الي كتاب كريم قيل كرامته ختمه فاعلمتهم بما في الكتاب فلما سمعوا ذلك قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين وكانت بلقيس تحكم على اثنتي عشرة قبيلة من قبائل اليمن فلما قال قومها نحن أولو قوة واولو بأس شديد قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا أعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون واني مرسلة اليهم بهدية فنظارة بم يرجع المرسلون وكانت بلقيس من ذوي العقول قد دبرت ملك اليمن وسياسة الرعية أحسن سياسة قال قتادة ان بلقيس ارسلت الى سليمان هدية حافلة أرسلت خمسمائة لبنة من الذهب والفضة وزن كل لبنة مائة رطل وخمسة اسياف من الصواعق وتاجين من الذهب فيهما من الجواهر النفيسة واليواقيت والزبرجد وارسلت اليه حقة فيها درة مثمنة وخرزة من الجزع وهي معوجة الثقب وارسلت مائة جارية ومائة غلام مردا وألبست الغلمان لبس الجواري والجواري لبس الغلمان ثم امرت الغلمان ان يتكلموا بكلام لين والجواري يتكلمن بكلام غليظ وارسلت مع تلك الهدية رجلا من عقلاء قومها يقال له المنذر بن عمرو وكتبت له كتابا بشرح الهدية وقالت ان كنت نبيا ميزلنا بين الجواري والغلمان وأخبر بما في الحقة قبل أن تفتحها وانقب الدرة ثقبا مستويا من غير علاج انس ولاجان واثقب الخرزة كذلك ثم قالت للرسول انظر اليه فان كان نظره اليك بغير غضب فهو نبي والا فهو ملك فلا يهولك امره وافهم قوله ورد علي الجواب كما تسمعه منه فلما توجه الى سليمان سبقه الهدهد واخبر سليمان بالهدية وبما قالته بلقيس جميعه فلما سمع سليمان بذلك رضي على الهدهد وصارت له فضيلة على سائر الطيور وكان يرى الماء تحت الارض فكان دليل سليمان على الماء في سفره وصار من الطيور المباركة ثم ان سليمان أمر الجن ان يعملوا لبنا من ذهب وفضة ويفرشوها على طريق جماعة

بلقيس فلما فرشوها جعلوا بين اللبنات موضعا خاليا على قدر اللبنات التى مع رسول
بلقيس قدرا وعددا وجلس سليمان على كرسيه فأمر الجن بان يأتوه باحسن دواب
البر والبحر فيجعلوها عن يمين الديوان وعن شماله وجعل من حوله الانس والجن
والطيور عاكفة فوق رأسه والوحوش حول ذلك كله فلما وصل رسول بلقيس ومر
على تلك اللبنات الذهب والفضة ورأى المحل الخالى بين اللبنات وضع الخمسمائة
لبنة فى ذلك المحل الخالى الذى جعله سليمان عنية له ومازال بعد ذلك سائرا حتى
دخل الرسول على سليمان فنظر اليه نظر البشاشة وقال له اين الحقة التى معك فأتى
بها فقال قبل ان يفتحها سليمان للرسول ان فيها درة مثمنة من غير ثقب وفيها خرزة
من جزع وهى معوجة الثقب فقال الرسول صدقت يانبى الله ثم ان سليمان امر الارضة
وهى دويبة صغيرة فأخذت شعرة فى فيها ودخلت فى تلك الخرزة وخرجت من
الجانب الآخر وامر دودة بيضاء ان تثقب تلك الدرة فثقبتها ثقبا مستويا ثم نظمهما
وأعطاهما للرسول ثم امر الجوارى والغلمان بأن يغسلوا وجوههم بين يديه بايديهم
فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها الواحدة ثم تجعله فى الاخرى فتضرب به وجهها
والغلام يأخذ الماء من الاناء دفعة واحدة ويضعه على وجهه قال الثعلبى كانت
الجارية تصب الماء على باطن كفها والغلام يصب الماء على ظاهر كفه فعند ذلك
ميز بين الجوارى والغلمان ثم رد جميع الهدية الى الرسول فلما رجع الرسول الى
بلقيس اخبرها بجميع مارأى وبما سمع وبما شاهد من عظيم ملكه فقالت بلقيس
هو نبى وليس لنا بحربه طاقة ثم انها ارسلت تقول لسليمان انى قادمة اليك انا
وقومى لانظر ماذا تدعوننا اليه من دينك وعزمت على التوجه اليه وجعلت عرشها
فى قصرها وأغلقت عليه الابواب وجعلت عليه حراسا وأوصتهم بحفظه ثم انها
توجهت الى سليمان فى اثنى عشر الفا من قومها فلما نزلت على مقدار فرسخين من
مدينة سليمان بلغه ذلك فأراد اخذ عرش بلقيس قبل ان تصل اليه ليريها قدرة الله
تعالى وما اعطاه من المعجزات فجمع أهل المعارف من قومه وقال أيها الملأ أيكم يأتينى
بعرشها قبل ان يأتونى مسلمين أى قبل ان يؤمنوا بالله فيحرم علينا أخذ أموالهم ثم
انه احضر الجن وقال لهم ذلك وكان فيهم عفريت من الجن يقال له صخر الجنى قال له
انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك هذا اى من مجلسك الذى تقضى فيه بين
الناس وهو من أول النهار الى نصفه والاصح انه الى قبل وقت الزوال وقال العفريت
وانى عليه لقوى امين اى أمين على الجواهر التى رصع بها العرش فقال سليمان اريد
اسرع من ذلك فقال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل ان يرتد اليك
طرفك قال مقاتل هو جبرائيل عليه السلام وقال السدى هو أبو العباس الخضر

عليه السلام وقال مجاهد هو آصف بن برخيا وكان يحفظ الاسم الاعظم فقال انظر يا نبي الله الى جهة اليمن فنظر فارجع نظره الا والعرش قد ظهر قدام كرسي سليمان وكان مجيئه من مسيرة شهرين فلما رآه مستقرا عنده في أيسر مدة قال هذا من فضل ربي فلما وصلت بلقيس ودخلت على سليمان قال لها أهكذا عرشك قالت كأنه هو فعلم سليمان انها امرأة عاقلة حيث لم تثبت انه هو ولم تنفه لاشتباهه عليها ثم قال لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة أي ماء فكشفت عن ساقيها فرأى سليمان على ساقيها شعرا مثل شعر المعزة فصرف وجهه عنها وقال انه صرح ممرد من قوارير أي زجاج مستوي وليس هو ماء ثم انه دعا بلقيس الى الاسلام فأسلمت على يده فأراد سليمان ان يتزوج بها انما كره منها ذلك الشعر فشكا ذلك الى بعض الجن فصنع لها النورة فزال ذلك الشعر من بدنها جميعه فهي أول من استعمل النورة ثم ان سليمان تزوج بها وأحبها حبا شديدا وجعلها على ملكها باليمن وأمر الجن ان يبنوا لها ثلاث قصور في بلاد اليمن أحسن من قصورها وكان سليمان يزورها في الشهر مرة وأقامت معه الى ان ماتت بعده بمدة يسيرة وكان لسليمان من الزوجات والسراري نحو السبعمائة سرية فقام في ذهنه يوما ان يطوف على نسائه كلهن فتحمل كل واحدة بغلام فيجاهدوا كلهم في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن في تلك الليلة فلم تحمل منهن امرأة سوى واحدة قد حملت بولد بنصف جسد قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال أخي سليمان ان شاء الله لجاءت له فرسان يجاهدون في سبيل الله كما طلب قال العزيزي بينما سليمان سائر في بعض الغزوات اذ مر بوادي النمل فسمع نملة تقول لبقية النمل يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فألقت الريح ذلك في أذن سليمان عليه السلام فتبسم ضاحكا من قولها ثم قال ائتوني بها فقال لها أيتها النملة لم حذرت النمل مني ومن جنودي أما علمت اني نبي لم أظلم فعفا عنها ولم يدخل الوادي التي فيه النمل قال بينما سليمان جالس في وقت القائلة اذا بخيل اسرع من الهواء وردت الماء وشربت منه ثم ادبرت مسرعة كالريح فجمع سليمان الجن وقال اريد ان تحضروا لي هذه الخيل فقال بعضهم لا طاقة لنا بها وقال بعض الجن نتحايل في قبضها فأتوها الجن ومسكوها ووضعوا اللجم في أفواهها وركبوها فلم تقدر أن تفر من اللجم فعرضوها على سليمان فاشتغل بها ففاتته صلاة العصر فلما رأى أن العصر قد فاته بكى وجعل يستغفر الله فرجعت الشمس له حتى صلى العصر حاضرا فلما فرغ من صلاته قال ردوها علي وطفق يقطع رؤسها وسوقها أي قوائمها لانها كانت سبب المعصية وفي شريعته يلزم زوال ذلك السبب الذي حصلت به المعصية فقتل نحو سبعمائة فرس

وهرب البعض وبقي البعض وقد استمرت تلك الخيول تتناسل من ذلك اليوم فكان
من نسلها الخيول الجياد السوابق الى الآن المعروفات بالاصائل

﴿ذكر قصة خاتم سليمان بن داود عليه السلام﴾ قال وهب بن منبه كان سليمان
لا يزال الخاتم معه في اصبعه دائما لا يفارقه ليلا ولا نهارا وكان اذا دخل الخلاء نزعه
من اصبعه ويوكل به أحدا ممن يثق به وكان على ذلك الخاتم مكتوب الاسم الاعظم
ففي مرة دخل الخلاء وكان قد نزعه واعطاه لجارية فجاء بعض الشياطين الى تلك
الجارية على صورة سليمان ولم تشك فيه الجارية فأخذ الخاتم منها ووضعه في اصبعه
وخرج الى الديوان وجلس على الكرسي فجاءت الجنود من الانس والجن والطيور
ووقفت بين يديه على عادتها وهم يظنون انه سليمان فلما خرج سليمان من الخلاء طلب
الخاتم من الجارية فنظرت اليه فرأت هيئته تغيرت فقالت له ومن أنت فقال لها أنا
سليمان بن داود فقالت له سليمان أخذ خاتمه وذهب وجلس على كرسيه فعلم سليمان
أن شيطانا احتال عليها وأخذ منها الخاتم ففر سليمان الى البراري والقفار وكان قد زاد
به الجوع والعطش فكان بعض الاحيان يسأل الناس ليطعموه ويقول انا سليمان
ابن داود ولم تصدقه الناس فاقام على هذه الحالة أربعين يوما جائعا باثواب خلقة
مكشوف الرأس ثم انه اتى الى ساحل البحر فرأى جماعة من الصيادين فاصطحب
بهم وعمل صيادا معهم ثم ان آصف بن برخيا قال يا معشر بني اسرائيل ان خاتم سليمان
قد احتالت الشياطين عليه فسرقوه وان سليمان خرج هاربا على وجهه فلما سمع
الشيطان الذي على الكرسي ذلك الكلام خرج هاربا الى البحر وألقى الخاتم
فالتقمه حوت من حيتان البحر ثم ان سليمان اصطاد ذلك الحوت بامر الله تعالى فشق
بطنه واذا هو بالخاتم فوضعه في اصبعه وسجد لله شكرا ثم انه قام من وقته ورجع الى
كرسيه وجلس عليه وذلك قوله تعالى ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا
الآية قال وهب بن منبه وكان سبب أخذ الخاتم وعوده اليه ان سليمان خرج
في بعض الغزوات فظفر بملك من ملوك اليونان فقتله واحتوى على ملكه
وأمواله وأسر اولاده وكان في أولاده جارية حسنة لم تر العيون أحسن منها فاحبها
سليمان حبا شديدا فكان لا يصبر عنها ساعة وكان يعلي شأنها بالمحبة على سائر نسائه
فدخل عليها يوما فرآها مهمومة فقال لها ما بالك قالت قد تذكرت ابي وما كان عليه
من الملك وأريد منك ان تأمر بعض الشياطين بان يصور لي صورة أبي وهيئته حتى
يذهب عني الحزن كلما نظرت اليها فامر سليمان عفريتا من الجن يقال له صخر المارد
بان يصور لها هيئة أبيها فصنع لها صخر صنما كهيئة أبيها يكاد ان ينطق فزينته
وألبسته التاج والحلل وصارت اذا خرج سليمان الى جنوده تسجد لذلك الصنم هي

و جميع من عندها من الجواري فدامت تلك الجارية على ذلك أربعين يوما وسليمان
لا يعلم بالسجود لذلك الصنم فبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا لسليمان
فجلس يوما على كرسي سليمان وجعل يعظ الناس فأثنى على من مضى من الانبياء
عليهم السلام جميعهم الا سليمان فلم يذكره بشيء فتغير سليمان بسبب ذلك فلما فرغ
آصف من المجلس وقام وتفرقت بنو اسرائيل قال سليمان لآصف لم تذكرني مع
جملة من ذكرت فقال آصف وكيف أذكرك وقد عبد في دارك صنم من منذ أربعين يوما
لاجل امرأة ثم ان سليمان أمر بكسر ذلك الصنم وعاقب تلك الجارية ودخل الى
معبده وصار يبكي ويتضرع الى الله تعالى فابتلاه الله بذهاب الخاتم ونزع الملك منه
مقدار ما عبد الصنم في داره قال أبو بكر الحافظ كان قد وقع قحط في بني اسرائيل في
زمن سليمان عليه السلام فخرجوا يستسقون فمر سليمان بنملة ملقاة على قفاها رافعة
يديها نحو السماء وهي تقول اللهم نجنا فانا خلق من خلقك ضعاف لا قوة لنا فلا
تهلكنا وتأخذنا بذنوب غيرنا فلما سمعها سليمان قال ارجعوا فقد سقيتم بدعاء غيركم
ذكر وفاة سليمان عليه السلام قال العزيزي ان ملك الموت أتى الى سليمان
وكان صديقا له وكثيرا ما يزوره فقال سليمان متى موتي فقال له عزرائيل عليه السلام
وقت موتك اذا خرجت من موضع سجودك شجرة الخروب فاذا رأيتها فهو وقت
وفاتك وكان سليمان اذا صلى ببيت المقدس ينبت في مكان سجوده شجرة فيسأل
الشجرة عن اسمها فتقول اسمي كذا ومن منافعي كذا ومن مضاري كذا فيكتب ذلك
ويأمر بغرسها في بستان له فبينما هو يصلي ذات يوم اذ رأى شجرة نبتت بين يديه فقال
لها ما اسمك فقالت له اسمي الخروبة قد جئتك بالاشارة لموتك وخراب هذا المسجد
يعني بيت المقدس فلما سمع سليمان كلامها أمر بغرسها في حائط البستان وكتب
منافعها ومضارها ثم لبس أكفانه ودخل الى محرابه واتكأ على عصاه وقال اللهم
اكتم موتي عن الجن حتى يعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب فأتاه ملك الموت
وقبض روحه وهو متكئ على عصاه ولم يزل كذلك سنة كاملة ولم يشعر أحد من
الانس والجن بموته ولم يشعروا بحاله وقد سلط الله تعالى الارضة على العصا فأكلتها
شيأ فشيأ فخر ملقى على الارض فلما سقطت به العصا علموا انه قد مات من سنة مضت
وهو قوله تعالى ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن
الآية أي تبين للانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين
من بناء بيت المقدس وغيره قال وهب بن منبه لما تولى الملك سليمان من أبيه داود
كان عمره يومئذ ثلاثة وعشرين سنة وتوفي سليمان وله من العمر مائة وثمانون سنة
واختلفوا في مكان قبره قيل دفن في طبرية وقيل ببيت لحم وقيل عند أبيه داود

بيت المقدس في المسجد وقبره هناك مشهور يزار والله أعلم انتهى على سبيل الاختصار

ذكر خبر بلوقيا وبناء بيت المقدس

قيل ان بلوقيا الاسرائيلي طاف في الارض فر بالبحر الثاني فرأى جبلا فيه كهف فدخل في ذلك الكهف فرأى سريرا من الذهب وعليه رجل ملقى على قفاه ويده على صدره والاخرى على بطنه وهو كالنائم وفي أصبعه خاتم عليه أربعة أسطر ورأى عند رأسه تنينين عظيمين فاراد بلوقيا أن يأخذ الخاتم من أصبعه فقام اليه التنينان وصعد من أفواههما النار وسمع قائلا يقول ويلك يا بلوقيا أتجسر على نبي الله سليمان وتنزع خاتمه من أصبعه فخرج بلوقيا وهو مرعوب قال الثعلبي أوحى الله الى داود عليه السلام أن يتخذ في بيت المقدس مسجدا فشرع في بنائه ومات قبل أن يستكمله فلما توفي داود أوصى ابنه أن يتمه فجمع سليمان الانس والجن وقسم عليهما الاعمال في البناء والسقوف والرخام ثم انه جعل فيه اثني عشر رباطا وأنزل كل سبط في رباط وأمر الجن أن يأتوه بمعادن الذهب والفضة والرخام الملوّن ومعادن الحديد والنحاس والخشب وغير ذلك ثم جعل في وسط المسجد قبة وجعل فيها عمودا أحمر من الذهب يتلألأ كالشمس فتستضيء به المسافرون في الليل وجعل تحت القبة اصطبلا لدوابه وصف فيها المعالف لخيوله وهي باقية الى الآن تزار وجعل طول ذلك المسجد سبعمائة ذراع بذراع العمل وجعل عرضه أربعمائة وخمسين ذراعا ثم سقفه بخشب الساج وصفحه بالذهب والفضة ووضع فيه الجواهر واليواقيت من سائر المعادن وجعل فوق ذلك السقف ألواحا من الرصاص لاجل حفظه من الامطار وفرش أرض المسجد بالرخام الملوّن فلم يكن يومئذ أحسن منه بناء فلما فرغ من بنائه صنع لجنوده وليمة حافلة قال السدي وكان بهذا المسجد من العجائب لوح من الرخام الابيض اذا نظر فيه انسان وكان ولد زنا يسود وجهه فيفتضح بين الناس وكان به عصا من الابنوس اذا مسها أحد وكان من أولاد الانبياء فلا يضره مسها واذا مسها أحد وكان من نسل غير الانبياء احترقت يده وكان به كلب من الخشب اذا مر به من كان عنده شيء من علم السحر ينبح عليه فيعلم الناس أنه ساحر ويسلب منه علم السحر وكان في المسجد باب اذا دخل منه ظالم يضيق عليه ذلك الباب حتى يتوب وكان بهذا المسجد السلسلة المقدم ذكرها وكان به عجائب كثيرة لا يسمع بمثلها قال العزيزي أقام سليمان في بناء هذا المسجد أربعين سنة وكان فيه من البنائين سبعون ألف بناء ومن النجارين ثمانون ألفا وكان له في كل ليلة ألف رطل دمشقي من الزيت برسم القناديل قال كعب الاخبار كان يجيء لهذا المسجد من البلاد في كل سنة ستمائة قنطار من الذهب والفضة لا سيما من بلاد الروم وروى في بعض الاخبار ان صخرة بيت المقدس يخرج من تحتها ماء عذب من

سائر البحار العذبة ثم تتفرق في الارض وفيه دفن كثير من الانبياء ولم يزل هذا المسجد عامرا حتى ظهر بختنصر وخرب البلاد فخرب به في جملة ما خرب به قال الثورى لما خرب بختنصر المسجد حمل منه ألف جمل من الذهب والفضة والجواهر انتهى

﴿ ذكر قصة بختنصر البابلي ﴾ وقيل اسمه بخت فارسى وذكر ما وقع له مع ارمياء عليه السلام قال وهب بن منبه كان ارمياء من سبط أولاد يعقوب عليه السلام قال السدى ارمياء استخلف على بنى اسرائيل فأوحى الله اليه ان هلاك بنى اسرائيل على يد رجل يقال له بختنصر وهو من ملوك بابل وكان بختنصر المذكور من ولد يافث بن نوح عليه السلام كان قد عمر دهرا طويلا قيل انه عاش الفا وخمسمائة سنة فلما سمع ارمياء ما اوحى الله تعالى اليه بكى وصاح وأتى الى ملك بنى اسرائيل وكان رجلا مؤمنا صالحا فاخبره بما أوحى الله تعالى اليه فلما سمع ذلك جمع اعيان بنى اسرائيل واخبرهم بما أوحى الله تعالى اليه وحذرهم من نزول هذه النقمة بهم وكان يحذرهم من أمور يفعلونها فمكثوا بعد ذلك الوحى ثلاث سنين وهم لا يزدادون الا طغيانا وفسقا ومعاصى فلما حلت بهم نقمة الله خرج بختنصر عليهم وأتى من نحو بابل وكان صحبته ستمائة ألف أمير من أمرائه واقفون بالرايات عند الجند والعشائر فلما زحفوا على البلاد ووصلوا الى بيت المقدس فقال ارمياء اللهم ان كان بنو اسرائيل على طاعتك فأبقهم وان كانوا عاصين فأهلكهم بشئ من قدرتك فحين دعا ارسل الله صاعقة من السماء على بيت المقدس فأهلكت من بنى اسرائيل جانبا عظيما واحرقت مكان القربان ثم دخل بختنصر الى بيت المقدس بمن معه من الجنود فهدم مسجد سليمان بن داود وأمر رجاله ان يرموا فيه ترابا فملؤه بالتراب ثم بالجيف وذبحوا فيه الخنازير واحرقوا التوراة التى كانت به ثم شرعوا فى القبض على بنى اسرائيل من كبير وصغير وصاروا يقتلوهم واستمر بختنصر ينهب ويقتل ويخرب فى البلاد والجوامع ويقتل الناس من الفرات الى العريش وهو على ماذكرناه من القتل والنهب والخراب ولم يرحم كبيرا لكبره ولا صغيرا لصغره قال الثعلبى لم يبق من بنى اسرائيل رجلا الا وقتله وأما الاطفال ففرقها على جنوده فاصاب كل رجل أربعة أولاد قال وكان فى هذه الاطفال جماعة من الأسباط من أولاد يعقوب ويوسف عليهما السلام وكان فيهم جماعة من أهل بيت داود وكان فيهم دانيال عليه السلام وكان يومئذ صغيرا لم يبلغ الحلم وهو قوله تعالى فجاسوا خلال الديار ثم ان بختنصر جعل الاسارى على ثلاث فرق فالشيوخ والعجائز والزمنى تركهم وجعل النساء الشابات فى الاسواق للبيع والشراء وفرق الاطفال وقتل الشباب والشجعان وحمل الاموال والتحف ورحل ورجع الى الشام ثم توجه الى مصر فقتل القبط بالسيف وخرب ما كان بها من العمارات

العجيبة والطلسمات وأخذ الاموال والتحف فرحل عنها وتركها خرابا بلقعا وبقيت مصر خرابا مدة أربعين سنة لا ساكن بها فكان النيل ينفرش على الارض ويذهب ولا يزرع احد عليه ثم ان بختنصر توجه الى بلاد الغرب وفعل كذلك ثم توجه الى بلاد السودان وفعل كذلك وهو أول من أحدث الكمين من العشائر في الحرب فكان بختنصر نقمة في الارض وجعله الله كالطاعون في الارض وقد ورد في الاخبار عن الله عز وجل قال من عصاني ممن يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني ثم رجع بعد ذلك بختنصر الى بابل قال الله تعالى وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة الآية فمن يومئذ تفرقت بنو اسرائيل في البلاد خوفا من بختنصر فنزلت طائفة بيثرب وطائفة بأيلة وغير ذلك من الاماكن واستمر بيت المقدس خرابا مدة سبعين سنة حتى عمره شخص من ملوك الفرس يقال له كيرش قال فمن يومئذ فقدت التوراة ونسى أمرها وصارت بنو اسرائيل لا يعرفون منها حرفا واحدا حتى ردها الله تعالى على لسان العزير عليه السلام قال السدى ان بختنصر أخرب بهذه الحركة نصف الدنيا انتهى ما أوردناه على سبيل الاختصار ﴿ذكر قصة العزير عليه السلام﴾

قال الله تعالى أو كالذى مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه أي لم يتغير قال قتادة طعامه من التين الاخضر وقال الطبرى كان طعامه من العنب الاسود وقد أتى عليه مائة عام ولم يتغير قال الله تعالى وانظر الى حمارك وكان حماره قد أماته الله بعده فأحيا الله أولا رأس العزير فصار ينظر الى العظام وكيف يكسوها الله لحما وأحيا له الحمار فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شئ قدير قال السدى جاء بعد بختنصر ملك من الجبابرة يقال له برد ادس وكان بمدينة أذربيجان وكان على دين المجوس فأباح للناس نكاح الامهات والاخوات وعبادة النيران ولم يزل على هذا الحال معمولا به عند الفرس الى زمن كسرى أنوشروان فأبطله في أيامه انتهى

﴿ذكر قصة دانيال عليه السلام﴾ قال الثعلبي لما أسر بختنصر الاطفال كما تقدم وأسر من جملتهم دانيال وأخذه معه الى أرض بابل فسجن دانيال وسجن معه جماعة من الاسباط ثم ان بختنصر رأى في منامه رؤيا أفزعته فسأل الكهان عنها فلم يجيبوه بشئ فجاء السجان وقال لبختنصر ان عندنا في السجن شابا يقول انه يفسر ما رأيت فقال آتوني به فلما احضر بين يديه لم يسجد له فقال لاى شئ لم تسجد لى فقال دانيال لا ينبغى السجود لغير الله فعجب منه وقص عليه ما قد رآه قال دانيال هذا أمر سهل وكانت الرؤيا أنه رأى صنما رأسه من نحاس وفخذه من حديد وساقه من فخار

ورأى حجرا نزل من السماء على ذلك الصنم فكسره ثم انتشر ذلك الحجر حتى ملأ المشرق والمغرب ورأى شجرة أصلها في الارض وفرعها في السماء ورأى عليها رجلا وبيده فأس يقطع بها فروع تلك الشجرة ثم ترك أصلها قائما على حاله فلما سمع دانيال فسرله ذلك على أحسن وجه ثم ان بختنصر اكرم دانيال وقربه وصار لا يتصرف بشئ الا برأيه فلما رأى المجوس ذلك نهوا بختنصر عنه وحذروه منه فأمر بقتله فحفر له اخدودا في الارض وألقاه فيها وألقى معه سبعين ضاريين فلما بات تلك الليلة وأصبح وجده بختنصر لم تضره السباع فقربه الملك بختنصر فحسده المجوس واتهموه فقالوا لبختنصر ان دانيال يقول انك تبول في الفراش كلما نمت وكان ذلك عارا عند الملوك فأمر بختنصر بوليمة وأحضر دانيال اليها وجاء الليل فأمر بختنصر دانيال أن ينام عنده تلك الليلة على فراشه وقال بختنصر للبوابين اذا خرج عليكم من يريد ان يبول فاقطعوا رأسه ولو كنت أنا فلما نام دانيال هو وبختنصر على فراش واحد حبس البول عن دانيال وانطلق على بختنصر فكان أول من قام يريد الخلاء فضى وهو يسحب أذياله لا يستطيع ان يرفع قامته من البول فرأته الحجاب فقاموا اليه بالسيوف فقال أنا بختنصر فقالوا كذبت انه أمرنا ان نقتل من خرج يريد البول فقتلوه عما اختاره وأهلكه الله لدانيال وأنجى الله دانيال وذكر بعض المؤرخين ان بختنصر مسخه الله وقام ممسوخا سبع سنين على صورة ثور فكان ذلك تأويل رؤياه فلما مات تولى بعده ابنه بلسطاس فأقام بعد أبيه اربعين سنة ثم ان دانيال توجه الى جهة سكندرية فاقام بها الى ان مات ودفن هناك وقبره مشهور يزار عليه السلام وهو اول من فرق بين الشهود عند الشهادة قال العزيزي لما فتحت مدينة سكندرية في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن يد عمرو بن العاص ودخلها المسلمون رأوا مخبأة مقفولة بأقفال من الحديد ففتحوها فوجدوا فيها حوضا من الرخام الاخضر مغطى برخامة خضراء فكشفوها فاذا فيها رجل وعليه أكفان منسوجة بالذهب عظيم الخلقة فقاسوا أنفه فزاد على شبرين فارسلوا أعلموا عمر بن الخطاب فأحضر عليا رضي الله عنهما وأخبره بذلك فقال علي رضي الله عنه هذا نبي الله دانيال فأرسل عمر رضي الله عنه بان يجددوا له اكفانا فوق ما عليه من الاكفان وان يحصن قبره حتى لا يقدر أحد على حفره فحفروا له قبرا في مدينة سكندرية

﴿ذكر قصة لقمان الحكيم عليه السلام﴾

قال وهب بن منبه كان لقمان عبدا صالحا ولم يكن نبيا قال عكرمة كان نبيا من أنبياء بني اسرائيل وكان أصله عبدا حبشيا وقيل نوبيا وكان اسمه لقمان بن سرون وكان رجل قصارا من بني اسرائيل من أهل مدينة أيله فاشتراه بثلاثين دينارا فأقام عنده مدة ثم أعتقه وكان ينطق بالحكمة وكان مقيما بمدينة الرملة قريبا من بيت المقدس

فكان بنو اسرائيل يأتون اليه ليسمعوا منه الحكمة والموعظة فلما اشتهر بالحكمة جاء اليه رجل من عظماء بنى اسرائيل فقال له يا لقمان ألم تكن عندنا بالامس عبد الفلان قال نعم فقال من أين لك هذه الحكمة قال بصدق الكلام و بترك مالا يعنى وكان نبى الله داود عليه السلام يأتى اليه ليسمع منه الحكمة ولم يزل لقمان بمدينة الرملة حتى مات ودفن بين المسجد الذى بها وبين السوق قال السدى دفن حول قبر لقمان سبعون نبيا ماتوا كلهم فى يوم واحد بالجوع والعطش وكان قد حاصرهم ملك من بنى اسرائيل حتى ماتوا وقد ذكر الله لقمان فى القرآن العظيم حيث قال ولقد آتينا لقمان الحكمة الآية قال وهب بن منبه كان من الانبياء ثلاثة سود الالوان لقمان وذو القرنين ونبى الله صاحب الاخدود

﴿ذكر قصة صاحب الاخدود﴾

قال وهب بن منبه كان ملك من ملوك الفرس وكان جبارا عنيدا فسكر ذات ليلة فنكح أخته فلما أفاق من سكره جمع العلماء الذين فى زمانه وقال لهم كيف الخلاص مما وقعت به فلم يجيزوا له ذلك فقالت أخت الملك ان من الرأى ان تخرج الى أهل مملكتك وتخبرهم بأن الله قد أحل نكاح الاخوات ففعل فانكر عليه نبى ذلك الزمان الذى بعثه الله اليهم فلما بلغ الملك انكار النبى عليه أحضره بين يديه وقال له أخبر الناس بأن الله قد أحل نكاح الاخوات فامتنع من ذلك وقال ان هذا لا يجوز ولا يحل ولا نكذب على الله فأمر الملك بأن يقتل فحفر له أخدودا فى الارض وجعل فيها نارا موقدة وقذفه فى تلك النار وقذف معه اثنى عشر ألف انسان من العلماء من بنى اسرائيل ممن خالف أمره انتهى

﴿ذكر قصة بلوقيا﴾

قال الثعلبى كان فى زمن بنى اسرائيل رجل يقال له أرشا وكان من علماء بنى اسرائيل وكان يقرأ فى الكتب القديمة فرأى فيها بعث محمد النبى صلى الله عليه وسلم فجمع ذلك كله فى صحيفة وخبأها عنده فى صندوق وقفل عليها قفلا وخبأ مفتاحه فى مكان غنى عنه وكان له ولد صغير يقال له بلوقيا فلما مات أبو بلوقيا أوصى ابنه بأن يقضى فى بنى اسرائيل من بعده فلما كان فى بعض الاوقات اذ رأى بلوقيا الصندوق فوجده مقفولا فسأل امه فقالت لا أدرى ما فيه ولا اعلم أين مفتاحه ثم ان بلوقيا كسر القفل وفتح الصندوق فرأى الصحيفة المكتوب فيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه خاتم الانبياء والمرسلين وان الجنة محرمة على الانبياء حتى يدخلها هو وأمته فلما قرأ الصحيفة أخرجها للعلماء بنى اسرائيل فلما سمعوا ببعث محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لبلوقيا كيف كان أبوك يعلم ذلك ولم يخبرنا والله لولاك لأحرقنا قبره لاجل أنه كتم علينا خبر سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ثم ان بلوقيا ودع أمه وقال يا أماه انى قد وجدت انه سيبعث نبى آخر الزمان وانى مسافر ولا أرجع حتى أقف على

اخباره

أخباره فقالت أمه بلغك الله مناك وسار من مصر فى طلب محمد صلى الله عليه وسلم
وطاف البلاد من المشرق الى المغرب حتى وصل الى البحر السابع ورأى العجائب
الكثيرة التى لم يرها غيره من الناس فمن جملة ما رأى فى جزائر البحار جزيرة فيها
حيات كأمثال الجمال الكبار وهن يقلن لا اله الا الله محمد رسول الله فقال لهم بلوقيا
السلام عليكن فقالت له الحيات ما سمعنا قط بمثل هذا وقال هذه سنة آدم فقالوا ومن
أنت فقال من بنى اسرائيل فقالوا لا نعرف آدم ولا بنى اسرائيل فقال لهم بلوقيا وكيف
عرفتم محمدا فقالوا نحن منذ خلقنا الله تعالى على هذه الصفة أمرنا بذلك ونحن من
حيات جهنم فقال لهم بلوقيا وكيف أخبار جهنم فقالوا سوداء منتنة تتنفس فى كل
سنة مرتين مرة فى الصيف فذلك الحر من نفسها ومرة فى الشتاء وذلك البرد من نفسها
ثم ان بلوقيا دخل الى جزيرة أخرى فرأى فيها حيات أعظم مما رأى أولا كأمثال جذوع
النخل ورأى بينهن حية صفراء ان مشت مشت حولها الحيات فلما رأين بلوقيا قلن
له من انت فقال أنا بلوقيا من بنى اسرائيل فقلن ما سمعنا بهذا الكلام من قبل وأنا
موكلة بجميع الحيات التى فى الدنيا ولولاى لشردت على بنى اسرائيل وقتلتهم فى يوم
واحد فمضى بلوقيا الى ان وصل الى البحر السابع فرأى من العجائب ما يطول شرحه
فمن جملة ما رأى جزيرة فيها نخيل من ذهب اذا طلع عليه الشمس يصير له لمعان كالبرق
فلا تستطيع الابصار رؤيته من شدة بريقه وفى هذه الجزيرة أشجار عظام حملها قد
يده الى حمل بعض الاشجار فنادته الملك عنى يا خاطئ فتأخر وجلس واذا هو بجماعة
نزلوا من السماء وبايديهم سيوف مسلولة فلما رأوا بلوقيا قالوا له كيف وصلت الى هذا
المكان فقال لهم أنا من بنى اسرائيل واسمى بلوقيا ومن تكونوا أنتم قالوا نحن قوم
من الجن المؤمنين كنا فى السماء فانزلنا الله الى الارض وأمرنا ان نقاتل كفار الجن فى
الارض فنحن نقاتلهم فتركهم بلوقيا ومضى فاذا هو بملك عظيم الخلقة واقف ويده
اليمنى فى المشرق والاخرى فى المغرب وهو يقول لا اله الا الله فتقدم اليه وسلم عليه
فقال له من أنت قال بلوقيا رجل من بنى اسرائيل خرجت فى طلب خاتم النبيين فقال
له بلوقيا ومن أنت قال أنا الملك الموكل فى ظلمة الليل وضوء النهار فقال له بلوقيا ما هذان
السطران اللذان فى جبينك فقال له مكتوب فيهما زيادة الليل والنهار وقصرهما فما
أمسك الليل الا بقدر معلوم وتقدم بلوقيا واذا بملك عظيم الخلقة وهو يقول لا اله الا الله
محمد رسول الله فسلم عليه فرد عليه السلام فسأله بلوقيا عما هو فيه فقال أنا ملك
موكل بالريح وبالبحر فلا أخرج الريح الا باذن من الله وانى ماسكه بيمينى وماسك
البحر بشمالى ولولا ذلك لهلك جميع من فى الارض فتركه بلوقيا ومضى حتى انتهى الى
جبل قاف واذا هو من ياقوتة خضراء وقد أحاط بالدنيا جميعها فمن شعاع ذلك ترى

سماء الدنيا زرقاء وقد وكل الله تعالى بهذا الجبل ملكا فاذا أراد الله أن يزلزل جانبا من
الارض أمر ذلك الملك ان يحرك العرق الذى يتصل بذلك الجانب الى جبل قاف
فتصير الزلزلة واذا أراد الله خسف قرية فيأذن الله لذلك الملك ان يقطع عرقها
من الارض فتنخسف فقال بلوقيا لذلك الملك وماوراء هذا الجبل فقال اربعون
الف مدينة غير مدائن الدنيا وهى من ذهب وفضة وليس يغشاها ليل ولا
نهار وسكان تلك المدائن ملائكة يسبحون الله لايفترون قال بلوقيا وماوراء تلك
المدن قال سبعون ألف حجاب كل حجاب قدر الدنيا ولا يعلم ماوراء تلك الحجب الاالله
تعالى فتركه ذلك ومضى حتى انتهى الى جبل فوجد فيه ملائكة على هيئة الغزلان
فسلم عليهم فردوا عليه السلام فقال لهم من أنتم قالوانحن ملائكة من ملائكة الله
نعبد الله ههنا منذ خلقنا فسألهم عن جبل يقابلهم عظيم وهو يرهج كالشمس
فقالوا هذا جبل الدنيا من ذهب و جميع معادن الذهب التى فى الارض فهى ممتدة
منه ثم تركهم ومضى حتى انتهى الى بحر عظيم وفيه حوتان عظيمان فسلم عليهما
فردا عليه السلام وقالا له من أنت يا خلق الله قال أنا بلوقيا من بنى اسرائيل جئت فى
طلب محمد خاتم النبيين هل عندكم ماتطعمونى فاخرجوا له من غيب الله رغيفا فاكله
فلم يجع بعد ذلك ثم انتهى الى جزيرة فرأى فيها طيرا اعظيم الخلقة حسن الهيئة وفيه
مايدهش العقول من حسن تركيبه وهو على شجرة وتحت الشجرة مائدة موضوعة
وعليها سمكة مشوية فدنا من الطائر وسلم عليه وقال له من أنت قال أنا ملك من ملائكة
الجنة ارسلنى الله بهذه المائدة الى آدم وحواء حين اجتمعا على جبل عرفات فأكلا
منها ثم أمرنى الله أن أضعها هنا وأقف عندها الى يوم القيامة وأمرنى ان أطعم منها كل
من جاء هنا يابلوقيا ولم ينقص منها شئ وهى على حالها فسأله ماحالها فقال الطائر
ان طعام الدنيا ينقص و يتغير بالمكث وأما طعام الجنة فلا ينقص ولا يتغير فقال له
بلوقيا هل يأكل من هذه احد فقال نعم ان الخضر أبا العباس يأتى أحيانا فيأكل ثم
يذهب فلما سمع ذلك بلوقيا اقام ليظفر بالخضر ويجتمع معه و يسأله فبينما هو ذات
يوم جالس واذا بالخضر عليه السلام قد أقبل وعليه ثياب بيض فقام اليه بلوقيا وسلم
عليه فرد عليه السلام فقال له بلوقيا يا أبا العباس خرجت فى طلب نبى آخر الزمان
حتى انتهيت الى هذا المكان فمكثت الى قدومك لتخبرنى فقال له يابلوقيا ان نبى
آخر الزمان لايظهر فى هذا الاوان ولا تدركه يابلوقيا أتدرى كم بينك وبين أمك قال
لا أعلم قال مسيرة خمسين عاما أتحب ان أضعك عند أمك فقلت نعم قال غمض عينيك
فغمضتهما فلم اشعر الا وأمى بجانبى ففتحت عيناى وسلمت على أمى وقلت لها من جاء
بى اليك يا أمى فقالت رأيت طائرا أبيض قد وضعك وذهب سريعا فقص على أمه

قصــته وخرج الى بنى اسرائيل وسـلم عليهم وسلموا عليه وسألوه عن حاله فى غيبته فاخـبرهم فجعـلوا يكتبون جميع مارأى من العجائب مدة أربعين سـنة فلم يحصوا ماعنده ممارأى قيل عاش نحوامن ألف سنة والله أعلم

ذكر قصة اسكندر ذى القرنين قال الله تعالى ويسئلونك عن ذى القرنين الآية قيـل هو من أولاد الضحاك وكان أصله من حمير وكان اسمر اللون وكانت أمه من بنات الروم وقيل انه اسكندر بن دارب ملك اصطخر وبابل والمدائن بالمشرق وقد كفله جـده ابوامه واسمه فيلسوف وكان ملك الروم قال الامام على رضى الله عنه وعكرمة كان اسكندر ذو القرنين من ولد يونان بن يافث بن نوح عليه السـلام قال بعضهـم كان طول انفه ثلاثة أشبار وقس على ذلك عظم رأسه وجثته ويقال انه هو الذى بنى المنارة بالاسكندريه وقيـل عاش نحو ألف سنة وزيادة واختلف فى نبوّته فقال وهب بن منبه كان عبـدا صالحا وقال عكرمة كان نبيا مرسـلا الى أهل بابل وكان قبـل ظهور عيسى بن مريم عليه السلام بثلاثمائة سنة قال الحسن البصرى كان ملـكا وغـزى النمرود بن كنعان وكان مسلما على ملة ابراهـيم الخليل عليـه السلام وكان فى زمن ابراهيم حاكما وهو الذى قضى لابراهيم فى وادى السبـع لمـارحل عن قومه ومرت هذه القصة عند قصة ابراهيم الخليل وكان اسكندر اذا مرّ على مكان ابراهـيم ينزل عن فرسه حتى يفوت ويركب وهو الذى ملك البلاد وقهر العتاة من العباد وفتح المدائن والحصون والقـلاع من المشرق والمغرب قال الامام على رضى الله عنـه كان الاسكندر يسير والله مساعده فتطوى له الارض ويسهل الله له الامور ببركة صلاحه وحسـن سيرته وقيل ماسبب تسميته ذا القرنين قال الامام على لما غزا ودعا الى عبادة الله ضربه قومه على جانب رأسه فأثرت تلك الضربة فغاب عنهـم ثم جاءهـم فضربوه على الجانب الآخر فأثرت فسمى ذا القرنين قال ابن عباس لما سار الى مغرب الشمس والى مشرقها سمى ذا القرنين وقيل انه رأى فى منامه انه ماسك بقـرون الشمس فسماه قومه ذا القرنين لماقص رؤياه عليهم وقيـل انه ملك الروم وفارس فسماه قومه ذا القرنين وقيـل كانت له ذؤابتان من الشعر فى رأسه فسمى بذى القرنين وقيل انه كريم الجدين فسمى بذى القرنين وقيل كان فى رأسه عظمان نائتان مثـل قرون الـكبش ويلبس عليهما عمامة فيستـرهما وهو أول من لف العمامة وأول من صافح بكفه وقيل انه سلك مكان الظلمة والنور فهذه عشرة اقوال فى ذلك قال وهب بن منبه ان اسكندر كان يخفى القرنين عن الناس ولم يظهر عليهما احد الا انه ذهب يوما الى الحمام فنزع عمامته عن رأسه فرآهما كاتبه فقال لكاتبه ان ظهر أمرى فيكون منك فكان الـكاتب يأخـذه الهيمان فلم يظهر الـكتمان ولم

يستطع الاظهار غير انه يخرج الى الفضاء وينادي و يقول اسكندر له قرنان فيذهب حال الكتم و يأتي وكان هناك قصبتان يسمعان صوته فلما كبرت القصبتان انطقهما الله فقالا الاسكندر له قرنان فشاع ذلك فقال عند ذلك الاسكندر هذا امر أراد الله اظهاره قال وهب بن منبه اوحى الله الى ذي القرنين في منامه اني باعثك في الارض الى سبع أمم مختلفة الالسن والصفات فأمتان يقال لهما هاويل وهي في قطر الارض الايمن وتاويل وهي في قطر الارض الايسر وأمتان أمة في طول الارض عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والاخرى عند مشرق الشمس يقال لها منسك وثلاث أمم في وسط الارض يقال لهم يأجوج ومأجوج قال ذو القرنين يارب وهل أقدر على محاربة هذه الامم العظيمة فأوحى الله اليه أني ألبسك هيبة وأسخر لك النور والظلمة حتى أجعلهما لك جندا قال الحسن البصري كان ذو القرنين اذا ركب يركب معه في خدمته من الجيوش ألف ألف واربعمائة ألف انسان وكان الخضر عليه السلام وزيره ومدبر ملكه فسار ذو القرنين بهذه الجيوش العظيمة حتى بلغ مغرب الشمس وهو قوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس الآية قال السهيلي هم قوم ناسك وكانوا من نسل قوم ثمود فلما نزل عليهم واحاط بهم من كل جانب بمن معه من الجيوش استدعاهم اليه وأوقفهم بين يديه ودعاهم الى توحيد الله فمنهم من آمن ومنهم من بقي على كفره فسلط الله على الذين داموا على كفرهم ظلمة شديدة بغبار عاصف ودخلت تلك الظلمة والغبار في أفواههم وآذانهم فايقنوا بالهلاك فجاؤا الى توحيد الله فتركهم ومضى الى أهل هاويل ففعل بهم مثل ما فعل بالاولى فآمنوا ثم سار حتى أتى الى القطر الايمن فدخل على أهل منسك وهم عند مشرق الشمس ففعل بهم كما فعل بالاول وقد قال الله تعالى حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قال السدي هم أهل منسك الذين هم عند مطلع الشمس قال الامام السهيلي لما بلغ ذو القرنين مطلع الشمس رأى هناك مدينة عظيمة يقال لها جابلقا ورأى لها عشرة آلاف باب بين كل باب وباب فرسخ ووجد أهل تلك المدينة بشعي المنظر عراة الاجساد وليس لهم من دون الشمس ستر فاذا دخلت الشمس عليهم دخلوا في اسربة تحت الارض من حر الشمس ليس لهم طعام الا ما تحرقه الشمس بحرها اذا طلعت فاذا مشت الشمس الى وسط الفلك طلعوا من الاسربة الى معاشهم فيتغذون مما أحرقته الشمس من طير ووحش وغير ذلك قال مجاهد ان أولئك القوم سود الالوان عراة الاجسام حفاة الاقدام وهم من جنس الزنج الاعلى وهم أمم لا يحصون لكثرتهم قال السدي ان الشمس تشرق عن عين ماء هناك فاذا طلعت على تلك العين تصير كهيئة الزيت في اللون من حر الشمس فتنفر من

تلك العين الاسماك على وجه الارض فتخرج القوم من الاسرية فيلتقطونها
ويأكلونها قال السدى لما بلغ الاسكندر مغرب الشمس ورأى هنالك العين
الحمئة التى ذكرها الله فى القرآن اذا غربت الشمس فى تلك العين يسمع لها
دكدكة مثل صوت الرعد القاصف وتفور تلك العين وتغلى كغليان القدر فيفض
ماؤها الى الارض مسيرة ثلاثة ايام فلا يمر ماؤها على طير أو وحش الا ويموت فتأكله
أهل تلك المدينة قال الثعلبى مر ذو القرنين على واد النمل فرأى كل نملة كالنخلة
فنفرت منها خيول الاجناد فجاء حتى مر بقوم آخرين فشكوا اليه وقالوا له ياذا
القرنين ان بين هذين الجبلين اقواما من خلق الله لانعرف أهم من الانس أم من
الجن يقال لهم يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض يفترسون الدواب والوحوش
ويأكلونها وهو قوله تعالى ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من
دونهما قوما لايكادون يفقهون قولا الآية قال بعض المفسرين ان افساد يأجوج
ومأجوج اللواط بمن يظفرون به كبيرا أوصغيرا فقال لهم ذو القرنين مامكنى فيه ربى
خير اى الذى اعطانيه ربى من المال خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم
ردما آتونى زبر الحديد قال السدى وجد الاسكندر معدن الحديد فاتخذ منه لبنات
من حديد وبنى بها السد قال الثعلبى ان ذا القرنين لما بنى السد قاس مابين الجبلين
ثم بنى ردما بلبن الحديد وجعل ارتفاعه من الارض نحو ستمائة ذراع وجعل عرضه
ثلثمائة ذراع فكان يضع اللبنتين من الحديد ويذوب النحاس ويجعله بينهما قال
الثعلبى كان مقدار مابين الجبلين مائة فرسخ فحفر أساس ذلك الردم حتى نبع الماء
منه ثم ردمه بالحديد حتى ارتفع بناء السد وساوى الجبلين فصار قطعة واحدة
من حديد قال الله تعالى وما استطاعوا له نقبا فعند ذلك قال ذو القرنين هذا رحمة من
ربى الآية قال ابن عباس رضى الله عنهما ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم
وقال يارسول الله انى رأيت سد يأجوج ومأجوج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
صفه لى فقال له الرجل انه ردم اسود وعليه صفائح من نحاس أحمر قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هو هو قال الثعلبى كان من بناء السد الى الهجرة النبوية ألف
وخمسمائة وثلاثون سنة وفى بعض الاخبار ان هذا السد يفتح فى آخر
الزمان عند اقتراب الساعة ويخرج منه يأجوج ومأجوج فيسيرون فى
الارض ويشربون نهر سيحون وجيحون وبركة طبرية فى يوم واحد ويأكلون
الاشجار والنبات جميعها فى يوم واحد فاذا كثر منهم الفساد فى الارض وحصل
منهم الضرر العام يرسل الله عليهم ريحا اسود مثل الريح الذى ارسله الله
على قوم عاد فيدخل فى أفواههم ويخرج من أدبارهم فيموتون اجمعون فى ساعة

واحدة فتحيف منهم الارض لكثرتهم فيرسل الله تعالى اليهم طيورا سود الهم اعناق كالخناقى فيلتقطونهم من الارض ويلقونهم فى البحر * ومن الحكايات * الغريبة ما حكاه ابو الحسين بن المناد البغدادى قال بلغنى ان امير المؤمنين الواثق بالله هارون ابن المعتصم راى فى منامه شخصا فقال له ان السد الذى بناه ذو القرنين قد انفتح وخرج منه يأجوج ومأجوج فانتبه من النوم مرعوبا فاحضر سلاما الترجمان وأمره ان يسافر الى مكان السد الذى بناه الاسكندر ويكشف اخباره ثم ان الواثق دفع اليه خمسة آلاف دينار وقال له هذه ديتك ادفعها الى اولادك ثم عين معه خمسين فارسا ثم كتب معه مراسيم الى من يمر عليه من النواب فى البلاد ثم ان سلاما الترجمان خرج من بغداد وسار معه الفرسان المذكورون الى ان وصل الى ارمينية فكتب له صاحب ارمينية الى ملك اللان ثم كتب له صاحب اللان الى ملك الخزر ج فلما وصل الى ملك الخزر ج ارسل معه جماعة من جنوده يدلونه على الطريق فلما سار من عنده مشى خمسة وعشرين يوما ودخل ارضا سوداء وخمة فسار فيها عشرة ايام فرأى بها مدائن خربة فسأل عن خراب تلك المدائن فقالوا هذه المدن التى كان يفسدها يأجوج ومأجوج حتى خربت وهى الى الآن خراب ثم سار من تلك المدائن الخراب حتى أشرف على مدينة فيها قوم يتكلمون بالعربية والفارسية ويقرؤن القرآن وعندهم المساجد والجوامع ويصلون الجمعة والجماعة فقال لهم صاحبها من اين اقبلتم قال لهم سلام الترجمان نحن رسل امير المؤمنين الواثق بالله هارون فلما سمعوا تعجبوا من قوله امير المؤمنين وهم يقولون ما سمعنا قط بهذا اللفظ الا فى هذا اليوم منكم فتركهم ومضى حتى اشرف على جبل املس وقدامه جبل منقطع وبينهما واد عرضه مائة وخمسون ذراعا قال السدى ان يأجوج ومأجوج لم يكن لهم مخرج الا من بين هذين الجبلين ومن ورائهم البحر المحيط ولولا ذلك ما كان يفيد السد شيأ ثم ان سلاما رأى عضادتين مما يلى هذا الجبل من جانبى الوادى عرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعا وكل ذلك مبنى بلبن الحديد ورأى دروندا من حديد طرفه على تلك العضادتين وطول ذلك الدروند على العضادتين مائة وعشرون ذراعا وفوق ذلك الدروند بناء السد الى راس الجبل الاملس وارتفاعه مقدار مد البصر اليه وفوق ذلك البناء شرافات من الحديد فى كل شرافة قرنان ينثنى كل واحد منهما على صاحبه وفى وسط ذلك البناء باب له درفتان عرض كل درفة منها خمسون ذراعا فى مثلها ارتفاعا وعلى ذلك الباب قفل طوله سبعة اذرع فى غلظ ذراع وله مفتاح معلق طوله ذراع ونصف وله اثنا عشر سنا كل سن قدر يد الهون وهو معلق فى سلسلة طولها ثمانية اذرع فى استدارة اربعة اشبار

ولذلك الباب عتبة عرضها عشرة أذرع وطولها مائة ذراع وقد جعل لتلك السد حارسا يركب كل يوم ومعه جماعة من قومه نحو عشرين فارسا وبايديهم المرزبات من الحديد فيضربون على ذلك القفل ثلاث ضربات ثم يصغون بآذانهم الى ماوراء الباب فيسمعون دويا كدوي النحل فيعلم يأجوج ومأجوج ان هناك حرسة وحفظة خلف الباب قال سلام الترجمان ورأيت بالقرب من السد عين ماء تجري وحول تلك العين آلة البناء وهي قدور من حديد ومغارف وبقية من لبن الحديد طول كل لبنة ذراع ونصف في سمك شبرين وقد مرت عليها الدهور وصدأت والتصق بعضها على بعض قال سلام فسألت أهل الحصون هل رأيتم احدا من يأجوج ومأجوج فقالوا نعم نراهم مرارا عديدة فوق شرافات السد وربما يقع منهم أحد الى الارض من الريح الشديد فكتب سلام ذلك جميعه كما رأى وسمع من السد وأخبار يأجوج ومأجوج فصار المكتوب درجا وعزم على الرجوع الى بغداد فسار في براري وقفار حتى خرج الى ارض سمرقند الى بغداد فكان مدة غيبته ثمانية وعشرين شهرا فلما دخل الى بغداد صار يحدث الناس بعجائب مارأى وما سمع انتهى أورد ذلك ابن الجوزي في كتابه تنوير القبس *ذكر أخبار يأجوج ومأجوج*

قال الحسن البصري ان يأجوج ومأجوج اصلهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام و يافث أبو الترك و يأجوج ومأجوج من الترك قال وهب بن منبه انما سمي الترك تركا لان ذا القرنين لما بنى السد على يأجوج ومأجوج كان منهم جماعة غائبون لم يعلموا ببناء السد فتركوا خارجا عن السد فسموا تركا وقال بعضهم ان يأجوج ومأجوج خلقوا من نطفة آدم حين فاض منيه لما أهبط الى الارض فاختلطت تلك النطفة بالتراب فخلق الله تعالى منها يأجوج ومأجوج وليس هم من حواء فانكر بعض العلماء هذا القول وقال انه ليس بصحيح قال ابن عباس رضي الله عنهما ان يأجوج ومأجوج تسعة أجزاء والعالم جميعه جزء واحد *ذكر صفاتهم*

قال السدي انهم على ثلاثة اصناف صنف كالنخل الطويل حتى قيل ان فيهم من طوله عشرون ذراعا وصنف منهم طوله وعرضه سواء يفترش احدى اذنيه ويلتحف بالاخرى فهذا الجنس لايترك وحشا ولا ذا روح الا ويأكله ومن مات منهم أكلوه وصنف منهم في غاية القصر فمنهم من طوله شبر وشبران لايموت احدهم حتى يرى له ألف ولد وهم لايحصون لكثرتهم وقيل في الاخبار ان يأجوج ومأجوج يلحسون السد بالسنتهم حتى يرون منه شعاع الشمس اذا غربت و يقولون غدا نفتحه فياتون اليه في اليوم الثاني فيجدونه كما كان اولا في الشدة والسمك وهذا دأبهم الى قيام الساعة فيلحسونه في آخر الزمان اذا جاء الوعد و يقولون غدا نفتحه و يقولون ان

ان شاء الله تعالى فلما يعودون فى اليوم الثانى يجدونه مفتوحا فيخرجون على الناس و يسيحون فى الارض و يأكلون الاشجار و يشربون الانهار و يرمون الناس بسهامهم و يفسدون على الناس معيشتهم و يأكلون زروعهم فيرسل الله عليهم الريح التى أهلك الله بها قوم عاد فيموتون فى ساعة واحدة وتنتن الارض من جيفهم فيرسل الله تعالى طيورا فتلتقطهم وتلقيهم فى البحر كما تقدم قال الثعلبى ان الناس يلتقطون اسلحتهم من الارض ولا يزالون يلتقطون ذلك سبع سنين

ذكر قصة دخول ذى القرنين الى الظلمات

روى الثعلبى عن الامام على رضى الله عنه انه قال لما سار ذو القرنين فى الارض فاراد أن ينتهى الى جانب الارض وكان الله تعالى قد وكل بذى القرنين ملكا من الملائكة يقال له رفائيل فكان يسير معه أينما سار فبينما هو يتحدث مع ذلك الملك فقال له ذو القرنين يارفائيل حدثنى عن عبادة الملائكة فى السماء فقال ان فى السماء من هو قائم لا يرفع رأسه ومن هو ساجد لا يرفع رأسه ابدا ومن هو راكع لا يرفع رأسه دائما ابدا فقال ذو القرنين أحب أن أعيش دهرا طويلا وأنا فى عبادة ربى فقال له الملك ان الله خلق عين ماء فى الارض فسماها عين الحياة فمن شرب منها شربة لم يمت الى يوم القيامة أو حتى يسأل ربه الموت فقال له ذو القرنين هل تعلم أنت مكان هذه العين فقال الملك لا أعلم مكانها ولكن كنت اسمع عنها فى السماء انها فى الارض المظلمة فلما سمع ذو القرنين ذلك من الملك جمع علماء زمانه جميعهم وسألهم عن هذه العين فقالوا لا نعلم لها خبرا فقال عالم منهم انى قرأت فى وصية آدم عليه السلام قال ان الله تعالى وضع فى الارض ظلمة وفى تلك الظلمة عين الحياة فقال ذو القرنين أين موضعها من الارض قال فى مطلع الشمس فاستعد ذو القرنين فى المسير اليها وقال لاصحابه أى الدواب أبصر فى الظلمة قالوا الحجورة البكارة فجمع ذو القرنين ألف حجرة بكارة ثم انتخب من جيشه ستة آلاف انسان من أهل العقول وأهل الجلد وكان الخضر أبو العباس وزيره فسار الخضر امام الجيش وجدوا فى المسير نحو مطلع الشمس جهة القبلة فلا زالوا يجدون فى السير نحو اثنتى عشرة سنة حتى بلغ طرف الظلمة فاذا هى ظلمة تفور مثل الدخان لا كظلمة الليل فنهاه عقلاء جيشه عن الدخول فيها وقالوا له أيها الملك ان الملوك السابقة لم يدخلوها لانها مهلكة فقال لا بد من ذلك فلما رأوه عازما على الدخول تركوه فقال لهم أقيموا مكانكم هذا مدة اثنتى عشرة سنة فان جئتكم فيها ونعمت والا فامضوا الى بلادكم ثم قال ذو القرنين للملك رفائيل اذا سلكنا هذه الظلمة هل يرى بعضنا بعضا فقال لا ولكن انا أدفع اليك خرزة اذا طرحتها على الارض تصيح بصوت عال يرجع اليكم من يضل عنكم من

رفقائكم ثم ان ذا القرنين دخل الى تلك الظلمة ومعه بعض جماعة من جيشه فسار فيها ثمانية عشر يوما لا يرى شمسا ولا قمرا ولا ليلا ولا نهارا ولا طيرا ولا وحشا فسار هو والخضر فبينما هما يسيران فيها اذ أوحى الله الى الخضر ان العين فى أيمن الوادى ولم أخص بها غيرك من الناس فلما سمع الخضر ذلك قال لاصحابه قفوا مكانكم ولا تبرحوا حتى آتيكم فسار الخضر فى ذلك الوادى فظفر بالعين فنزل الخضر عن فرسه وتجرد من أثوابه ونزل فى تلك العين واغتسل منها وشرب فوجد ماءها أحلى من العسل فلما اغتسل وشرب طلع منها ولبس اثوابه ثم ركب ولحق بذى القرنين ولم يشعر بما وقع للخضر من رؤية العين والاغتسال قال وهب بن منبه ان الخضر كان ابن خالة اسكندر ذى القرنين واستمر اسكندر دائرا فى تلك الظلمة اربعين يوما اذ لاح له ضوء مثل البرق فرأى الارض بذلك النور فوجدها رملة حمراء وسمع خشخشة تحت قوائم الخيل فسأل الملك عن تلك الخشخشة فقال له هذه خشخشة من أخذ منها ندم ومن لم يأخذ منها ندم فحمل منها الجيش شيأ قليلا فلما خرجوا من تلك الظلمة وجدوها من الياقوت الاحمر والزمرد الاخضر فندم من أخذ حيث لم يكثر وندم الذى لم يأخذ وقال ليتنى أخذت كثيرا (ومن النكت) ما قال فى أمر الطمع نقل الشعبى ان رجلا من بنى اسرائيل فى أيام نبى الله سليمان رأى رجلا صاد قبرة فانطقها الله تعالى فقالت ما تفعل بى فقال أشويك وآكلك فقالت انا ما أشبعك ولا أغنيك من جوع فان اطلقتنى اعلمك ثلاث فوائد يحصل لك بهن خير افقال لها هات فقالت الفائدة الاولى أعلمك بها وانا على كفك والاخرى اعلمك بها وانا على الجبل والثالثة اعلمك بها وأنا على الشجرة فوضعها على كفه وقال لها هات ما عندك فقالت لا تندم على ما فات ثم طارت وقالت له الفائدة الثانية لا تفرح بما هو آت والفائدة الثالثة لا تصدق بما لا يكون ان يكون ثم قالت انا اعلمك عن شئ فاتك وهى أن فى حوصلتى جوهرة لو ذبحتنى لحصلت عليها فندم على اطلاقها فقالت له أفدتك أولا وثانيا وثالثا فلم تستفد لندمك على اطلاقى وقد فات ما فات منى فصدقت ان عندى جوهرة ومن أين لى بالجوهرة وهذا من دلائل الطمع قال السدى فلما انتهى ذو القرنين فى الظلمة لاح له قصر من نحاس اصفر طوله فرسخ وعرضه فرسخ وله باب من حديد فنزل عن فرسه ودخل القصر فرأى طائرا أبيض قدر البختى فدنا منه وسلم عليه فانطقه الله فرد عليه السلام وقال أما كفاك ما فعلت حتى جئت الى هذا المكان فقال له ذو القرنين انى سائلك عن أشياء فاخبرنى عنها فقال سل ما بدا لك فقال ما وراء هذه الظلمة قال جبل قاف فقال الطائر وانى سائلك عن أشياء فقال ذو القرنين قل ما بدا لك فقال الطائر هل فشا فيكم الزنا وشرب الخمر قال نعم فانتفض ذلك

الطائر وصار ملئ القصر وصار له صوت كالرعد القاصف ثم قال هل فشا فيكم الربا وشهادة الزور قال نعم فانتفض الطائر وفعل كالاول ثم قال هل كثر فيكم البناء المزخرف قال نعم فانتفض وفعل مثل الاول حتى سد ما بين الخافقين ففزع منه ذو القرنين ثم قال الطائر هل ترك الناس شهادة ان لا اله الا الله قال لا فانضم قليلا ثم قال هل ترك الناس صلاة الفريضة قال لا فانضم قليلا ثم قال هل ترك الناس الغسل من الجنابة قال لا فانضم قليلا حتى عاد مثل ما كان عليه أولا ثم قال يا اسكندر اصعد على ظهر هذا القصر وانظر ما فوقه فلما صعد اذا هو بشخص حسن المنظر قائم على أقدامه شاخص الى السماء وفي فيه بوق من نور فلما رأى ذا القرنين قال له من أنت قال أنا ذو القرنين قال ما كفاك ما فعلت في الارض حتى وصلت الى هذا المكان فقال اسكندر من أنت أيها الشخص المبارك قال انا اسرافيل صاحب الصور فقال مالى أراك شاخصا قال أنتظر أمر ربي متى يأذن لي في النفخ ثم ان اسرافيل أخذ حجرا من بين يديه ودفعه الى ذي القرنين وقال خذ هذا الحجر فان شبع هذا الحجر شبعت وان جاع جعت فأخذه ذو القرنين ورجع حتى وصل الى جنده الذين تركهم خارج الظلمة فأخذ يحدث جنوده فيما رأى من العجائب ثم ان ذا القرنين جمع العلماء الذين كانوا في عصره وأخرج لهم ذلك الحجر الذي أعطاه له صاحب الصور فوضعوه في كفة ميزان ووضعوا حجرا قدره في الكفة الاخرى ثم رفعوا الميزان فمال الحجر الذي أعطاه له صاحب الصور فلا زالوا يضعون حجرا بعد حجر حتى وضعوا ألف حجر وذلك الحجر يميل فقالت العلماء قد انقطع علمنا دون هذا الحجر فاحضر ذو القرنين الخضر وسأله عن ذلك فأخذ الخضر كفا من تراب ووضعه مقابل الحجر في الميزان ثم رفعه فاستوى التراب مع الحجر الذي أعطاه له صاحب الصور فقال العلماء هذا من العلم الذي لم نبلغه نحن ولا أمثالنا فقال الخضر هذا مثل ضربه لك صاحب الصور فان الله قد ملكك البلاد وحكمك في العباد وأعطاك ملكا كبيرا وأنت لا تقنع ولا تشبع دون ان تكون في التراب فعند ذلك بكى ذو القرنين (ومن اللطائف) عند أهل الظرف والطرائف قال أبو الفرج الأصبهاني لما رجع ذو القرنين من المشرق والمغرب توجه لبلاد الصين فحاصر مدينتها أشد محاصرة فلما أشرف على أخذها نزل اليه ملك الصين تحت الليل ولم يعرف أحد انه ملك الصين وقال أنا رسول ملك الصين فلما وصل الى الحجاب أخبرهم انه رسول ملك الصين ويريد الدخول على الاسكندر فاعلموا الاسكندر به وأدخلوه عليه فلما دخل سلم ووقف بين يديه فقال له تكلم فقال اني مأمور ان لا أتكلم الا في خلوة ففتشه الرسل خوفا من ان يكون معه سلاح أو مكيدة فوجدوه خاليا من ذلك فتقرب الى الملك الاسكندر وقال له أيها الملك اعلم اني

ملك الصين بنفسي ولست برسوله وقد حضرت بين يديك لعلمي انك رجل عاقل عارف صالح مأمون الغائلة فان كان قصدك قتلي فها أنا بين يديك وأغنيك عن القتال وان كان قصدك المال فاطلب ولا تجزفني بحميلك فيما تطلب فقال الاسكندر خاطرت بنفسك فقال أيها الملك انا بين أمرين اما ان تقتلني فيقيم أهل مملكتي غيري ويحاربوك وان تركتني أفد بلادي بما تريد وتنسب الى الجميل فلما سمع ذو القرنين ذلك أطرق مليا متفكرا وعلم ان ملك الصين من ذوي العقول ثم انه رفع رأسه وقال أريد منك خراج مملكتك ثلاث سنين كوامل معجلا ثم بعد ذلك تعطي في كل سنة نصف الخراج فقال ملك الصين وهل تطلبت غير ذلك شيأ قال لا فقال قد أجبتك الى ذلك فقال الاسكندر كيف يكون حال رعيتك بعد هذا المال المعجل فقال أعطيك من عندي ولم أكلف رعيتي الى التعجيل والله على ما نقول وكيل فخرج ملك الصين شاكرا فلما طلع النهار أقبل ملك الصين بعشائره حتى سد ما بين المشرق والمغرب وأحاطوا بعساكر ذي القرنين حتى أيقنوا بالهلاك فظن الاسكندر وقومه ان ملك الصين خدعهم فبينما هم في هذه الفكرة واذا بملك الصين جاء وعلى رأسه التاج فلما رآه ذو القرنين قال أغدرت فيما قلت قال لا ولكن أردت ان أريك اني لم اخضع لك خوفا واعلم ان الذي هو غائب من جيوشي اكثر ممن حضر فقال له الاسكندر قد تركت لك جميع ما قررته عليك من أمر الخراج فلما رجع من بلاد الصين أرسل له ملك الصين تحفا وأموالا كثيرة على سبيل الهدية (نكتة عجيبة) قيل ان رجلا مجنونا كان اذا مر في الاسواق والطرقات يتبعه الاولاد الصغار ويرمونه بالحجارة فبينما هو كذلك اذ مر بذلك المجنون رجل وعلى رأسه عمامة مقرونة مفحشة في اقرانها فتعلق به ذلك المجنون وهو يقول يا ذا القرنين خلصني من يأجوج ومأجوج فصار الناس يتعجبون من أمر المجنون وقوله ذلك قال وهب بن منبه كان الاسكندر اذا جمع أهل النجوم يسألهم عن موته فكانوا يقولون له انه يموت في أرض من حديد وسماؤها من خشب فيتعجب حتى مرض وكان مسافرا في أرض حارة فاشتد به المرض فشكا من الحر فوضعوا تحته الدروع وخيموا له بالرماح فنام فتأمل قول أرباب النجوم أرض من حديد وسماؤها من خشب فقال ما انا فيه هو ذلك فأيقن بالموت فجد بالمسير حتى وصل الى مدينة بابل فمات بها ودفن هناك وكتب على قبره هذين البيتين

لا تأسفن على الدنيا وزينتها * أرح فؤادك من هم ومن حزن
وانظر الى من حوى الدنيا بأجمعها * هل راح منها بغير القطن والكفن

قال السدي قال بعض المؤرخين ان الله يسر لذي القرنين حتى فتح جميع البلاد وهو الذي بنى مدينة همدان والدبوسية وشيرك وبرج الحجارة ببعلبك وسرنديب بالهند

وغير ذلك والله أعلم انتهى *ذكر قصة أهل الكهف رضى الله عنهم*
قال الله تعالى أم حسبت ان أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا قال السدى
الكهف هو غار فى الجبل والرقيم لوح من الرصاص كتب فيه أسماء أصحاب الكهف
وقصتهم وذلك اللوح موضوع على باب الكهف والصحيح ان الرقيم غار التجأ فيه ثلاثة
انفار فوقع على باب ذلك الغار صخرة سدت عليهم الباب فدعا كل واحد منهم بما فعله
من الخير لوجه الله تعالى فزالت تلك الصخرة عنهم وخرجوا والله أعلم قال وهب بن
منبه ان أصحاب الكهف كانوا فتية من أبناء الروم وكانوا فى زمن فترة المسيح ومحمد
صلى الله عليه وسلم وكانوا يسكنون بأرض رومية فى مدينة يقال لها أفسوس فلما جاء
الاسلام غيروا اسمها وسموها ترسوس وكان لهم ملك رجل صالح مؤمن فاقام عليهم
مدة ومات فلما مات تولى عليهم ملك جبار من ملوك فارس يقال له دقيانوس وكان
مشركا بالله تعالى يعبد الاصنام وكان يسكن بمدينة غرناطة من أعمال المغرب ثم سار
الى مدينة أفسوس فملكها واتخذها دار مملكته و بنى بها قصرا من الرخام الملون
طوله فرسخ وعرضه فرسخ وعلق به ألف قنديل من الذهب والفضة يسرجها كل
ليلة بدهن اللبان واتخذ فى ذلك القصر سريرا مرصعا بالجواهر ومحلى بالذهب طوله
ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا وجعل فيه أنواعا من الجواهر الفاخرة ونصب عن
يمينه ثمانين كرسيا من الفضة وعن شماله ثمانين من الذهب ثم اتخذ من ابناء البطارقة
خمسين غلاما حسانا كالاقمار وألبسهم الحلل الفاخرة والتيجان و بايديهم قضبان
الذهب يقفون على رأسه وقت الموكب ثم اتخذ من عقلاء مملكته ستين رجلا
وجعلهم وزراءه وكان من جملة هؤلاء الوزراء تمليخا وهو اكبرهم ثم ان الملك طغى وتجبر
وادعى الربوبية وأطاعه قومه واستمر على ذلك مدة طويلة فبينما هو كذلك اذ دخل
عليه بعض حجابه وقال له ان جيوش الفرس قد طرقت بلادك فاغتم دقيانوس
لذلك غما شديدا حتى وقع التاج عن رأسه فلما رأى تمليخا ذلك تفكر فى نفسه وقال
لو كان دقيانوس ربا كما يزعم لم يخف من أحد غيره ولا ممن يطرق أرضه فلما انصرفت
الوزراء اجتمعوا عند تمليخا فى بيته فوجدوه مغتما لا يأكل ولا يشرب فقالوا يا تمليخا
مالك متفكرا فقال قد وقع فى نفسى شئ منعنى عن الاكل والشرب قالوا وما هو فقال
من دقيانوس فقالوا ونحن وقع لنا مثل ما وقع لك فقال بعضهم وكيف الحيلة فى
خلاصنا من يد دقيانوس فقال لهم تمليخا ما لنا حيلة أحسن من الهروب من هذه
المدينة والخروج من أرضه فقالوا كلهم نعم الرأى فهبط تمليخا من وقته وساعته
و باع له شيأ من غلال أرضه وجعله معه واجتمع الفتية كلهم فى مكان واحد ثم تواروا
ومضوا وقيل ان جبرائيل عليه السلام أخبرهم بان يتخذوا كرة و يخرجوا بها على

هيئة اللعب فيها فركبوا الى خيولهم وضربوا الكرة مرة بعد أخرى حتى خرجوا من المدينة ولم يشك بهم أحد فلما صاروا فى الصحراء نزلوا عن خيولهم ونزعوا ثيابهم الفاخرة ولبسوا غيرها ومشوا نحو سبعة فراسخ فبينما هم يمشون واذا راعى غنم تلقاهم فطلبوا منه اللبن فاسقاهم فقال انكم من أهل النعمة وان لكم شأنا فأخبرونى فان لكم عندى ماتريدونه وأظنكم قد هربتم قال فقصوا عليه قصتهم فقال وأنا قد وقع فى نفسى كما وقع فى نفوسكم ولكن قفوا عندكم ساعة حتى اعطى هذه الاغنام لاصحابها ثم ذهب وأعطى الغنم لاصحابها وعاد اليهم مسرعا ومضى معهم فتبعهم كلب الراعى فطردوه مرارا وهو يابى الانصراف عنهم فانطقه الله الذى أنطق كل شئ وقال بلسان فصيح أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له قال وكان الكلب اسمه قطمير وكان أبلق اللون ذا بياض وسواد قال السدى كان أحمر اللون ثم ان الكلب قال دعونى معكم أحرسكم فتركوه معهم ثم ان الراعى توجه بهم الى جبل فوجدوا به كهفا فدخلوا فيه وهو قوله تعالى اذ أوى الفتية الى الكهف الآية ولما جلسوا حتى جن عليهم الليل ناموا والكلب يحرسهم وهو قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد الآية فلما ناموا أمر الله ملك الموت ان يقبض أرواحهم فقبضها ثم وكل الله تعالى بهم ملائكة يقلبونهم ذات اليمين وذات الشمال كما قال الله تعالى قال السدى كانوا فى مغارة مظلمة وهم نائمون واعينهم مفتحة وهم يتنفسون ولا يتكلمون قال ولهم شعور مسبولة على اكتافهم وقد طالت اظفارهم وكانت عليهم هيبة عظيمة وكأنهم ينطقون قال الله تعالى وتحسبهم أيقاظا وهم رقود فلما رجع دقيانوس من محاربة الفرس سأل عن الفتية فقيل له انهم اتخذوا الها غيرك فلما سمع بذلك ركب فى طلبهم ولازال يقفو أثرهم حتى وصل الى ذلك الكهف فدخل عليهم ونظر اليهم فوجدهم نائمين فقال لجيشه لو أردت ان أعاقبهم لأعاقبهم بمثل ماهم عليه ثم امر بسد باب الكهف عليهم فسده بالحجارة واستمروا فى رقادهم ثلثمائة سنة وتسع سنين كما اخبر الله تعالى فى القرآن العظيم فلما سد دقيانوس عليهم ظن انهم يهلكون من العطش ثم ان راعيا أدركه المطر عند ذلك المكان فقال فى نفسه لو فتحت باب الكهف وادخلت اليه الاغنام لكان حسنا فعالج حتى فتح الباب فدخل عليهم الراعى فرد الله عليهم أرواحهم وجلسوا فلما رآهم الراعى ولى هاربا وأخذ غنمه معه فلما جلسوا صار بعضهم يسلم على بعض وقالوا لقد غفلنا فى هذه الليلة عن عبادة ربنا فقوموا بنا الى الصلاة فجاؤا الى عين ماء عند شجرة بالقرب من الكهف فوجدوا العين قد غارت والشجرة قد جفت فصاروا يتعجبون من ذلك وقال بعضهم لبعض فى ليلة واحدة تغور هذه العين وتيبس هذه الشجرة ثم أن الله تعالى ألقى عليهم الجوع فقالوا لبعضهم

أيكم يذهب بهذا الورق أي الفضة الذي باع بها تمليخا غلالا كما تقدم ذكر ذلك فيشتري لنا بها طعاما وهو قوله تعالى فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الآية قال السدي أما قولهم فلينظر أيها أزكى طعاما قيل هو الطعام الذي لا يوضع به شيء من شحم الخنزير كما كان يعمل له دقيانوس فقال تمليخا أنا آتيكم بهذا الطعام ثم قال للراعي الذي معهم اعطني ثيابك وخذ أنت ثيابي فأعطاه الراعي ثيابه فلبسها تمليخا ثم سار حتى أتى الى باب المدينة فوجد على بابها مكتوبا لا اله الا الله عيسى روح الله فجعل تمليخا يمر من باب الى باب فيجد على كل الابواب مكتوبا لا اله الا الله الخ فجعل يمسح عينيه ويجدد نظره في تلك الاماكن فلما طال عليه ذلك دخل المدينة فجعل يمر بأقوام لا يعرفهم حتى انتهى الى آخر السوق فاذا هو بخباز فوقف عليه وقال له ما اسم هذه المدينة فقال له الخباز اسمها أفسوس فقال وما اسمك قال عبد الرحمن ثم ان تمليخا دفع درهما الى ذلك الخباز وقال له أعطني به خبزا فلما رأى الخباز الدرهم صار يتعجب منه وقال لتمليخا يا هذا أنت ظفرت بكنز فقال تمليخا لا والله وانما هذا الدرهم من ثمن غلالي فقال الخباز ان كنت أصبت كنزا فأعطني منه فقال له اني خرجت من هذه المدينة منذ ثلاثة أيام وكان بها الملك دقيانوس فقال له الخباز تقول بعت بهذا غلالا وتقول بعد ذلك كنت منذ ثلاثة أيام هنا وكان الملك دقيانوس ان أمرك عجيب فطال بينهما الجدال فأتوا به الى الملك وكان الملك من ذوي العقول فقال لتمليخا ما قصتك فقال تمليخا زعموا اني أصبت كنزا فقال له الملك لا تخف ان كنت أصبت كنزا فادفع لي منه الخمس وامض لشأنك سالما فقال تمليخا تثبت لامري فاني من أعيان هذه المدينة فقال له الملك هل تعرف بها أحدا فقال تمليخا نعم وكان لي بها دار وكان لنا ملك يقال دقيانوس فقال له الملك لا نعرف شيأ مما قلته ولكن أتعرف دارك التي كانت في هذه المدينة قال نعم فبعث الملك معه جماعة من أعوانه حتى يريهم داره فمشى معهم تمليخا فلم يعرف داره لان البناء قد تغير فشكا في سره الى الله فأرسل الله اليه جبرائيل عليه السلام فجعل يسوق به حتى أوقفه على باب داره فقال تمليخا هذه داري فقرعوا باب تلك الدار فخرج اليهم رجل كبير يرتعش من الكبر فقال رجل من جماعة الملك للشيخ ان هذا الرجل يزعم ان هذه الدار داره فغضب ذلك الشيخ من هذا الكلام ثم ان تمليخا تقدم الى ذلك الشيخ وقال له أيها الشيخ المبارك أنا اسمي تمليخا بن قسطين وكانت هذه داري ولي فيها علامات فلما سمع الشيخ من تمليخا هذا الكلام جعل الشيخ يقبل يدي تمليخا فالتفت الشيخ الى أعوان الملك وقال لهم هذا جد جدي وهو أحد الفتية الذين هربوا من دقيانوس الجبار وقد كان عيسى ابن مريم يخبرنا بخبرهم وأنهم ينتبهون بعد ثلثمائة وتسع سنين ثم بلغوا الملك هذا الكلام فركب الى تمليخا

وجاء نحوه وجعل يقبل يدى تمليخا فشاع أمره فى المدينة فاجتمع الناس عليه وجعلوا يتباركون به و يتعجبون من أمره ثم ان تمليخا قال للملك ان بقية قومى فى المغارة التى فى الجبل وهم فى انتظارى لاجل الطعام قال وهب بن منبه كان يومئذ بالمدينة ملكان أحدهما مؤمن والآخر كافر فركبا وتوجها مع تمليخا الى عند الكهف فقال لهم تمليخا قفوا مكانكم حتى أدخل اليهم وأعلمهم بما جرى لى معكم وأعلمهم ان الملك دقيانوس قد هلك حتى يطمئنوا على أنفسهم فانهم خائفون من الملك دقيانوس فوقفوا قريبا من الكهف فدخل عليهم صاحبهم تمليخا فقاموا اليه واعتنقوه وقالوا الحمد لله على سلامتك وخلاصك من يد دقيانوس فقال لهم تمليخا دعونى من دقيانوس كم لبثتم فى هذا الكهف قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فقال لهم تمليخا بل لبثتم ثلثمائة سنة وتسع سنين وقد هلك دقيانوس فى مدة نيامكم وانقرض من بعده قرنان وقد ظهر نبى الله عيسى ابن مريم عليه السلام ومضى ثم قال لهم ان ملك المدينة جاء هو وأهل المدينة ليسلموا عليكم و يتباركوا بكم وقد أوقفتهم لاخبركم فعند ذلك تفكر أصحاب الكهف ساعة ثم قالوا فما الرأى فقالوا أجمعون ان الرأى ان ترفعوا أكفكم الى الله تعالى بالدعاء بان يقبض أرواحكم فى هذه الساعة أجمعين فرفعوا أيديهم وقالوا الهنا بحقك ان تقبضنا الملك ولا نريد ان يطلع علينا أحد غيرك فأمر الله ملك الموت أن يقبض أرواحهم فى تلك الساعة فلما ابطئ على الملك وأهل المدينة الخبر من تمليخا أتى الملك الى الكهف ودخل فوجدهم موتى فأخذ يقبل أقدامهم و يتبارك بهم وأمر بأن يجعل كل واحد منهم فى تابوت محلى بالذهب فلما نام الملك تلك الليلة رأى فى منامه أصحاب الكهف فقالوا له أيها الملك انا خلقنا من تراب لا من ذهب ولا من فضة فاتركنا كما كنا فى التراب الى يوم البعث والحساب فأمر الملك ان يجعلوهم على التراب من غير توابيت كما أرادوا ثم ان الملك سد عليهم باب الكهف وأراد أن يبنى على باب الكهف مسجدا فاعترضه الملك الكافر فقال أنا أبنى على باب الكهف كنيسة فاقتتلا على ذلك قتالا عظيما فقتل المؤمن الكافر وبنى المسجد الذى هناك وهو قوله تعالى قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا الآية قال السدى ان عدة الفتية ستة أنفس والراعى الذى تبعهم سابع وكلبهم ثامن كما أخبر الله تعالى فى القرآن العظيم قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل الآية قال ابن عباس رضى الله عنهما وأنا من القليل أى الذين يعلمون عدتهم اه قال العزيزى ان الكهف الذى مات فيه الفتية هو مغارة فى الجبل الذى يقرب من مدينة ترسيس ومكانهم مشهور معلوم بها ويزارون و يتبارك بهم رضى الله تعالى عنهم تمت قصة أصحاب الكهف على سبيل الاختصار والله تعالى أعلم

﴿ذكر قصة نبي الله يونس بن متى عليه السلام﴾ واسم أمه زاد قال الله تعالى وان يونس لمن المرسلين قال كعب الاحبار رضي الله عنه كان في بني اسرائيل خمسمائة رجل زاهدون لباسهم من الشعر الاسود وطعامهم من خبز الشعير ولم يكن في القوم يومئذ من يوحى اليه الا نبي الله زكريا عليه السلام فأوحى الله الى زكريا عليه السلام ان يختار من الخمسمائة مائة رجل فاختار منهم مائة رجل ثم أوحى الله تعالى اليه ان يختار من المائة خمسين ثم يختار من الخمسين عشرين ثم يختار من العشرين واحدا فاختار زكريا يونس بن متى عليه السلام ولم يكن في القوم أزهد منه فأوحى الله تعالى الى زكريا أن يبشر يونس بالنبوة وقد جعله الله نبيا ورسولا فلما سمع يونس ذلك خر ساجدا لله تعالى ثم رفع رأسه وقال لزكريا الحمد لله الذي جعلني نبيا قال العزيزي ان متى أبا يونس كان رجلا صالحا وكان بأرض فلسطين ولم يكن له ولد ذكر وقد كبر سنه فأتى الى العين التي اغتسل منها أيوب وعافاه الله فاغتسل منها متى وزوجته وصليا ركعتين ودعيا الى الله فاستجاب الله منهما ورزقهما يونس عليه السلام فلما كبر يونس خرج من بيت المقدس سائحا في الاودية والجبال فبينما هو سائح اذ هبط عليه جبرائيل عليه السلام على صفة آدمي حسن الصورة وقال له يا يونس الله يأمرك بان تتوجه الى مدينة نينوى وهي قرية من قرى سوريا وكان بها ملك من الروم يعبد الاصنام من دون الله تعالى وكان هذا الملك يقتل كل من يدعوه الى الله تعالى فلما تحقق يونس ان الله تعالى يأمره ان يتوجه الى أهل نينوى حمل زوجته وأولاده على ناقة وأخذ معه جماعة من أعيان بني اسرائيل وكان عمره يومئذ أربعين سنة فلما دخل مدينة نينوى نزل في غار في جبل والى جانبه عين ماء وصار يأكل هو وعياله من نبات الارض ويشربون من تلك العين ثم قال لزوجته اني ماض عنكم فانتظروني أربعين يوما فان زدت عليها فاعلموا اني قد قتلت كمن قتل قبلي من الانبياء ثم ان يونس لبس جبة صوف وأخذ بيده عصا وتوجه حافيا مكشوف الرأس فصعد على تل عال في نينوى وصاح وقال لا اله الا الله يونس رسول الله فاجتمع القوم اليه وضربوه ضربا مؤلما حتى غشي عليه فأوحى الله الى طائر يقال له الورشان بان يغمس جناحيه في الماء ويرش بهما على وجه يونس عليه السلام فلما فعل ذلك أفاق يونس من غشيته ورجع الى القوم وقال لهم كما قال في الاول فحمل الريح كلام يونس وألقاه في أذن الملك فلما سمع ذلك الصوت فزع منه وتغير لونه فقال لمن حوله ما هذا الصوت فقالوا دخل المدينة غلام فقير مجنون يقال له يونس يزعم ان في السماء الها يعبد فلما سمع الملك ذلك غضب على يونس وأمر بسجنه فسجن في مكان مظلم ضيق فامر الله جبرائيل بان يأتيه بقنديل من الجنة ويعلقه في ذلك السجن ويأتيه بطعام وشراب

من الجنة فاقام يونس فى السجن نحو أربعين يوما ثم ان الملك تذكره فقال للوزير امض الى السجن وأتنى بالرجل حتى أقتله فدخل الوزير على يونس فوجده قائما يصلى وعنده قنديل يضىء ووجد السجن قد امتد مد البصر فتعجب الوزير ثم التفت الى يونس وقال من صنع معك هذا فقال يونس صنعه ربى فقال الوزير يا يونس ان أنا آمنت بربك ماذا يصنع معى فقال يونس يغفر لك ما تقدم من ذنبك ويسكنك جنته فقال الوزير أنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد انك رسول الله وخرج الوزير وأتى الى الملك وقال دخلت على يونس الى السجن الضيق فرأيته قد اتسع مد البصر ورأيته يصلى وفوق رأسه قنديل يضىء منه المكان ووجدت عنده مائدة عليها طعام طيب ليس مثل طعامنا فقلت يا يونس من فعل معك هذا فقال فعله معى ربى فعلمت ان له ربا يقدر على كل شىء فآمنت به فغضب الملك على الوزير ثم أمر باخراج يونس من السجن واحضاره بين يديه فلما حضر قال له يا يونس اخرج من أرضنا فقد أفسدت رعيتى بسحرك فخرج يونس الى أهله فاوحى الله اليه يا يونس ارجع الى اهل نينوى وادعهم الى التوحيد ثانيا أربعين يوما فان أجابوك والا فانى منزل عليهم العذاب فقال يارب وما علامة العذاب فاوحى الله اليه كونهم فى اليوم الاول تصفر وجوههم وأبدانهم وفى اليوم الرابع تحمر وجوههم وأبدانهم وفى اليوم السابع تسود وجوههم وأبدانهم وفى اليوم العاشر أنزل عليهم العذاب فلما رجع يونس وصعد على التل العالى وقال ياقوم قولوا معى لا اله الا الله وأنى يونس رسول الله اجتمع حوله القوم وصاروا يقذفونه بالحجارة ويسبونه فقال لهم يونس ان لم تجيبونى الى توحيد الله بعد أربعين يوما والا ينزل ربى عليكم العذاب وعلامته فى اليوم الاول ان تصفر وجوهكم وأبدانكم ثم بعد أربعة أيام تحمر ثم بعد سبعة أيام تسود ثم فى اليوم العاشر ينزل بكم العذاب فلم يزل يونس يدعوهم الى الاربعين فلم يؤمن أحد منهم فاوحى الله تعالى الى يونس ان يخرج من بينهم فخرج يونس ودخل القوم الى الملك وقالوا له أما ترى ما قد نزل بنا وهو ما وعدنا به يونس من البلاء وكان قد اصفرت وجوههم وأبدانهم والملك معهم كذلك فقال لهم امضوا الى أصنامكم واسألوها كشف ذلك عنكم فعمد القوم الى أصنامهم وكانت أصنامهم من ذهب وفضة وحديد وخشب وحجارة فسجدوا لها وذبحوا الذبائح لها وسألوها كشف هذه النازلة عنهم فأوحى الله الى الملك الموكل بالسحاب ان ينشر عليهم سحابة سوداء مظلمة محشوة بالعذاب والنيران والحجارة وأمر جبريل بأن يدنيها من القوم فادناها منهم فنزل منها الصواعق وأظلمت الدنيا عليهم ظلمة شديدة فدخل القوم على الملك وقالوا له ان كنت الها فادفع عنا هذا العذاب فقال لهم أمهلونى قليلا ثم دخل الى داره ولبس السلاح وركب جواده وخرج

الى محل عال ولبث فيه مقدار ثلاث ساعات ثم رجع الى قومه فقال لهم لايهولنكم شأن السحابة فان بها مطرا شديدا ورعدا مهولا قال كعب الاحبار فلما دنت منهم السحابة وصارت فوق رؤسهم ضاقت أنفسهم من شدة حرها وزادهم القلق حتى غلت جماجم رؤسهم فكان الرجل اذا قرب من صاحبه يسمع غليان دماغه فعند ذلك دخلوا على الملك وقالوا هذا هو العذاب الذى وعدنا به يونس فقال لهم الرأى عندى ان يعمد كل منكم فيكسر صنمه بيده فكسروا أصنامهم فقال لهم الملك الحق عندى والحق ما أقول اطلبوا يونس فانه كان ناصحا لكم فطلب القوم يونس فلم يجدوه فقال رجل منهم وهو الوزير انى كنت اسمع يونس يقول ان ربى حاضر لا يزول أيها الملك ان كان يونس قد غاب فان ربه حاضر لا يغيب فلما سمع الملك ذلك قام من وقته ولبس جبة من الصوف الاسود وغل يديه الى عنقه وقيد قدميه بقيد من حديد وحمله بعض عبيده وخرج الى القوم فى هذه الحالة ففعل القوم كلهم كما فعل الملك وحملوا أنفسهم وخرجوا الى الصحراء وصعدوا على تل عال ثم اصطفوا صفوفا فجعلوا الشيوخ أمامهم والشباب خلفهم ومن ورائهم الاطفال والنساء وبسطوا ايديهم بالدعاء وقالوا يارب يونس اكشف عنا هذا العذاب فكانت الشيوخ تمرغ شيبتها بالرماد والشباب يحثونه على رؤسهم والنساء والاطفال يبكون ناشرين شعورهم وصاروا يعلنون بالبكاء والضجيج الى الله تعالى فكانوا يقولون اللهم انك وعدت على لسان نبيك يونس ان لا تخيب سائلا سألك ولا داعيا دعاك ونحن سألناك ودعوناك فلا تردنا خائبين انه لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك فاكشف عنا هذا العذاب برحمتك يا أرحم الراحمين اللهم انا آمنا بك وصدقنا رسولك يونس بن متى لا اله الا أنت وان يونس رسولك فلما اطلع الله على قلوبهم وجعلها خالصة مخلصة عما يقولون أوحى الله تعالى الى جبرائيل عليه السلام بان يكشف عنهم العذاب فكشفه عنهم ورحمهم وقد قيل فى المعنى

يا طالبا ربه بصدق ❋ بادر وان جلت الخطوب
واقصد كريما بلا توان ❋ فسائل الله لا يؤب

قال كعب الاحبار لما صرف الله عنهم العذاب تقطع ذلك الغمام أربع قطع قطعة وقعت على جبال صنعاء فكان منها معادن الرصاص وقطعة وقعت على بعض الجبال فصارت لا تنبت شيأ الى ان تقوم الساعة وقطعة وقعت فى البحار فهى تفور الى يوم القيامة وقطعة وقعت فى نينوى فكانت اشد بياضا من الكافور وأطيب رائحة من المسك فهم يتطيبون بها الى الآن ثم ان الله تعالى رد على القوم الوانهم وعفاهم وجعل يهنى بعضهم بعضا ثم ان ابليس اللعين تصور فى صورة راع وجاء الى يونس عليه

السلام

السلام وهو عند أهله على الجبل فقال له يونس من أين جئت يا راعى قال من قرية نينوى فقال يونس كيف حال أهلها فقال انهم انتظروا العذاب الذى وعدهم به يونس فلم يأتهم فعزموا على قتل يونس لانه كذب عليهم فلما سمع يونس ذلك غضب غضبا شديدا قال قتادة ان غضب يونس كان على أهل نينوى لا على ربه لانه نظر الى أن القوم كذبوه ولما سمع كلام الراعى قال انهم يزيدون على ماهم عليه من تعذيبى وعداوتى قال تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه الآية قال كعب الاحبار فأتى الى زوجته واولاده وحملهم على ناقته وأتى بهم الى شاطئ الدجلة فرأى هناك سفينة فاشار اليها فأتت اليه فنزل فى تلك السفينة هو وزوجته وأولاده فلما صار فى وسط الماء انخرقت بهم السفينة فتعلقت زوجته على لوح ووصلت الى البر فالتقطها بعض من الناس فحملها الى داره وطلع يونس هو وأولاده على خشبة الى البر فصارت الأولاد يبكون على امهم فاقام يونس على شاطئ الدجلة اياما ينتظر سفينة أخرى تحمله واذا بسفينة تلوح من بعد فأشار اليها فجاءته فهم يونس ان ينزل فيها فبادر ابنه الكبير النزول الى السفينة فاخذته موجة فقال ابنه الصغير يا أبت أدرك أخى فأراد ان يدركه فنادته الموجة ارجع يا يونس فليس لك من الامر شئ فبينما هو فى أمر ولده الكبير اذ نزل من الجبل ذئب فاحتمل ولده الصغير فنادى يونس أيها الذئب لا تفجعنى فيه فقال له الذئب يا يونس ليس لك من الامر شئ قال كعب الاحبار وكان على وسط يونس خريطة فيها دراهم فتبددت كلها فعلم يونس أنه أخذ بذنبه فعند ذلك جلس يونس وحيدا على الشاطئ فمرت به سفينة فاشار اليها فجاءته وحملته وهو مهموم مغموم فالقى الله عليه النوم فنام وسارت السفينة الى وسط الماء فتوحلت وجلست وأعيا الملاحين أمرها فقالوا للركاب هل فيكم رجل مذنب فقال لهم يونس انا المذنب فظنوا انه قال ذلك من همه فأقرعوا بينهم القرعة فخرجت على يونس فاعادوها ثلاث مرات وهى تقع على يونس وهو يقول ألم أقل لكم انى مذنب ﴿ذكر قصة كيفية القرعة وسببها﴾ كانوا يكتبون أسماء كل من كان فى السفينة فى ورقة ويلقونها فى ماء فكل من غاصت ورقته فى الماء فهو المطلوب والسبب فى ان السفينة لا تسير فيعلم ان فى ركابها رجلا مذنبا فيرمونه فى الماء فتخلص السفينة باذن الله فلما وقعت القرعة على يونس قام على قدميه ولف جسده فى عباءة وشد وسطه وتقدم الى جانب السفينة وهم ان يلقى نفسه فرأى الامواج تضطرب فتحول الى الجانب الآخر فرأى أيضا الامواج تضطرب فتحير يونس فى أمره فاوحى الله تعالى الى الملك الموكل بالحيتان بان ادفع الحوت الفلانى فانى جعلت جوفه سجنا ليونس بن متى فاحضر الملك ذلك الحوت

وقال له سر الى يونس فادركه قبل ان يصل الى الماء فلازال ذلك الحوت يخرق البحار
الى ان وصل الى السفينة فرمى يونس نفسه فالتقمه ذلك الحوت قال كعب الاحبار
كان يونس فى آخر السفينة فلما هم يونس ان يرمى نفسه هم الحوت ان يلتقمه ففزع
يونس فناداه الحوت ما هذا الفزع يا يونس وانت المطلوب من بين القوم فلما سمع
يونس كلام الحوت رمى نفسه فى فم الحوت فلما صار فى جوفه قال يونس آه وأغمى
عليه فأوحى الله الى الحوت أنى لم أجعل يونس لك رزقا ولا طعاما وانما جعلتك له
حرزا فلا تخدش له لحما ولا تمزق له جلدا ثم ابتلع الحوت الذى التقم يونس حوت
آخر أعظم منه فى الخلقة ثم ان يونس قام فى بطن الحوت على قدميه وقال الهى
لم يسجد لك فى مثله ملك مقرب ولا نبى مرسل فصار يونس يسجد على كبد الحوت
قال كعب الاحبار ان جلد الحوت رق ليونس حتى كان ينظر منه ما فى البحار
من العجائب من حيوانات البحر وعظم أسماكه وغير ذلك فطاف به الحوت فى
البحار السبع ورأى غرائبها وما فيها من الملائكة الموكلين فى البحر وكان يونس
يسبح فى بطن الحوت فلما سمعته الملائكة يسبح فى بطن الحوت قالوا ربنا انا
نسمع صوتا ضعيفا لم نسمعه قبل ذلك فاوحى الله تعالى اليهم هذا صوت عبدى
يونس عصانى فسجنته فى بطن الحوت فلما سمعوا ذلك سجدوا لله أجمعون وهو قوله
تعالى فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون وقوله تعالى فنادى فى
الظلمات ان لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من
الغم وكذلك ننجى المؤمنين قال ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير قوله تعالى
فنادى فى الظلمات هى ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وكان اسم
ذلك الحوت النون فسمى يونس ذا النون قال كعب الاحبار أمر الله تعالى الحوت
ان يقذف يونس من بطنه فى تلك الساعة فقذفه من بطنه فى الحال فى المكان الذى
أخذه منه فلما دنا الحوت ليقذف يونس من بطنه أتاه جبرائيل عليه السلام ودنا
من فم الحوت وقال السلام عليك يا يونس رب العزة يقرئك السلام فقال يونس
مرحبا بصوت كنت أخشى ان لا أسمعه ابدا فقال جبرائيل للحوت اقذف يونس
من بطنك باذن الله فقذفه من بطنه فجعل يبكى لفقده و يقول لا أوحش الله منك
يا يونس ومن تسبيحك فخرج من بطنه مثل الفرخ الذى لا ريش له ووقع شعره
وذاب جسده ولان عظمه من حرارة بطن الحوت قال الشعبى ومجاهد مكث يونس
فى بطن الحوت أربعين يوما وفى رواية مكث ثلاثة أيام وذلك قوله تعالى لولا ان
تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين قال
كعب الاحبار لما خرج يونس من بطن الحوت خرج عريانا فانبت الله عليه شجرة

من يقطين كالقبة لها أربعة ابواب تخرج منها الرياح قال ابن عباس هي شجرة اليقطين يعني القرع قال كعب الاحبار ان تلك الشجرة حملت في ذلك اليوم اثنين وثلاثين صنفا من الفواكه لا يشبه بعضها بعضا وأنبع الله في أصلها عينا أحلى من العسل وابرد من الثلج وأرسل الله اليه غزالة تدر من ثديها لبنا يتغذى به قال السدي ان الغزالة التي تغذى يونس عليه السلام منها جعل الله قرونها وأظفارها بلون الذهب قال الثعلبي ان ببلاد الهند من أعلى الصعيد دابة تشبه الغزلان ولها قرون كلون الذهب وكذلك أظفارها وهي قليلة البقاء اذا اصيدت لاتعيش أكثر من ثلاثة أيام فذكر انها من نسل الغزالة التي تغذى بلبنها يونس عليه السلام قال كعب الاحبار فالقى الله على يونس النوم فنام تحت تلك الشجرة فلما انتبه من نومه فلم يجد الشجرة ولا العين ولا الغزالة وكان يستأنس بهن فحزن على ذلك فاوحى الله اليه ان لا تحزن يا يونس امض الى أهل نينوى فانهم قد آمنوا بي فاقم عندهم ومرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر فسار يونس اليهم فبينما هو سائر اذ مر براع ومعه أغنام فقال له هل من شيء بقلبن فقال له الراعي اشرفا حتلب له اللبن وأسقاه ثم جلس عنده ساعة يحدث معه فقال له يونس من أين أنت يا راعي فقال من نينوى فقال كيف حال القوم قال الراعي يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فقال يونس أتحب ان يكون لك عندهم منزلة قال نعم فقال امض اليهم وبشرهم بان نبيهم يونس بن متى باق على قيد الحياة فقال له الراعي يكذبوني فقال له يونس خذ معك هذه الشاة فانها تشهد لي باني يونس بن متى فلما علم الراعي صدق مقاله توجه الى أهل نينوى وأخذ الشاة معه فلما دخل على الملك قال له البشارة قال وما بشارتك قال له ان يونس قد ظهر وهو في مكان كذا وكذا فاجتمع عليه القوم وكذبوه فقال لهم ان معي من يشهد لي قالوا وما شاهدك قال هذه الشاة وأحضرها بين يدي الملك وقال لها أيتها الشاة بماذا تشهدين فانطقها الله تعالى وقالت ان يونس حي وانه احتلب مني اللبن وشربه فلما سمع القوم ذلك صدقوا الراعي وخرجوا وصحبتهم الملك الى ذلك المكان فوجدوا يونس قائما يصلي فجعل القوم ياخذون التراب من تحت اقدامه ويجعلونه فوق رؤسهم للتبرك ثم ان يونس سار معهم ودخل المدينة وجدد اسلامهم وآمنوا برسالته وأقام بينهم يبين لهم الحلال والحرام فبينما هو جالس بينهم اذ أتاه رجل صياد وقال له يا نبي الله اني طرحت شبكتي يوما فطلع لي صبي من أحسن الناس وجها فقال له يونس هذا ولدي ورب ابراهيم فاحضره اليه ثم أتى اليه رجل آخر وقال له يا نبي الله اني كنت في الفلوات اذ رأيت ذئبا على ظهره مولود وهو من أحسن الناس وجها فقال يونس هذا ولدي ورب ابراهيم ثم أتاه رجل آخر وقال

له اني رجل تاجر خرجت في طلب سفينة الى شاطىء الدجلة فرأيت امرأة على البر عريانة وقد غرقت في الدجلة فضيت بها الى منزلي واحسنت اليها والبستها ثيابا فقال يونس هذه زوجتي ورب ابراهيم قال فجمع الله شمله بولديه وبزوجته على أحسن وجه فاقام يونس بنينوى مدة طويلة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ثم بعد ذلك توجه الى الكوفة فمات بها ودفن هنالك على ماقيل وقيل دفن بالقرب من مدينة صيداء من أعمال الشام على شاطئ البحر الملح وبني عليه مسجد يزار ويتبرك به وهو باق الى الآن وهو المشهور والله أعلم انتهى على سبيل الاختصار

﴿ذكر قصة زكريا وولده يحيى عليهما السلام﴾ قال الله تعالى ذكر رحمة ربك عبده زكريا قال وهب بن منبه هو زكريا بن أدن من أولاد سليمان بن داود عليهما السلام قال الطبري هو زكريا بن يوحنا وكان نبيا صلبا في الدين فلما مر عليه مائة وعشرون سنة من العمر ولم يرزق ولدا ذكرا قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب يازكريا ان الله يبشرك بغلام اسمه يحيى لم يجعل له من قبل سميا قال السدي هو اول من تسمى بيحيى قبل الخلائق فلما سمع زكريا ما قالته الملائكة قال لهم وما علامة ذلك فأتاه جبرائيل عليه السلام وقال له يازكريا الا تكلم احدا من الناس ثلاث ليال سويا فقال زكريا ياجبرائيل اني يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا أي كيف يجيء لنا ولد ونحن على هذه الشيخوخة قال له جبرائيل كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ قال السدي ان زوجة زكريا حاضت في يومها فلما واقعها زكريا حملت منه بيحيى فلما وضعته وكبر وانتشى اعتكف على عبادة الله تعالى وصار باكيا حزينا ليلا ونهارا لايأكل ولايشرب ولايمل من البكاء فقال زكريا يارب اني طلبت منك ولدا أنتفع به وهذا مشتغل بالبكاء دائما فأوحى الله اليه يازكريا أنت قلت فهب لي من لدنك وليا والولي لايكون الا على هذه الصفة وكان يحيى عليه السلام لين الجانب رضي الخلق كما قال الله تعالى واجعله رب رضيا قال السدي ان يحيى كان في زمن ملك من ملوك بني اسرائيل وكان ذلك الملك مغرما بحب النساء الحسان وكان للملك زوجة قد طعنت في السن وكان لها بنت من غير الملك جميلة فاراد ان يتزوج بغيرها عندما كبر سنها فعمدت الى تلك البنت وزينتها باحسن زينة واحضرتها بين يدي الملك وقالت له تزوج بها فقال لها حتى نسأل يحيى بن زكريا هل يجوز ذلك ام لا فأحضر يحيى وسأله عن ذلك فقال له لاتحل لك ولايجوز وانها محرمة عليك فغضب منه الملك فقالت له زوجته ان لم تقتل يحيى والا ما اقمت أقيم عندك فامر الملك بقتل يحيى فقالت علماء بني اسرائيل للملك

قوله فنادته الملائكة الخ هذه حكاية لما في الآي الكريمة والا فلا يخفى ترتيب النظم الشريف له

ان وقع من دم يحيى قطرة على الارض لم ينبت فيها الزرع ابدا قال العزيزي فلما سمع الملك ماقالته العلماء أحضر طستا من نحاس وأمر بذبح يحيى فى ذلك الطست النحاس وأن لا ينزل من دمه شئ على الارض فلما ذبحه طلب أباه زكريا ليذبحه أيضا فهرب منه فلم يرفى وجهه الا شجرة قال لها ايتها الشجرة أخبى نبى الله زكريا من القتل فانشقت الشجرة نصفين فدخل زكريا فى جوفها وانطبقت عليه كما كانت فلما تتبعوه ولم يجدوه جاء اليهم ابليس اللعين فى صفة شيخ زاهد وقال لهم ان زكريا قد دخل فى جوف هذه الشجرة فاحضر الملك مشارا ونشر به تلك الشجرة قال السدى لما بلغ المشار رأس زكريا صاح آه فنزل اليه جبرائيل وقال له يا زكريا ان الله تعالى يقول لك لئن قلت بعد ذلك آه مرة أخرى لامحونك من ديوان الانبياء فسكت زكريا وصبر على البلاء حتى نشروه نصفين وهو لا يتكلم فاعلم أن الانبياء اشد بلاء من جميع الناس قال الثعلبى مات زكريا وله من العمر نحو ثلاثمائة سنة وقيل دون ذلك والله أعلم قال السدى ان الشجرة التى نشر فيها زكريا كانت بنابلس ودفن هناك ثم نقل بعد ذلك الى حلب وقبره مشهور بها الآن قال السدى ان يحيى بن زكريا ذبح بفلسطين ودفنت جثته بها ورأسه حمل الى الشام ودفن بها وذراعه دفن فى بيروت ورجله فى صيداء صلوات الله وسلامه عليهما قال الثعلبى مات يحيى بن زكريا وله من العمر خمسة وتسعون سنة قال قتادة لما دخل بختنصر البابلى الى بيت المقدس رأى دم يحيى يفور ويغلى على الارض كغليان القدور شرع يقتل بنى اسرائيل حتى بلغ من قتله منهم سبعين ألف انسان فعند ذلك سكن الدم قليلا قال زيد بن واقد لما عمر الوليد بن عبد الملك بن مروان مسجده الذى أنشأه بدمشق وكان على البنائين فبينما انا واقف عليهم اذ لاحت لنا مغارة بابها مسدود بالحجارة فعرفنا الوليد بذلك فلما دخل الليل اتى الوليد الى المسجد وبين يديه الشموع فوقف على تلك المغارة وأمر بفتحها ففتحت بحضرته فرأى بها مكانا مربعا نحو ثلاثة اذرع فى مثلها ووجد بها صندوقا مقفولا بقفل من حديد ففتحه فرأى رأس انسان وعليها شعر وهى على هيئتها لم يتغير منها شئ من محاسن وجهها وفى ذلك الصندوق لوح من رخام أبيض مكتوب فيه هذه رأس يحيى بن زكريا فلما رأى الوليد ذلك قبل الرأس وأمر بردها الى الصندوق تحت العمود الذى فى شرقى الجامع المعروف بعمود السكاسك وهو فى الصف الثانى بالقرب من المقصورة التى بها محراب المسجد وقبره مشهور يزار ويتبارك به عليه السلام انتهى ما أوردناه من قصة زكريا وولده يحيى عليهما السلام

﴿ذكر قصة عيسى بن مريم وقصة أمه عليهما السلام﴾ قال الله تعالى واذ قالت

الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين الآية قال وهب بن منبه كانت حنة أم مريم أخت زوجة زكريا وكان أبو مريم رجلا من بني اسرائيل يقال له عمران وكان امام المسجد الاقصى فلما حملت حنة أملت ان يكون ما في بطنها ولدا ذكرا فقالت ان ولدت ذكرا أجعله خادما للمتعبدين بمسجد الاقصى يسقي لهم الماء عند الافطار ويحمل الزاد على رأسه ولهذا قالت رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فلما أخبرت زوجها بما نذرت قال لها لقد أخطأت فيما نذرت فربما تلدين أنثى فكيف تخدم الرجال في المسجد فلما وضعتها وجدتها أنثى وهو قوله تعالى فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم الآية فضاق صدرها من ذلك النذر حيث كانت انثى ثم ان حنة سمتها مريم ومعنى ذلك لا عيب فيها ثم ان عمران أبا مريم مات وهي صغيرة مرضع ثم ان حنة أقامت بعد زوجها عمران مدة يسيرة وماتت فلما ماتت حنة أخذ مريم زكريا زوج خالتها أم يحيى وكفلها من بعد أمها كما أخبر الله تعالى حيث قال وكفلها زكريا قال السدي كان زكريا رجلا فقيرا ضيق المعيشة فلما كفل مريم صار اذا دخل عليها يجد عندها فاكهة الشتاء في أوان الصيف وفاكهة الصيف في أوان الشتاء وهو قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب قال وهب بن منبه كانت مريم قد خالفت عادة النساء لان النساء لا يرجعن الى الطاعة والعبادة الا بعد مضي الشباب ومريم تعبدت وهي طفلة صغيرة وأخذت عادة العجائز في العبادة والاعتكاف عن الناس فكان زكريا يتعجب من حال مريم في العبادة فلما بلغت مبلغ النساء أتاها الحيض فلما طهرت ارادت الاغتسال فخرجت الى عين ماء هناك فجاء اليها جبرائيل عليه السلام في صورة شاب من بني اسرائيل يسمى تقيا وكان مشهورا في زمانه بالشقاوة من الفساد والزنا قال تعالى فأرسلنا اليها روحنا أي جبريل فتمثل لها بشرا سويا قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا فقال لها جبريل عليه السلام انما أنا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا فدنا جبرائيل يدعو وأخذ بزيق قميصها ونفخ فيه فلما بلغت النفخة الى صدرها خلق الله تعالى من تلك النفخة عيسى عليه السلام وقد قال الله تعالى والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين قال العلماء ان الله تعالى خلق آدم من غير أب وأم وخلق حواء من أب من غير أم وخلق سائر المخلوقات من أب وأم فاراد الله تعالى أن يكمل الدور

أربعة فخلق عيسى من أم من غير أب فكمل ببديع حكمته الدور وقد قال الله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون قال وهب ابن منبه لما حملت مريم بعيسى كان مدة حملها ساعة واحدة لقوله تعالى فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان مدة حملها ثمانية أشهر وقد جرت العادة أن من ولد لثمانية أشهر لا يعيش وقال مجاهد بل كان حملها تسعة أشهر كعادة النساء قال السدى وكان وضعه ببيت لحم بالقرب من بيت المقدس وولدته ليلة الاثنين فى التاسع والعشرين من كيهك من شهور القبط المعروفة بليلة الميلاد وهى ليلة عيد النصارى وفيها يشتد البرد فلما قالت مريم ياليتنى مت قبل هذا ناداها من تحتها أن لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا قال وهب بن منبه ان النخلة التى أمرت مريم بهزها كان لها نحو سبعين سنة يابسة لم تثمر فلما وضعت سيدنا عيسى عليه السلام أورقت فى الحال وأثمرت وصار البلح رطبا جنيا من وقته معجزة له وكرامة لها وأمرها بالهز تعاطيا للاسباب فتساقط عليها الرطب كما أخبر الله تعالى وقيل فى المعنى

ألم تر أن الله قال لمريم * فهزى اليك الجذع تساقط الرطب
ولو شاء أجنى الجذع من غير هزه * ولكن ما شئ يكون بلا سبب

قال السدى لما أتت مريم بعيسى تحمله الى قومها قالوا يامريم لقد جئت شيأ فريا ياأخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا قال وهب بن منبه ليس المراد بأخت هرون أنها كانت أخت هرون بن عمران أخى موسى عليه السلام من النسب ولكن كانت أخته فى العبادة لان هرون كان مشهورا بالعبادة وهى أيضا مشهورة بالعبادة فلما سمعت كلام قومها من المعاتبة أشارت اليه أى بأن كلموه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا فأنطقه الله تعالى لهم وقال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا فأول كلمة قالها عيسى انى عبد الله لان الله تعالى أعلمه أنهم سيقولون عنه بانه ابن الله فكان ذلك تكذيبا لهم قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يتكلم فى المهد غير أربعة وهم شاهد يوسف بقد القميص والثانى صاحب الاخدود والثالث الذى شهد لجريج الراهب بانه ابن الراعى والرابع سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام قيل ان جماعة من النصارى سألوا عليا رضى الله عنه ان من كرامات عيسى انه نطق فى المهد فهل نطق نبيكم وهو فى المهد فقال على رضى الله عنه ان عيسى كان محتاجا الى النطق لانه ولد من غير أب

فخاف من التهمة فاحتاج الى النطق ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحتج اذ ذاك الى
النطق قال وهب بن منبه لما كبر عيسى عليه السلام كان سواحا في الارض لا يتخذ
دارا ولا مسكنا ولا زوجة ولا دابة وكان يلبس جبة صوف على لحمه ويلبس على رأسه
قلنسوة من لباد وكان لا يأكل الا من غزل أمه وكانت تغزل الصوف قال السدي
أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا عيسى ان لم يكن لك زوجة فأزوجك في
الآخرة ألف حورية من الحور العين ولأطعمن في عرسك ألف عام وينادي مناد
احضروا وليمة عيسى الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة قال الواقدي لما ساح
عيسى عليه السلام في الارض أتى الى الربوة التي يخبرون من أراضي الشام فأقام
بقرية هناك يقال لها الناصرة واليها تنسب النصارى فأوى اليها هو وأمه قال الله
تعالى وآويناه الى ربوة ذات قرار ومعين والصحيح أن الربوة في دمشق الشام ومحلها
مشهور معلوم بها الى الآن وتحتها الانهار والاشجار وهي ذات القرار المعين قال
الواقدي لما أراد الملك هردوس ملك اليهود ان يقتل عيسى عند ظهور معجزاته وآمن
غالب الناس به أخذته أمه مريم وخرجت به من بيت المقدس وكان معها يوسف
النجار وهو رجل من عباد بني اسرائيل فدخلوا الى مصر ومروا بمدينة عين شمس التي
بالمطرية فوجدوا هناك بئرا وكانت أثواب عيسى قد اتسخت من السفر فنزلوا بجانب
تلك البئر وغسلت مريم أثواب عيسى وغسلته واغتسلت ورشت الماء حول ذلك
البئر فأنبت الله هناك البيلسان ويعرف بالبلسم وهو لا يوجد بأرض مصر الا في هذا
المكان فقط وهذا سبب تعظيم النصارى البيلسان وتغاليهم فيه خصوصا الافرنج
ويقولون انه لا يصح التنصر عندهم الا اذا كان في ماء المعمودية دهن البيلسان
وينغمسون فيه وكان البلسم من محاسن مصر وقد انقطع منها في أواخر القرن التاسع
ونحو من بعد ذلك وقال الواقدي لما دخلت مريم مصر انقطع عنها اللبن لان عيسى
كان رضيعا فالهمها الله أن تغلي النهيد وتطعمه لعيسى ففعلت فكان يغنيه عن
اللبن قال فلما كبر عيسى وساح في أراضي مصر حتى دخل الى الاشمون وكان بها
فرس من نحاس اذا دخلها غريب يصهل ذلك الفرس النحاس حتى يسمعه كل من
في المدينة فيعلموا أنه دخل غريب فلما وصل عيسى عليه السلام سقط ذلك الفرس
وتكسر فلما دخل عيسى المدينة رأى جمالا محملة غلالا أفراجوه في الطريق فصرخ
عليهم فصاروا حجارة سودا ثم انه مر بسفح الجبل المقطم هو وأمه فالتفت اليها وقال
يا أماه هذه البقعة تصير مقبرة لامة محمد خاتم الانبياء صلى الله عليه وسلم وهو غراس
الجنة قال وهب بن منبه ثم ان عيسى خرج من مصر وتوجه الى البلاد الشامية وقد
اشتهر أمره بأنه يحيي الموتى باذن الله تعالى ويبرئ الاكمه والابرص باذن الله تعالى

قوله النهيد هو الارز بلبن الرقيق كما في القاموس

فاجتمعت

فاجتمعت اليه اليهود وقالوا له يا عيسى لن نؤمن لك حتى تحيي لنا العزير فقال لهم عيسى وأين مكان قبره فأتوا به الى قبره فصلى هناك ركعتين ودعا الى الله تعالى بأن يحيي له العزير فجعل القبر ينفرج عنه قليلا قليلا حتى ظهر منه العزير عليه السلام وقد أبيض شعر رأسه ولحيته فقال لعيسى هذا فعلك معي يا ابن مريم فقال بل بطلب قومك لانهم قالوا لن نؤمن لك حتى تحيي لنا العزير فعند ذلك جلس العزير بين قومه وقال لهم يا معشر بني اسرائيل آمنوا برسالة عيسى بن مريم واتبعوا ملته فانه على الحق من ربه فقالوا بنو اسرائيل انا كنا نعهدك حين مت شابا وأنت أسود شعر الرأس واللحية وقد ابيضا فقال لهم لما سمعت هذه الصيحة وقال لي قم باذن الله تعالى ظننت انها صيحة القيامة فابيض نصف رأسي ولحيتي من هول ذلك اليوم وأتاني ملك وقال لي هذه دعوة عيسى بن مريم فلما أحيا الله العزير وظهر لبني اسرائيل معجزة عيسى عليه السلام آمن منهم في ذلك اليوم جماعة كثيرة ثم دعا الله تعالى عيسى ان يعيد العزير لما كان عليه ميتا فأعاده كما كان

* ذكر نزول المائدة لعيسى عليه السلام *

قال سلمان الفارسي رضي الله عنه ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء فقال لهم عيسى اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا لابد لنا من ذلك فخرج عيسى الى الصحراء ولبس المسوح وطأطأ رأسه خاشعا لله تعالى يبكي ويتضرع وقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين فأوحى الله اليه اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه الآية قال الترمذي فأنزل الله عليهم سفرة حمراء مدورة بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها والناس ينظرون اليها فلما نظرها عيسى قال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها نقمة فلا زالت تنزل قليلا قليلا حتى هبطت بين يدي عيسى عليه السلام وكان عليها منديل مغطى به السفرة فعند ذلك خر عيسى ساجدا لله تعالى وسجد معه الحواريون ثم قالوا لعيسى قم واكشف عن هذه السفرة حتى ننظر ما فيها فقام عيسى وكشف عنها فاذا فيها سمكة مشوية وعند رأسها شيء من الخل والملح وعند ذنبها خمسة أرغفة كبار كل رغيف عليه شيء من الزيتون والتمر وحول ذلك من سائر البقول وكان الحواريون الذين سألوا عيسى اثني عشر انسانا فقال شمعون وهو أكبر الحواريين يا عيسى ان هذه السمكة من طعام الدنيا أم من طعام الجنة فقال عيسى ما أخوفني عليكم من عذاب الله تعالى كما أخبر الله تعالى فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين ثم قال عيسى للسمكة أيتها السمكة قومي باذن الله تعالى فاحياها الله تعالى فجعلت تضطرب وتنظر بعينها الى بني اسرائيل فخافوا منها فقال لهم عيسى مالي أراكم تسألون الشيء

فاذا حصل لكم كرهتموه ثم قال عيسى للسمكة عودي كما كنت مشوية فعادت باذن الله تعالى فقال الحواريون ياروح الله أنت أول من يأكل من هذه السمكة فقال لهم معاذ الله انما يأكل منها من سأل عنها فأبى الحواريون ان يأكلوا منها خشية ان تكون فتنة فعند ذلك نادى عيسى عليه السلام للفقراء والمساكين وأصحاب العاهات من المجذومين والبرصى والعميان والمقعدين بأن يأكلوا منها فأكلوا حتى اكتفوا عن آخرهم وكانوا نحو ألف وثلاثمائة انسان فبرئ منها أصحاب العاهات جميعهم باذن الله تعالى وقال الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض

ولو قربوا من حانها مقعدا مشى ﴿﴾ وينطق من ذكرى مذاقتها البكم

ولو جليت يوما على أكمه غدا ﴿﴾ بصيرا ومن راووقها يسمع الصم

قال فلما سمع الناس بذلك ازدحموا على الاكل منها وجاؤا اليها من سائر الاقطار فلما رأى عيسى ازدحام الناس عليها جعلها أقساما بينهم فللفقراء يوم وللاغنياء يوم فكانت هذه المائدة تنزل كل يومين مرة كما كانت ناقة صالح تختفي يوما وتظهر يوما فاستمرت على ذلك أربعين يوما قال مجاهد انها كانت تنزل في وقت الضحى فتنزل قليلا قليلا ثم ترتفع قليلا قليلا والناس ينظرون اليها وهي بين الغمام حتى تتوارى قال الواقدي ان المائدة كانت تنزل بكنيسة صهيون قال وهب بن منبه ان جماعة من بني اسرائيل شكوا في أمر المائدة وقالوا انها ليست من عند الله فلما ظنوا ظن السوء مسخ منهم جماعة قردة فكان عدة من مسخ ثلاثين انسانا فجاؤا الى عيسى وهم يبكون بين يديه فقال لهم ألست أنت فلانا وأنت فلانا فأومؤا برؤسهم اى بلى فأقاموا على ذلك سبعة أيام انتهى حديث المائدة ﴿﴾ قال السدي فرق بعضهم بين المائدة والسفرة فقال ان المائدة ما امتد وانبسط مثل المنديل والثوب وما أشبه ذلك وأما السفرة فهي التي تكون مضمومة بغلائف وحلق لانها اذا كانت مضمومة وفتحت سفر ما فيها أي بان فلذلك سميت سفرة والسماط من الموائد وأما المائدة فمن عرف العجم وأما السفرة فمن عرف العرب وتسمى المائدة خوانا أيضا قال كعب الاحبار لما ظهرت ملة عيسى عليه السلام وانتشرت في الآفاق رغب أكثر الناس الدخول في ملته فانحطت ملة اليهود وضعفت في أيام عيسى وأقبل الناس على عيسى وأنزل الله عليه الانجيل وكان يحيي الموتى باذن الله فلما رأى الملك هردوس المعجزات الباهرة عول على قتل المسيح عيسى عليه السلام بموافقة جماعة من أحبار اليهود فهجموا على عيسى وهو عند أمه مريم فدخل عليه منهم واحد البيت فرفع الله تعالى سيدنا عيسى من سقف البيت فلما استبطأ القوم صاحبهم دخلوا عليه فشبه لهم أنه عيسى عليه السلام وكشفوا رأسه وألبسوه تاجا من شعر وأركبوه على جريدة خضراء

وطافوا به فى المدينة ثم نصبوا له خشبتين مثل صارى المركب وأوثقوا الحبال فى يديه ورجليه وصارت اليهود تخوله ثم قدموه الى هاتين الخشبتين وصلبوه عليهما وصلبوا معه اثنين من اللصوص وهو مصداق قول الله تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وقوله وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه قال العزيزى ان الرجل الذى اشتبه عليهم بعيسى اسمه أشيوع وكان من احبار اليهود قال وهب بن منبه لما صلب شبيه عيسى عليه السلام كان ذلك يوم الجمعة فى الساعة الثالثة من النهار وكان رفعه فى خامس عشر نيسان من شهور الروم الموافق لتاسع وعشرين برمهات من شهور القبط قال الثعلبى كان عمر عيسى عليه السلام لما ان رفع الى السماء نحوا من ثلاث وثلاثين سنة على ما قيل قال السدى أن عيسى رفع من كنيسة السلمق ببيت المقدس فلما رفع الى السماء كساه الله تعالى أوصاف الملائكة وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وصار ملكا سماويا أرضيا وهو حى الى الآن وهذا مذهب أهل السنة قال الثعلبى ان مريم عليها السلام توفيت بعد رفع ولدها عليه السلام بست سنين وكانت مدة حياتها نحوا من ستين سنة ولما ماتت دفنت ببيت المقدس وقبرها يزار هنالك الى الآن صلوات الله عليهما وقد أجاد الشيخ عبد العزيز الديرينى بهذه الابيات الرد على من يعتقد ان عيسى قتل أو صلب وقيل ان الابيات لابن تيمية

عجبا للمسيح بين النصارى * حيث قالوا ان الاله أبوه
ثم قالوا ابن الاله اله * ثم قاموا بجهلهم عبدوه
ثم جاؤا بشئ اعجب من ذا * حيث قالوا بأنهم صلبوه
ليت شعرى وليتنى كنت أدرى * ساعة الصلب أين كان أبوه
حين خلى ابنه رهين الاعادى * أتراهم أرضوه أم أغضبوه
عجبى للمسيح بين النصارى * والى أى والد نسبوه
أسلموه الى اليهود وقالوا * انهم بعد قتله صلبوه
واذا كان ما يقولون حقا * وصحيحا فأين ما نسبوه
فلئن كان راضيا بأذاهم * فاحمدوهم لانهم عذبوه
ولئن كان ساخطا فاتركوه * واعبدوهم لانهم غلبوه

وقال شمس الدين بن الصائغ الحنفى من عروض ذلك وأجاد حيث قال

أعباد المسيح لنا سؤال * نريد جوابه ممن وعاه
اذا مات الاله بفعل عبد * يهودى فما هذا الاله
وهل بقى الوجود بلا اله * سميع يستجيب لمن دعاه
ومن رزق البرية وهو ميت * ومن حفظ الوجود ومن حواه

وهل هو عاد لما شاء حيا * الها أم تولاه سواه *
وهل رضى المسيح الصلب عمدا * وسكنى القبر أم أرضى أباه
والا عنوة فالعبد أقوى * من المعبود يفعل ما يراه
فمن يفهم لما قلنا جوابا * يجاوب أو يتب مما افتراه

قال ابن رزق ان الملكة هيلانة أم الملك قسطنطين الاكبر هي التي بنت كنيسة القمامة ببيت المقدس ولما توجهت الى هناك وجدت تلك الخشبتين اللتين صلب عليهما المسيح بزعمهم وخشبة ثالثة فالجملة ثلاثة أخشاب فزعمت النصارى ان ثلاثة من الاموات ألقوا على تلك الاخشاب فعادوا أحياء في الحال فلما رأت الملكة هيلانة ذلك صنعت لتلك الاخشاب غلفا من الذهب فاتخذوا من ذلك اليوم لها عيدا وسموه عيد الصليب وذلك بعد ولادة المسيح بثلاثمائة وثمان وعشرين سنة وهذا غاية اعتقاد النصارى في أمر الصليب وكان عيسى نبيا مرسلا وهو من أولى العزم من الرسل الخمسة وقد قال الله تعالى واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد الآية قال مقاتل كان بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم قريب من ستمائة سنة وقال الكلبي كان بينهما خمسمائة وأربعون سنة وهو زمن الفترة في غير العرب لان الله تعالى لم يرسل لاهل تلك الجهة نبيا بعد عيسى بن مريم وشريعة الانبياء قبل نبينا كانت تنقطع بموته حتى يرسل غيره اما بشرع أو يوحى اليه بتقرير شريعة من قبله من الانبياء الا نبينا صلى الله عليه وسلم فان شريعته لم تنسخ بل هي باقية الى قرب قيام الساعة اهـ

﴿ذكر نزول عيسى عليه السلام الى الارض﴾ قال أويس الثقفي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينزل عيسى بن مريم عند قيام الساعة ويكون نزوله على المنارة البيضاء التي بشرقي جامع دمشق وصفته مربوع القامة أسود الشعر أبيض اللون فاذا نزل يدخل الى المسجد ويقعد على المنبر فتتسامع الناس به فيدخل عليه المسلمون والنصارى واليهود فيزدحمون هناك حتى يطأ بعضهم رأس بعض فيأتي مؤذن المسلمين فيقيم الصلاة وهي صلاة الفجر فيصلي عيسى مأموما مقتديا بالمهدي (ومن النكت اللطيفة) ما أورده الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في بعض مصنفاته أن الشيخ أبا القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه كان مقيما فيما وراء النهر وكان شابا عاقلا علامة عصره في علم الشريعة والحقيقة فصنف ألف كتاب في علوم شتى وكان له تلميذ لا يفارقه ساعة واحدة فلما كان في بعض الايام أخرج الشيخ أبو القاسم ما كان صنفه من الكتب المقدم ذكرها ووضعها في صندوق من الخشب ووضع مع تلك الكتب مصحفا شريفا وأغلق ذلك الصندوق بقفل وقال لتلميذه خذ هذا الصندوق واذهب

به الى نهر جيحون وارمه فيه فحمل المريد ذلك الصندوق وخرج به من عند الشيخ فقال
فى نفسه وكيف أرمى ألف كتاب من مصنفات الشيخ وقد تعب فى جمعها وأفنى عمره
فيها فرجع بالصندوق الى داره وجاء الى الشيخ فقال الشيخ أرميت الصندوق فى
النهر قال نعم قال الشيخ فما رأيت عند رميه قال ما رأيت شيئا فقال اذهب فارمه ولا
تخالف فذهب المريد فألقى الصندوق فى النهر فلما ألقاه خرجت يد من الماء وتلقت
ذلك الصندوق وأخذته فقال المريد من أنت أيها الشخص فقال عبد ربى مأمور بحفظ
هذا الصندوق فرجع المريد الى الشيخ وقال انى قد رميته فخرجت يد فتلقته فقال
الشيخ الآن قد ألقيته ثم ان المريد صار فى قلق على الصندوق ولم يقدر على ان يسأل
الشيخ عن حقيقة الصندوق والقائه فى النهر ومن تناوله فعلم الشيخ مراد تلميذه فقال
له يوما من الايام يا فلان أتريد ان تعلم حقيقة حال الصندوق فقال التلميذ بلى
يا سيدى فقال الشيخ انه اذا خرج الدجال لا يبقى على وجه الارض كتاب فينزل عيسى
عليه السلام ويقتل الدجال ويكون على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ويأمره الله
تعالى ان يحكم على شريعته فيطلب مصحفا وكتبا فلم يجد فعند ذلك ينزل
جبرائيل عليه السلام ويقول لعيسى عليه السلام ان الله يأمرك ان تتوجه الى نهر
جيحون وتصلى ركعتين وتنادى وتقول يا أمين الله على "كتب أبى القاسم القشيرى
سلم الى" الصندوق فان الله تعالى أمرنى ان أحكم بين الناس بالشريعة المحمدية
فيذهب عيسى ويفعل ما أمره به جبرائيل فينشق النهر بقدرة الله تعالى ويخرج
منه الصندوق فيأخذه عيسى عليه السلام فيجد فى الصندوق المصحف والكتب
فيقرأها ويحكم بين الناس بمقتضاها نقل ذلك ابن الجوزى قال ولما ظهر الدجال يخرج
من بلاد أصفهان طوله عشرة أذرع واحدى عينيه ممسوحة من أصل الخلقة كأنه
نزل بعين واحدة ترجوه سبحانه وتعالى أن يعمى له الاخرى مكتوب بين عينيه كافر
يقرأه كل قارئ من قرب ومن بعد ومكتوب تحت ذلك سعيد من خالفه وشقى من
أطاعه ويظهر للناس ان له جنة ونارا فناره جنة وجنته نار فيطوف البلاد ويقتل
العباد ويقول انا ربكم الاعلى فيجتمع اليه الجم الغفير من الناس من جميع الطوائف
فيجتمع عنده من العساكر نحو ألف ألف وستين ألفا فيزحف بهم من أصفهان الى
دمشق فى أربعين يوما ثم يدخل بيت المقدس ويكثر فيه من القتل والسبى فيظهر فى
ذلك الوقت شخص يقال له المهدى وصفته على خده الايمن شامة وبين كتفيه شامة
فيجتمع عليه الناس فيسير بهم الى محاربة الدجال فيدخل الى دمشق الشام ثم ينزل
بعد ذلك عيسى ابن مريم على المنارة البيضاء الشهيرة الان بمنارة عيسى عليه
السلام فيلتقى مع المهدى بجامع بنى أمية فى دمشق الشام فيصلى هنالك المهدى

اماما وعيسى مأموم به ثم يخرج اليهما الدجال بمن معه من العساكر فيلتقي معهما على مدينة لد فيحاربه عيسى عليه السلام فينكسر الدجال ويقتله عيسى بحربته التي تكون بيده ثم ان عيسى بعد قتل الدجال يعهد الارض شرقا وغربا ولا يدع على وجه الارض يهوديا ولا نصرانيا ويصير الدين كله واحدا على ملة محمد صلى الله عليه وسلم ويعدل بين الناس برا وبحرا فعند ذلك يوحي الله الى الارض بأن تخرج بركتها الى الناس كما كانت في الاول حتى قيل ان عشرة من الناس يجتمعون على عنقود من العنب وعلى رمانة واحدة فيأكلون منها ويبقى من المأكول أكثر مما أكلوا منه وعلى هذا فقس في جميع الاشياء التي تؤكل ويكثر العدل حتى ان الحية تكون بيد الطفل فلا تؤذيه وهو يلعب بها وهي لا تضره ويكون الاسد مع الشاة فلا يفترسها ويكون الذئب مع الغنم فلا يؤذيها وهو الى جانبها حتى ان الحي يمر على الميت فيقول له ليتك لو كنت حيا ورأيت هذه الايام فيستمر الحال على ذلك اربعين سنة ثم ان عيسى يتزوج بامرأة من أهل عسقلان ويولد له ولدان منها ثم ان عيسى عليه السلام يحج الى بيت الله الحرام ويزور قبر محمد صلى الله عليه وسلم فيمرض هناك فيموت ويدفن الى جانب قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى في بعض الاخبار ويرسل الله تعالى ريحا طيبة فتقبض روح كل مؤمن على وجه الارض ويبقى اشرار الناس فتقوم عليهم الساعة ويصير الناس يتهارجون كما تتهارج الحمر فعند ذلك يفتح سد يأجوج ومأجوج ويخرجون الى الارض ويفسدون ما فيها من أشجار ونبات ويشربون الانهار والبحار ويصلون الى بحيرة طبرية ويشربون ماءها جميعا وقد تقدم الكلام على ذلك ولا يسلم من فتنة يأجوج ومأجوج سوى أهل مكة والمدينة المشرفة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة على كل نقب منهما ملك فلا يدخلهما الدجال ولا يأجوج ومأجوج ولا الطاعون وقد قال ابن أبي حجلة مشيرا الى ذلك بقوله

مدينته شاعت احاديث فضلها * وسارت بها الركبان في كل بلدة
فما روع الدجال ساكن أرضها * ولا مات في الطاعون فيها وبكة

مطلب خروج دابة الارض

قال فلما تفسد الاحوال يخرج الله تعالى الى الناس دابة مما يلي المسعى عند الميلين الاخضرين يقال لها السحاب وهو قوله تعالى واذا وقع عليهم القول أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون قال وهب بن منبه بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت فتضطرب الارض وتنشق مما يلي المسعى فتخرج من هناك الدابة فأول ما يخرج منها رأسها وهي ذات ريش وزغب كريش الطير ولها جناحان ورأسها يلمس السحاب ورجلاها تحت تخوم الارض وقال السدي

ان

ان رأس الدابة كرأس الثور وعينها كعيني الخنزير وأذنها كاذن الفيل ولونها كلون النمر وصدرها كصدر الاسد وقرونها كقرون الايل وذنبها كذنب الكبش وقوائمها كقوائم البعير ووجهها كوجه الانسان فلا يدركها طالب ولا يفوتها هارب ومعها عصا موسى وخاتم سليمان تختم وجوه الكفار بخاتم سليمان وتجلو وجه المؤمن بعصا موسى فيعرف الكافر من المؤمن بالرسم الذى فى وجوههم وهو هذا مؤمن وهذا كافر ثم بعد ذلك تطلع الشمس من مغربها فى شدة حرها يموت من بقى من الناس من انس وجان ويغلق باب التوبة عن الناس قال أبوذر ان عدد الانبياء مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي فنهم المرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر مرسلا أو أربعة عشر أو خمسة عشر قال الثعلبي مجموع الكتب التى أنزلت على المرسلين أربعة كتب التوراة والانجيل والزبور والفرقان وأما الصحف المنزلة فهى مائة وعشرة صحف نزل منها على شيث بن آدم ستون صحيفة ونزل منها على ادريس ثلاثون صحيفة ومنها على ابراهيم عشرون صحيفة قال وهب بن منبه أنزل الله تعالى التوراة على موسى عليه السلام فى ألواح من الزمرد الاخضر فكتبها موسى فى أربعة وعشرين سفرا وهى ألف سورة فى كل سورة ألف آية فمسكها بنو اسرائيل من بعد موسى برهة من الزمان ثم حرفوها وغيروها قال ابن عباس رضى الله عنهما لا يجوز للجنب ان يمس شيأ من الكتب المنزلة وأما الانجيل فانه أنزل على عيسى عليه السلام وان قومه بدلوا أكثر تبديل من التوراة فان علماء بنى اسرائيل كانوا أربعة وهم مرقس ولوقا ومتى ويوحنا ولما مات عيسى عليه السلام كتب كل واحد منهم انجيلا وأحاله الى نفسه وليس لهم فى ذلك حجة فصار كل انجيل مخالفا للآخر امابزيادة أو نقصان واظهار تصويرهم فى كنائسهم ليس لهم به حجة وكذلك تركهم للختان ونقلهم صيامهم الى زمن الربيع وزيادتهم الصوم الى خمسين يوما ليس لهم فى ذلك حجة وأكلهم لحم الخنزير وترك تزويج الرهبان ليس لهم به حجة ومشوا على ذلك الى الآن (سؤال لطيف) وهو أن الكتب المنزلة كلها ذهبت وحرفوها وغيروها فمشى على ذلك التغيير علماؤهم ولم يشكوا فى ذلك والقرآن لم يتغير ولم يتبدل منه حرف واحد (الجواب) ان الله تعالى قال فى القرآن العظيم انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فحفظه الله من التغيير والتبديل والعدم حتى قيل انه لا يحترق وان قال قائل اذا حرقته يحترق تقول نعم يحترق لان المعنى اذا كان فى الدنيا مصحف واحد فانه اذا حرق لم يحترق لقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وكانت الفترة التى بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم قريبة من ستمائة سنة وقال الكلبي خمسمائة وأربعين سنة وقال وهب بن منبه ان آدم عاش من العمر ألف سنة وقال الثعلبي من هبوط آدم الى الهجرة

المدة بينه سنة آلاف سنة ومائة وثلاثون سنة قال وهب بن منبه كان بين موت آدم وطوفان نوح ألفان ومائتان سنة وكان بين ابراهيم وموسى ستمائة سنة وكان بين موسى وداود خمسمائة وأربعون سنة وكان بين داود وابنه سليمان وبين عيسى ألف ومائة سنة وكان بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين ستمائة سنة والله أعلم بحقيقة الحال واليه المرجع والمآل (أقول) وبالله التوفيق قد طالعت هذا التاريخ من عدة تواريخ منها ماروى الثعلبي ونقله الكسائي والجبري وابن الجوزي وابن سلام عبد الرحمن وابن كثير عماد الدين ووهب بن منبه والسدي والواقدي وغير ذلك من الرواة والمؤرخين وماوافق مما وقع عليه اختياري وذلك على سبيل الاختصار ليكون طالبه على اقتدار وأنا أسأل لواقف عليه ان يصلح شيئاً لا يوافق لديه والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب

بحمد من دبر ببدائع حكمته جميع الكائنات وجعل أسوار الدهور محتديا محتويا على جميع أصناف المخلوقات قد أجادت بذا المطبعة الشرفية طبع هذا الكتاب المسمى ببدائع الزهور المحتوى على ماتطرب رنات أخباره الاسماع من وقائع الدهور باعانة من التزم نشر عبيره العاطر واتاحة منشوره الذى كان من زوايا الاهمال في حيز الداسر المكرم الشيخ شرف موسى لا زال مهنأ مأنوسا وذلك في أواخر شهر الله تعالى الحرام رجب الاصم الاصب أحد شهور سنة ثمان وتسعين بعد المائتين والالف من هجرة من خلقه الله على أبهج سجية وأتم وصف صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم وشرف وعظم وكرم

تم